العرب في الهلال الخصيب

الكتاب: العرب في الهلال الخصيب

الكاتب: د. برهان زريق

الطبعة الأولى: 2016

جميع الحقوق محفوظة لورثة الكاتب

الكتاب صدر بعد وفاة الكاتب يرحمه الله

لذا لم يحظ بالتدقيق من قبله

يرجى موافاتنا بملاحظاتكم واقتراحاتكم

على البريد الالكتروني:

Burhan_zraik@yahoo.com

موافقة وزارة الاعلام السورية على الطباعة

رقم/113413**/تاريخ** 2016/4/19

د. برهان زريق

العرب في الهلال الخصيب

أعيش...لأكتب

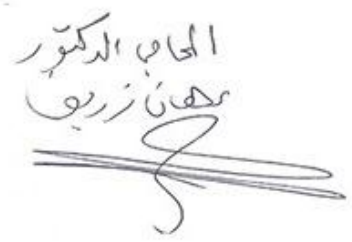

يستعمل علماء الجغرافية جهازين مفهومين هما: الموضع والموقع، ويقصد بالموضع الجغرافي: المكاني الذي يشغله الإقليم أو البلد.

أما الموقع: فهو علاقة المكان بغيره من المواقع، كأن يجعل هذا المكان حيزاً ممتازاً أو غيره.

ونستطيع أن نقرر بيقين أن الله تعالى بوأ الجزيرة العربية موقعاً جغرافياً ممتازاً أتاح لها أن تؤثر وتتأثر في المناطق الجغرافية المجاورة ونخص ذلك بالذكر منطقة الهلال الخصيب.

وقد أثر عن نابليون قوله: ((إذا أردت أن تفرق سياسة أمة فالتمسها في جغرافيتها))، وهذا القول ولا شك أساس علم الجغرافيا السياسية.

وفضلاً عن ذلك فالجغرافيا تضع لمساتها وبصماتها على مختلف جوانب حياة الأمة وفعالياتها وتوجهاتها.

وإذا اعتمدنا مبدأ الاستجابة، أمكننا التأكيد أن أهم معلم لتلك الاستجابة يبرز في التأثير المتبادل بين الإنسان والطبيعة، وهو الأمر الذي يصدق بقوة على الماضي، فقد استطاع الفاعل الجغرافي أن ينتج بكلكله على الإنسان[1]، ومعنى ذلك أن العلاقات الأولى بين الإنسان والبيئة الجغرافية ذات سمة سحرية ودينية، ولا

1- يرى العالم الجغرافي الاسباني "أولاهو" أن الميزان يميل في بحث العلاقات الجغرافية السياسية باتجاه الفكر، وليس باتجاه العناصر الجغرافية الطبيعية، راجع د. حسن صعب: تحديث العقل العربي، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص56.

يقتصر الأمر على الإنسان القديم، بل إن التمثلات الجماعية التي يكونها الناس الحاليون عن إقليمهم وبلدهم ووطنهم ذات سمة سحرية دينية بارزة.

وحقيقة أنه مهما تكلمنا على الفاعل الذاتي بإرادة الإنسان أو المعطى الموضوعي «الحتم الجغرافي» فالتاريخ هو ظل الإنسان في جدله مع الأرض بقدر ما إن الجغرافيا هي ظل الأرض على الزمان[1].

فالشخصية الإقليمية تتجاوز المحصلة الحسابية الخصائص وتوزيعات الإقليم، فهي السؤال الذي يبتعد إلى روح المكان ليستشف عبقريته الذاتية: genuislice، والتعبير الحر والبوح الطبيعي لهذه الشخصية، وقد لعبته خرساء لكنها تنطق من خلال الإنسان.

وشخصية الإقليم، مثل شخصية الإنسان تتطور وتتدهور، وهو الأمر الذي يجعلنا نتكلم عن فلسفة المكان متجاورين التحديد الثابت لمعطيات الإقليم[2] إن التفاعل بين أجزاء الوطن العربي لم ينقطع منذ الأدوار الجيولوجية الأولى، بل استمر دون انقطاع اجتماعياً وفكرياً وسياساً في مظاهر وأشكال لا حصر لها، وإلا كيف نفسر ظهور دولة الأنباط، وتدمر وبني المنذر وبني غسان[3] ومن مظاهر ذلك أيضاً نذكر على سبيل المثال دولة ويدان التي أسسها عرب اليمن في العربية الشمالية، وبالذات عقدة المواصلات حتى أن نفوذ هذه الدولة بلغ مصر وإلى جزيرة ديلوس اليونانية.

ماذا يعني هذا التسرب المستمر لسكان الجزيرة العربية باتجاه سوريا والعراق ومصر وذلك خلال كافة الحقب التاريخية.

1- د. جمال حمدان: شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، كتاب الهلال، العدد 196، 1967.
2- المرجع السابق، ص8.
3- د. محمد عمارة: فجر اليقظة القومية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط2، 1975.

كيف نفسر هجرة الفينيقيين من الخليج العربي إلى سوريا، ثم إلى شمال إفريقيا، ثم كيف نفسر انتقال البرابرة إلى الجزائر والمغرب العربي وليبيا ومصر.

إن الوطن العربي كتلة تاريخية ثقافية واحدة، وأوروبا حضارية واحدة، والعروبة إن لم تكن أصل السامية فهي توأمها.

يقول الاستاذ "جمال الخضور":

إن قراءة تحليلية لمنظومة الحكم النهضوي العربي تحليلياً بمرحلتيه الأولى التي تميزت بظهور الحضارات الجليلة على كل الرقعة الجغرافية العروبية مع نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، والثانية مع انتشار التوحيد المعرفي الثقافي بتغيره العربي من خلال الدولة العربية الإسلامية، مع مناقشة نقدية تاريخية للعوامل المعرفية التي أوجبت وأدت إلى ذلك النهوض وآلية اتجاهاته التي غيرت تاريخ البشرية والكون، مع إيضاح العوامل الفاعلة في منظومة الأحلام العربية، وطريقة تعاملها مع الهزائم التاريخية التي حلت بالجسد العربي مع التركيز على سقوط بابل على يد "كيرش الفارسي" عام/529ق.م/، وما تلاها من إعادة تكوين لهيكلية العربية، ثم سقوط غرناطة والغزو المغولي، وما تلاه من إعادة خلق بنية ثقافية معرفية قابلة للصمود والتماسك[1].

وهذا ما أكده "محي الدين الخطيب"- وهو أحد أعلام النهضة الذين تأثروا بمحمد عبده- بأن معجزة التوحيد الإسلامي تمثلت في إعادة الوحدة القومية واللغوية للشعوب السامية، حيث أصبحت اللغة العربية لغة جميع الساميين، لما كانت اللغة السامية الأولى لغتهم، وكذلك في إعادة الوحدة قبل التشتت والانقسام.

1-جمال الخضور: المشروع النهضوي القومي العربي، دراسة مقارنة أولية تقدمة للأسس والآفاق، مجلة الفكر السياسي، دمشق، 2000، ص79.

الوحدة إلى القبائل العربية وإلى اللغة العربية بالذات والتي كانت لهجاتها المتعددة المتباينة في القبائل المختلفة مظهراً من مظاهر الفرقة والضعف القومي من الأمة العربية[1]. وهذا ما أكده "عبد الرحمن شهبندر" بقوله:

((إننا نظرنا لسماع أسماء قبل صعصعة وأبي كرب وأذينة والزباء والحارث مطمورة تحت أقفاص بابل واليمن وتدمر ووادي عاموس من العرف النسبي، وإن الغرب بنو المدائن في صفارة ورفعوا الكرنك منذ انبثاق فجر التاريخ هم ذو أصول عربية)).

ويرى "الدكتور جواد علي" أن وطن الساميين الأول هو جزيرة العرب، وفيه هاجروا إلى الأماكن المعروفة التي استقروا فيها، فهم في ذلك مثل القبائل العربية التي تركت بلاد العرب، استقرت في العراق، وفي بادية الشام وبلاد الشام لا يختلفون عنهم في شيء[2].

ويضيف القول: إن القبائل العربية المهاجرة هي قبائل معروفة الأصل وقد نصت الموارد الأخرى على عروبتها، ونسبت نفسها إلى جزيرة العرب، ولهجاتها لهجات عربية، لا ريب في ذلك ولا نزاع، وثقافتها عربية، أما الشعوب السامية فليس بين العلماء، اتفاق على وطنها الأول.

ويتابع القول: ((إن مصطلح الشعوب العربية هو أصدق اصطلاح يمكن إطلاقه على تلك الشعوب وإن الزمان قد حان لاستبدال مصطلح عربي وعربية بـ «سامي

1- مقاله المنشور في مجلة الزهراء المرسوم بعنوان: سلطان اللغة العربية، مجلد 2، ص 149.

2- د. جواد علي: المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار الحداثة ط2، 1988، ص13.

وسامية»، فالسامية وحدة ثقافية والعروبة وحدة ثقافية وجنسية وروابط دموية وتاريخية)) [1].

وفي رأينا أن الحياة في الجزيرة خضعت إلى نمط الاستقرار والانتشار الذي أدى إلى انقسام القبيلة المستقرة إلى وحدات متناثرة، مما اضطر هذه الوحدات المتناثرة إلى النزوح وإعادة الاستقرار في مناطق مختلفة، ومع عوامل من قبائل وانتماءات مختلفة حتى الذين اضطرتهم ظروف الحياة آنذاك إلى الاستقرار لاحقاً في القبائل المترحلة تأثروا بهذا النمط الانتشاري للاستقرار نتيجة لذلك فقط انقسمت القبيلة وتفككت منطقتها الجغرافيا لتصبح منطقتها يسكنها أناس من مختلف الانتماءات الاجتماعية[2].

وهكذا فالتاريخ السياسي والاجتماعي للجزيرة العربية، ثم في سياق عمليات اجتماعية: هجرة، استقرار، نزوح، ثم إعادة استقرار وظهور المدن.

وبالتالي يمكن تقسم هذا المسار الاجتماعي السياسي إلى الخطوات الآتية:
مرحلة الانتماء إلى القبيلة، مرحلة الانتماء إلى المكان، كما هو واضح في نمط الاستقرار النشيئة الذي أفضى بدوره إلى ظهور مجتمع المدن المستقلة، وتبلور النزعات الجهوية والإقليمية، وإن بروز حال الانتماء إلى المكان هذه يمكن النظر إليها على أنها البذرة الأولى لبداية الانتماء إلى الدولة[3].
والخلاصة: فالتاريخ العربي يسجل لنا قانوناً مطرداً هو الصعود التاريخي الارتقائي للحياة العربية باتجاه المدربة والتوضع والاستقرار.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، بيروت، دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط1، 1968، ص8.

2-خالد الدجيل: الجذور الاجتماعية للحركة الوهابية، مجلة المستقبل العربي عدد 7 لعام 2000، ص56.

3- المرجع السابق، ص56.

ويمكن القول أن هذا القانون للتوزيع كان أكثر خصوبة وحيوية في أرض الهلال الخصيب ذات الطبيعة الغناء التي تفسح المجال للاستقرار ضمن أحضان وحنايا الطبيعة، والاستقرار بحد ذاته قاد إلى خصائص واستقلالية وتنوع عن الأم أو البذرة الأولى مما أدى إلى ظاهرة الشعوب لدى بني منذر وبني غسان والأنباط كما حدت تماماً في اليمن ومكة وغير ذلك[1].

وهذا القول "للأستاذ دخيل" و"للدكتور سيف الدولة" يتفق مع رأي "الدكتور جواد علي" السالف الذكر المتضمن إذ السامية مجموعة ثقافية وهي مجموعة من الشعوب استقلت وتنوعت - بالاستقرار الطويل – عن الأم ولكن هذا التمييز لا يعني الانفكاك والانفصال والانعزال.

فعلى سبيل المثال يرى "الدكتور جواد علي" أنه كان للعرب الجنوبيين تقويم يبدأ سنة/15/أو سنة/19/قبل الميلاد حيث استمرار التاريخ إلى قبل ظهور الاسلام.

وهذا ما نجده في نص أبرهة حاكم اليمن، وهو مدون على سد مأرب، ويرجع إلى سنة/541 للميلاد/.

أما عرب الشمال فقد أرّخو بتقويم بصرى سنة/105 للميلاد/[2] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التخلق الاجتماعي عند العرب، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ **الحجرات/13**.

1-يراجع في ذلك العرض الجيد لظاهرة نشوء مفهوم الشعب في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية ومن الهلال الخصيب، انظر د. عصمت سيف الدولة عن العروبة والإسلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

2-د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص13.

تحديد الأجهزة المفاهيمية لكلمة عرب

ونحن نقصد هنا المعنى المفهومي لكلمة العرب كجهاز مفاهيمي وما تقمصه من دلالة مفهومية وما قيمة ودل عليه من معاني تطورية خلال التاريخ وصل البناء بهذه الدلالة المفهومية التي تعبر عن كونه اسم عجم على جماعة بشرية معينة[1].

ويذكر الإخباريون أن يعرب أول من نطق بالعربية وأن إسماعيل هو أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن.

أما المستشرقون، فقد تتبعوا تاريخ الكلمة، ومعناها في اللغات السامية، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين والبابليين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة «عرب هو نص آشوري» من أيام الملك "شلنمصر الثالث" ملك آشور[2].

فقط كانت لفظة عرب تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا، بل كانوا يقصدون بها بداوة وإمارة «مشيخة تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية».

وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بلقب ملك يقال له «جنديبو أي جندب»، وكانت صلاته سيئة بالآشوريين[3].

1- مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت.

2- شولمانو -اشارئد الثالث في الاكادية وشلمنصر في التناخ كان ملك الدولة الآشورية في الفترة من 858-823 ق.م، وهو ابن الملك آشور ناصربال الثاني.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص16.

ووردت في الكتابات البابلية جملة "ماتواربي" ومعنى «ماتو» أرض، فيكون المعنى «بلاد العرب»، أي البادية، وكانت تحفل بالأعراب.

وجاءت في كتابة الدار الكبير «داريوس» لفظة «أرباية Arobaya »، وذلك في النص الفارسي المكتوب باللغة الأخمينية، ولفظة Arapaya في النص المكتوب بلهجة أهل السوس[1] وهي اللهجة العيلامية وقام بعض العلماء بإدخال طور سيناء في جملة هذه الأرضين[2].

وإذا راجعنا المواضع التي وردت فيها كلمة عرب في التوراة، نجدها بهذا المعنى تماماً فقد جاء في سفر أشعياء: ((ولا يخيم هناك أعرابي، فقصد بلفظة عرب في هذه الآية البادية موطن العزلة والوحشة والخطر، ولم يقصد بها قومية وعلمية لمجلس معين بالمعنى المعروف المفهوم))[3].

وبهذا المعنى وردت في أرميا، ففي الآية وكل ملوك العرب الواردة في الاصحاح الخامس والعشرين، تعني لفظة «العرب- الأعرابي»، أي «عرب البادية» والمراد من «وكل ملوك العرب و كل رؤساء العرب ومشايخهم»، رؤساء قبائل ومشايخ، لا ملوك مدن وحكومات.

واعتبر وادي العربة وكذلك طور سيناء وبرية سوريا في بلاد العرب كما في **رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية**[4].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص17.

2- المرجع السابق، ص18.

3-الإصحاح الثالث عشر، آية/30/ولا يضرب أعرابي فيها جناء، الترجمة الكاثوليكية المطبعة الكاثوليكية، بيروت/1960/.

4- مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان: أحدهما من الأمَة، والآخر من الحرة، غير أن الذي من الأمة ولد بقوة الجسد، أما الذي من الحرة فبقوة الموعد، وذلك إنما هو رمز، لأن هاتين هما الوصيتان إحداهما من طور سيناء تلد للعبودية، فهي هاجر، فإن سيناء هو جبل في

وأول من ذكر العرب من اليونان هو "أسكيلوس"،/525-456 قبل الميلاد/ذكرهم في كلامه على جيش "أحشويرش" الفارسي، وقال: كان في جيشه ضابط عربي من الرؤساء مشهور، ثم تلاه "هيرودوتس" شيخ المؤرخين نحو/484 – 425 ق.م/فتحدث في مواضيع من تاريخه عن العرب حديثاً يظهر منه أنه كان على شيء من العلم بهم، وقد أطلق لفظة « Arabae على بلاد العرب، البادية وجزيرة العرب والأرضين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل[1]، فأدخل طور سيناء وما بعدها إلى ضفاف النيل في بلاد العرب.

ويلاحظ أن كلمة «العربية عند اليونان والرومان تشمل جزيرة العرب وبادية الشام، لاعتقادهم أن البداوة كانت هي الغالبة على هذه الأرضين.

أما الآراميون، فلم يختلفوا عن الآشوريين والبابليين في مفهوم بلاد العرب، أي ما يسمى بـ «بادية الشام وبادية السماوة، وقد أطلقوا على القسم الشرقي من هذه البادية، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس، اسم «بيت عربايا» وقد استعملت هذه التسمية في المؤلفات اليونانية المتأخرة[2].

وليست لدينا كتابات كتابات عربية شمالية، فيها اسم العرب، غير نص واحد، هو النص الذي يعود إلى امرؤ القيس بن عمرو تاريخه سنة 328م، وقد ورد فيه: ((أمرو القيس، ملك العرب كله، ملك الأسدين....)).

ديار العرب، ويناسب أورشليم الحالية، لأن هذه حاصلة في العبودية مع بنيها، رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية، الرسالة الرابعة، 22 فما بعدها، قاموس الكتاب المقدس، 89/2.

1- Encyclopedia, Bible, I.P,273.

2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص22.

ويظهر من هذا النص أنه قصد «الأعراب»، أي القبائل التي كانت تقطن البادية في تلك الأيام[1].

كذلك بالنسبة للنصوص العربية الجنوبية، فقد وردت فيها لفظة «اعرب بمعنى أعراب»، فورد: ((واعرب ملك حضرموت، أي وأعراب ملك حضرموت واعرب ملك سبأ، أي وأعراب ملك سبأ، وكالذي ورد في نص أبرهة، نائب ملك الحبشة على اليمن)).

أما أهل المدن والمتحضرون، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم، وكانت مستقرة في الغالب، ولهذا قيل سبأ وهَمدان و حمير[2].

وقد عرف البدو، أي سكان البادية، بالأعراب في عربية القرآن الكريم[3] وقد ذهب "د.هـ. مللر" إلى أن القرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها علماً لقومية تشمل كل العرب، وهو يشك في صحة ورود كلمة عرب علماً لقومية في الشعر الجاهلي، كالذي ورد في شعر لإمرؤ القيس، وفي الأخبار المدونة في كتب الأدب على ألسنة بعض الجاهليين، ورأي "ملر" هذا، رأي ضعيف لا يستند إلى دليل، إذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوماً بهذا المعنى لو لم يكن لهم علم سابق به؟ وفي الآيات دلالة واضحة على أن القوم كان لهم إدراك لهذا المعنى قبل الإسلام، وأنهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربي[4]، وأنهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ فصلت/**44**، ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ الرعد/**36**.

ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب، توسعوا في استعمال اللفظة، حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار أنهم أهل

1- د. جواد علي: المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، ص23.

2- المرجع السابق، ص23.

3- التوبة، الآية/97، 101/، الفتح، الآية/11/، الحجرات، الآية/14.

4- د. جواد علي: المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام ص24

بادية وأن حياتهم حياة أعراب، ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم، فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها.

هذا ويلاحظ أن عدداً من القبائل العربية الضاربة في الشمال والساكنة في العراق وفي بلاد الشام، وتأثرت بلغة بني إرم، فكتبت بها، كما فعل غيرهم من الناس الساكنين في هذه الأرضين، مع أنهم لم يكونوا من بني إرم، ولهذا حسبوا على بني إرم، مع أن أصلهم من جنس آخر، وفي ضمن هؤلاء قبائل عربية عديدة، ضاع أصلها، لأنها تثقفت بثقافة بني إرم، فظن لذلك أنها منهم[1].

كما واستعملها اللاتين، بمعنى «العرب[2] وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام[3] وفي طور سيناء[4]، وفي الصحراء المتصلة بأدوم[5] وقد توسع مدلولها بعد الميلاد، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس فأطلقت على العرب عامة، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة عرب في كتبهم، مستعيضين عنها بكلمة Soraceni [6] وأقدم من ذكرها هو "ديو سقوريدس" الذي عاش في القرن الأول للميلاد[7] وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب، وأحياناً على جميع المسلمين[8]، ونجد الناس يستعملونها في الإنكليزية في موضع عرب ومسلمين حتى اليوم.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص26.

2–Forster, Vol 2, p, 9, Webster's Nero International Dictionary of English Language Vol 2, p, 2216.

3– British Encyclopedia, Vol 19-P 987 British Encyclopedia, Vol 19, P, 987.

4–Forster, Band, 2, S, 9, Ptolemy, 5, 16, Encyclopedia of Islam, Vol 4.P 155

5–Forster, Vol P, 20. F

6 –Encyclopedia of Islam, Vol 4, P 156

7 –Ency, Vol 4, P, 155, Bretzl Botanische Forschungen des Aix Alexanderzuges, S, 282.

8– Encyclopedia, Vol 4, P 155.

وقد أطلق بعض المؤرخين من أمثال "يوسبيوس" "أو يسبيوس" و هيرونيموس هذه اللفظة على الاسماعيليين الذين كانوا يعيشون في البراري في قادشفي برية فاران، أو مدين حيث جبل حوريب [1]. وقد عرفت أيضاً بـ «الهاجرين ثم دعيت بـ Saracenes [2].

واختلفت آراؤهم في التعليل، فزعم بعضهم أنه مركب من سارة زوج إبراهيم فيكون المعنى عبيد سارة [3].

وقال آخرون: إنه مشتق من «سرق فيكون المواد من كلمة Saraceni–سراكين «السراقين أو السارقين إشارة إلى غزوهم وكثرة سطوهم[4]، أو من Saroka بمعنى Sherk أي شرق، ويراد بذلك الأرض التي تقع إلى شرق النبط.

وقال "ونكر" إنه من لفظة «شرقو»، وتعني سكان الصحراء أو أولاد الصحراء، استنتج رأيه هذا من ورود اللفظة في نص من أيام سرجون [4].

ويرى آخرون أنه تصحيف شرقيين، أو شارق، على نحو ما يفهم من كلمة «قدمونيQadmoni في التوراة، بمعنى شرقي، أو أبناء الشرق Bene Kedem[5] وقد كانت منازل القدمونيين، في المناطق الشرقية لفلسطين، أي في بادية الشام.

1- قاموس الكتاب المقدس، 395/1.

2 –Encyclopedia, Vol 4, P, 156, Eusebius' ChronicleTT, 13 Chron Pasch 94-18.

3- مجلة الهلال السنة السادسة، الجزء 15 ديسمبر 1897، ص296، المشرق: السنة السابعة، الجزء7، ص340، حيث رأى الأب أنستاس ماري الكرملي أن Sorrasins من سرحة، وهو مخلاف باليمن، وعلى هذا فهم السرحيون، وسمعتهم يقولون: سراكنو، ومعناه المسلمون، رحلة ابن بطوطة/441/2 طبعة أوروبة.

4- مجلة الهلال: السنة 6، ج8، 1897، ص296.

5- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص28.

ولما كان قيدما Kedemeh هو أحد أبناء إسماعيل في اصطلاح التوراة فيكون أبناء قيدما من العرب الإسماعيليين[5]. وقد ذكر في موضع من التوراة أنهم كانوا يقطنون المناطق الشرقية لفلسطين قرب البحر الميت المعروف في العبرانية بـ هايم هقدموني، أي البحر القدموني-البحر الشرقي[1].

وقد كان القدمونيون، أي بنو قديم أعراباً يقطنون في بادية الشام، وأشباه أعراب، أي رعاة وأشباه حضريين، واللفظة لا تعني قبيلة واحدة معينة، أي علمية، ولا تعني قبائل معينة، وإنما هي لفظة عامة أطلقت على الساكنين في الأماكن الشرقية بالنسبة إلى العبرانيين[2].

ونجد في الكتب اليونانية لفظة لها علاقة بطائفة من العرب، هي Skenitis وقد أطلقت خاصة على أعراب بادية الشام، وقصد بها الأعراب سكان الخيام أي «أهل الوبر في اصطلاح العرب، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنها من الخيمة التي هي منزل الأعرابي، لأن الخيمة هي Skene، فالمعنى إذن سكان الخيام[3].

وقد ذكر سترابون، - وسماه العرب اسطرابون - مؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني أن الـ Scenitae كانوا نازلين على حدود سورية الشرقية، كما ذكر أن منهم من كان ينزل شمال العربية السعيدة وهم سكان خيام. وقد فرق بيهم وبين البدو تفريقاً ظاهراً، وميزهم عن غيرهم من الأعراب بسكانهم في الخيام، وقال عنهم في موضع آخر: ((أنهم يمثلون بصورة عامة بدو العراق، وأنهم يعتنون بتربية الإبل))[4].

1-لغة العرب، ج4، من السنة 7، ص294، ود. جواد علي: المرجع السابق، ص29.

2- حزقيال، الإصحاح/44/الآية/18/.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 30.

4-Strabo Vol p 198.

وقد ذكرهم بلينيوس[1] كذلك، فدعاهم بـ Secenitoe، وقد كانوا يقيمون في البادية. وقد حاربهم سبتيموس سفيروس[2].

وعرف العرب عند الفرس وعند بني إرم بتسمية أخرى، هي Tayayo وTaiy، أما علماء عهد الثلمود من العبرانيين، فأطلقوا عليهم لفظة «طيعا يظهر»، أخذ من لفظة طيء اسم القبيلة العربية الشهيرة على رأي أكثر العلماء وكانت تنزل في البادية في الأرضين المتاخمة لحدود امبراطورية الفرس، وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام، ولهذا صار اسمها مرادفاً للفظة العرب-عرب[3].

واستعملت النصوص الفهلوية لفظة «تاجك في مقابل عرب، كما استعملت الفارسية لفظة «تازي» بهذا المعنى أيضاً، واستعمل الأرمن كلمة تجك Tachik في معنى عرب ومسلمين، واستعمل الصينيون لفظة تشي لهذه التسمية، وقد عرف سكان آسية الوسطى الذي دخلوا في الإسلام بهذه التسمية، كما أطلق الأتراك على الإيرانيين لفظة «تجك»، من تلك التسمية، حتى صارت لفظة تجك تعني الإيراني في اللغة التركية[4].

وربّ سائل يقول: لقد كان للعرب قبل الإسلام لغات، مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها، اختلفت عن عربية القرآن الكريم اختلافاً كبيراً، حتى إن أحدنا إذا قرأ نصاً مدوناً بلغة من تلك اللغات عجز

1- كايوس بلينيوس سكُندوس، عالم ومؤرخ ورجل دولة روماني عاش في القرن الأول الميلادي، يُعرف أيضاً باسم بلينيوس الأكبر.

2-راجع المواضع المشار إليها من جغرافية سترابون،

Dio, p, 254, Encyclopedia of Biblical literature, by, john kitto I,P 148.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص31.

4- المرجع السابق، ص32.

عن فهمه، وظن إذا لم يكن له علم بلغات العرب الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم، فماذا سيكون موقفنا من أصحاب هذه اللغات، وهل نعدهم عرباً؟.

والجواب أن هؤلاء، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا، فإنهم عرب لحماً ودماً، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب، لم يردوا إليها من الخارج، ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غربية، فهم إذن عرب مثل غيرهم، وكل لغات العرب هي لغات عربية، وإن اختلفت وتباينت وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلاّ لغة واحدة من تلك اللغات، ميزت من غيرها، واكتسبت شرف التقدم والتصدر بفضل الإسلام، وبفضل نزول الكتاب بها، فصارت اللغة العربية الفصحى ولغة العرب أجمعين.

وحكمنا هذا ينطبق على النبط أيضاً وعلى من كان شاكلتهم، وإن عدهم علماء النسب والتاريخ واللغة والأخبار من غير العرب، وأبعدوهم عن العرب والعربية، فقد كانت أولئك وهؤلاء عرباً أيضاً، مثل عرب اليمن المذكورين ومثل ثمود والصفويين واللحيانيين، لهم لهجاتهم الخاصة، وإن تأثروا بالآرامية وكتبوا بها فقد تكلم اليهود بالآرامية ونسي كثير منهم العبرانية، ولكن نسيان أولئك اليهود العبرانية، لم يخرجهم مع ذلك عن العبرانيين.

وسترد في بحثنا عن تاريخ الجاهلية أسماء قبائل عربية كثيرة عديدة لا عهد للإسلاميين بها، ولا علم لهم عنها، ذكروا في التوراة وفي كتب اليهود الأخرى وفي الموارد اللاتينية واليونانية والكتابات الجاهلية، وإذا جاز لأحد الشك في أصل بعض القبائل المذكورة في كتب اليهود أو في مؤلفات الكتبة الكلاسيكيين على اعتبار أنها أخطأت في إدخالها في جماعة العرب، فإن هذا الجواز يسقط حتماً بالنسبة إلى القبائل المذكورة في الكتابات الجاهلية، وبالنسبة إلى القبائل التي دونت تلك الكتابات.

فهي كتابات عربية، وإن اختلفت عن عربيتنا وباينت لغتها لغتنا، لأنها، لأنها لهجة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب.

فسبيلنا، هو الأخذ بكل العرب: العرب الذين تعارف العلماء الإسلاميون على اعتبارهم عرباً، فمنحوهم شهادة العروبة، بحسب طريقتهم في تقسيمهم إلى طبقات، وفي وضعهم في أشجار نسب ومخططات، والعرب المجهولين الذين لم يمنحوا هذه الشهادة بل حرموا منها، ونص على إخراجهم من العرب كالنبط على ما ذكرت والعرب المجهولين كل الجهل الذين لم يكن للمسلمين علم ما بهم، ولم يكن لهم علم حتى بأسمائهم، لأنهم بادوا قبل الإسلام، أو لأنهم عاشوا في بقاع معزولة نائية، فلم يصل خبرهم إلى الإسلاميين، فلما شرع المسلمون في التدوين، لم يعرفوا عنهم شيئاً، فأهملوا، ونسوا مع كثير غيرهم من المنسيين.

سئل أحد علماء العربية عن لسان حمير، فقال: ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا))[1].

ولكن علماء العربية لم يتنصلوا من عروبة حِميَر، ولا من عروبة غيرهم ممن كان يتكلم بلسان آخر مخالف للساننا، بل عدّوهم من صميم العرب ومن لبّها، ونحن لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربية المنسية عروبتها، لمجرد اختلاف لسانها عن لساننا، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها، فلغتها هي لغة عربية، ما في ذلك شك ولا شبهة، وإن اختلفت عن لسان يعرب أو أي جدّ آخر يزعم أهل الأخبار أنه كان أول من أعرب في لسانه، فتكلم بهذه العربية التي أخذت تسميتها من تحديد الدار العربية من زاوية الحقبة المدروسة.

1- محمد بن سلام **الجمحي**: طبقات فحول الشعراء، ص4 وما بعدها

تحديد الدار العربية من زاوية الحقبة المدروسة

ونقصد بهذا التحديد المصاقب «المقارب» لفترة دراستنا، وهي فترة ما قبل ظهور الإنسان، وليس المقصود بالدار العربية الإقليم العربي الحديث المعهود في أدبياتنا القومية.

لقد قسم اليونان واللاتين جزيرة العرب إلى أقسام ثلاثة:

- ✓ العربية السعيدة: Arabia felise.
- ✓ العربية الصخرية والحجرية: Arabia petrea.
- ✓ العربية الصحراوية: Arabia Deserto.

وهو تقسيم يتفق من الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية من القرن الأول للميلاد:

- ➢ فالقسم الأول: فقد كانت مستقلاً وهو الآن خارج عن بحثنا.
- ➢ والقسم الثاني: قريب من الرومان ثم أصبح تحت نفوذهم.
- ➢ وأما القسم الثالث: فهو البادية الشام حتى نهر الفرات[1].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص163.

ونظـراً لأن دراسـتنا تتعلـق بـالعرب مـن الهـلال الخصـيب مستقصـر علـى دراسة العربية الصحراوية ثم العربية الصخرية.

العربية الصحراوية:

لم يعين الكتّاب اليونان واللاتين حدودها يقيناً دقيقاً، ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام، أي البادية المعروفة عندنا ب بادية الشام، ويكون نهر الفرات الحدود الشرقية لها إلى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة، وأما الحدود الشمالية، فغير ثابتة، بل كانت تتبدل بحسب الأوضاع السياسية، والأمر نفسه بالنسبة للحدود الغربية على أنه يمكن أن يقال بصورة عامة إن حدودها هي المناطق الصحراوية التي تصاقب «تقارب الأرضين الزراعية لبلاد الشام»، فما كان بعيداً عن إمكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم عد من العربية الصحراوية.

ويفهم من العربية الصحراوية أحياناً بادية السماوة وقد يجعلون حدودها على مقربة من بحيرة النجف، أي في حدود الحيرة القديمة، حيث تبدأ بطائح كلدية التي كانت تشغل إذ ذاك مساحة واسعة من جنوب العراق وعرفت عند بطليموس باسم Amardocaea، وهي تمتد حتى تتصل ببطائح Maisonios Kolpos أو خليج مسينوس–خليج ميسان، الذي يكون امتداد الخليج العربي[1].

وكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمي، عدّ في العربية السعيدة وقد فهم ديودورس في العربية الصحراوية المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل المتبدية، وتقع في شمالها وفي شمالها الشرقي في نظرة أرض مملكة تدمر، وأما حدها الشمالي الغربي والغربي حتى ملتقاها بالعربية الحجرية، فتدخل في جملة بلاد الشام، وأما

1–د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص164، وانظر:

forster Vol2 ,p 110.

حدودها الشرقية، فتضرب في البادية إلى الفرات، فأراد بها البادية إذن، وقد جعل من سكانها الإرميين والنبط[1].

وتقابل العربية الصحراوية، ما يقال له أربى عند الأشوريين، وماتوا أربى عند البابليين، وأربابة عند السريان والفرس.

وكانت البادية، بادية الشام، أو العربية الصحراوية، مأهولة بالقبائل العربية، سكنتها قبل الميلاد بمئات السنين، وليست لدينا، نصوص كتابية قديمة أقدم من النصوص الأشورية التي كانت أول نصوص أشارت إلى العرب في هذه المنطقة، وذكرت أنه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك.

وأقدم هذه النصوص هو النص الذي يعود تاريخه إلى سنة/854 ق.م/، وقد ورد فيه اسم العرب في جملة من كان يعارض السياسة الأشورية، ولما كان هذا النص يشير إلى وجود مشيخة أو مملكة عربية، يحكمها ملك فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا في هذا العهد في هذه البادية، بل تشير كل الدلائل إلى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد بأمد، وربما كان قبل الألف الثاني قبل الميلاد[2].

العربية الحجرية أو الصخرية:

وتشمل الأرضين التي يسكن فيها الأنباط، ويطلق ذلك الاسم، على شبه جزيرة سيناء، وعلى المملكة النبطية، وعاصمتها بترا- البتراء[3].

وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب، ففي عهد الحارث الرابع ملك الأنباط/من سنة 9ق.م إلى سنة 40ب.م/اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية مدينة دمشق.

1- د. جواد علي: المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، ص165.

2- المرجع السابق، ص165

3- المرجع السابق، ص166.

ولما ضعف أمر النبط، استولى الامبراطور "تراجان"[1] عام/106م/على هذه المقاطعة وضمها إلى المقاطعة التي كوّنها الرومان وأطلقوا عليها اسم المقاطعة العربية Provincia Arabia.

ويظهر من وصف "ديودورس" لهذه المنطقة أنها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت، وجنوبه الغربي وفي شمال العربية السعيدة وغربها[2].

وإن الأنباط يقيمون في الأرضين الجبلية وفي المرتفعات المتصلة بها التي في شرق البحر الميت، وفي شرق وادي العربة، وفي جنوب اليهودية حتى الخليج العربي خليج العقبة[3].

وأما الأقسام الباقية، فكانت تسكنها قبائل عربية قيل لها سبئية، وهي تسمية كانت تطلق عند الكتبة اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة أسماؤها والتي تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان، ويعنون بذلك قبائل جنوبية في الغالب[4].

1- الإمبراطور تراجان وهو ماركوس أليبيوس نيرفا ترانوس أغسطس ثاني الأباطرة الأنطونيين الرومان، و الامبراطور الروماني الثالث عشر، وبلغ بالإمبراطورية الرومانية أوج اتساعها.

2-Diodorus 11, 48,Musil, Hegar,P 309.

3-Musil Hegar P309, Deaerta, P 499.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص166

إقليم الجزيرة العربية وأثر انفعال الهلال الخصيب بذلك

لا بد من الإشارة – بادئ ذي بدء- إلى أن الجزيرة العربية فهذه السامية، ومنها انطلقت موجات السامية إلى المناطق المجاورة، حتى أن بعض هذه الموجات – وهم البربر الذي أصلهم من اليمن- وصل إلى الجزائر والمغرب.

وكما قلنا سابقاً فمنها تكلمنا عن العامل الذاتي- إرادة الإنسان- فلا بد أن نعير الأهمية للمنطق الموضوعي- الحتم الجغرافي، وبالتالي فشخصية الطبيعة- الإقليم هي المفتاح لفهم شخصية الأمة خصوصاً فإن هذا التأثير يظهر جلياً في المناطق بمعنى أن شخصية الطبيعة- الإقليم هي المفتاح لفهم شخصية الأمة...

ولا شك أن الشخصية الإقليمية يتجاوز المحصلة الحسابية لخصائص وتوزيعات الإقليم، فهي السؤال الذي ينفذ إلى روح المكان ليستشف عبقريته الذاتية والتعبير الحر والبوح الطبيعي لهذه الشخصية.

ويهمنا – كما قلنا- دراسة شخصية إقليم الجزيرة في علاقته من الوجهة الطبيعية بالتحديد مع الجزيرة العربية.

ويرى بعض الباحثين أن البحر الأحمر لم يكن وحده نتيجة خسف أصاب بلاد العرب ففصلها عن إفريقية إلا من جهة طور سيناء، بل إن سواحل بلاد العرب الأخرى أي السواحل الجنوبية والسواحل الشرقية، تعرضت هي أيضاً لهزّات عديدة فخسفت في مواضع عديدة مثل عدن، حيث تكون خليج عدن، ومثل الخليج العربي، وكانت هذه الهزات والتصدعات استجابة لتصدع واهتزازات حدثت في الشمال على مقربة من حدود بلاد الشام، فامتدت إلى وادي الأردن والبحر الميت

فوادي عربة إلى خليج العقبة، وهكذا تعرضت جزيرة العرب في عصور سيحقه في القدم قبل الميلاد لهزات وتحركات أرضية، حتى جعلتها على الشكل الذي نراه عليه الآن[1].

وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي، فيكون النفوذ الشمالي من الحدود التي تفصل الهلال الخصيب عن جزيرة العرب، أما من الناحية الجيولوجية، فإن باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن تربة الجزيرة، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب، وأما من الناحية التاريخية، فإن هذا الخط الوهمي المتصور، هو وهم وخطأ، فقد سكن العرب في شمال هذا الخط قبل الميلاد بمئات السنين، سكنوا في العراق من ضفة نهر الفرات الغربية، وامتدوا في البادية حتى بلغوا أطراف الشام، وسكنوا في فلسطين وطور سيناء، حتى بلغوا ضفاف النيل الشرقية، وهي أرضون أدخلها الكتبة القدامى من يونان ولاتين وعبرانيين وسريان في جملة مساكن العرب، ودعوها بـ العربية وبـ بلاد العرب، لأن أغلب سكانها كانوا من العرب، حتى ذهب بعض علماء التوراة، إلى أن بلاد العرب في التوراة، هي مواطن الإسماعيليين والقطورين، أي البوادي التي نزلت بها القبائل المنتسبة إلى إسماعيل وقطوره[2].

وإذا نظرنا نظرة عامة إلى خارطة جزيرة العرب، نرى أنها أرضون مرتفعة في الغرب، تسيطر على السواحل الضيقة، وتكوّن سلاسل من المرتفعات متصلاً بعضها ببعض، تمتد من بلاد الشام إلى اليمن، ويقال لهذه المرتفعات جبال السّراة.

1–B.R. 527 Restricted, Geographical Handbook: Series for official use only, western Arabia and the red sea, June 1946, Novel intelligence Division, P11.

2–O'Leary:Arabia before Muhammad, P5.

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر، فإنها ضيقة، تسيطر عليها هذه المرتفعات، وتنحدر إليها انحداراً شديداً قصيراً.

وتكثر الحرار جمع حرّة في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وتمتد حتى تتصل بالحرار التي في بلاد الشام، في منطقة حوران، ولا سيما في الصفاة[1].

وتفصل العراق عن بلاد الشام بادية واسعة، تعرف بـ «بادية الشام أو البادية أو خساف»، ويقال للقسم الجنوبي منها- وهو القسم الذي بين الكوفة والسماوة من جهة، وبينها وبين الشام من جهة أخرى- بادية السماوة[2].

وتكون سلسلة جبال السراة العمود الفقري لجزيرة العرب وتتصل فقراته لسلسلة جبال بلاد الشام المشرفة على البادية المتحكمة فيها تحكم الجنود في القلاح[3].

من نتائج غلبة الطبيعة الصحراوية على أرض جزيرة العرب، أن انحصر امتداد شرايين المواصلات فيها في أماكن خططتها الطبيعة نفسها للإنسان، فجعلتها تسير بمحاذاة الأودية ومواضع المياه والآبار، وهي السبل الوحيدة التي يستطيع المسافر ورجال القوافل أن يستريحوا في مواضع منها ويحملوا منها الماء.

وتنتهي رؤوس هذه الطرق بالعراق وببلاد الشام في الشمال وبالعربية الجنوبية وبموانئها في الجنوب، وهناك طرق أخرى امتدت من العربية الشرقية إلى العربية الغربية، ولها مراكز اتصال بالطرق الطويلة الممتدة من الشمال إلى الجنوب في الغالب.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص147.

2- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري: فتوح البلدان، 463/3.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص157.

وقد أقيمت في مواضع من هذه الطرق مواضع سكني ذات مياه من عيون أو آبار، عاشت ونمت بفضل منة مائها عليها، فصارت منازل مريحة لرجال القوافل يحمدون ألهتهم عليها، ويحمد أصحاب ذلك الماء آلهتهم على منتها عليهم بإعطائهم ذلك الكنز العظيم الذي أعانهم على العيش وجلب لهم كرم التجار وفي العقد الحساسة من هذه الطرق نشأت المستوطنات، ومواطن السكني القديمة انتشرت في أماكن متباعد بعضها عن بعض في الغالب، فكان لهذا التوزيع آثر كبير في الحياة الاجتماعية والحياة السياسية والعسكرية، ولا شك، وما الطرق الحالية التي يسلكها الناس اليوم إلى بقية من بقايا تلك الطرق القديمة التي ربطت أجزاء الجزيرة بعضها ببعض، كما ربطت الجزيرة بالعالم الخارجي، ونجد في مخلفات تلك المستوطنات مواد مستوردة من مواضع بعيدة، هي دليل بالطبع على أن الإنسان كانت يقطع الطرق قبل الميلاد بمئات من السنين ليتاجر ويبيع ويشتري دون أن يبالي ببعد المسافة وطول الشقة وصعوبة الحصول على وسائل النقل وما يتعرض له، وهو في طريقه إلى هدفه، من مخاطر وأهوال[1].

ولم تحول الطرق المارة بالعربية الشرقية أي ساحل الخليج العراق بتجارة جزيرة العرب وبالمواد المستوردة إيها من الهند، بل مولتها بموجات من البشر منذ آلاف السنين قبل الميلاد، إذ كانت القبائل العربية النازحة من الجنوب تحط رحالها على هذا الساحل انتهازاً لفرصة ملائمة ترحل خلالها إلى العراق لتستقر فيه، وقد سلكت أكثر القبائل العربية التي استوطنت العراق هذا السبيل حين هاجرة إليه قبل الميلاد وبعده[2].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص220.

2- المرجع السابق، ج1، ص221.

وتعد نجران من أهم المواضع المهمة الحساسة في شبكة المواصلات البرية قبل الإسلام ففيها تلتقي طرق المواصلات الممتدة في الجنوب، وفيها يتصل الطريق البري التجاري المهم الممتد إلى بلاد الشام فيلتقي بطريق العربية الجنوبية، وفيها يسير الطريق المار إلى الدواسر فالأفلاج واليمامة أو ساحل الخليج ومنه إلى العراق[1].

هذه صورة بسيطة جداً عن شخصية إقليم الجزيرة العربية لجهة علاقتنا بالهلال الخطيب.

ونحن نرتب على ذل النتيجتين الآتيتين:

حصانة شخصية إقليم الجزيرة العربية تجاه الخارج بما يترتب على ذلك من نتائج أهمها حماية تلك الدار من الغزو والعدو الخارجي بسبب جفافها ووعورتها واتساعها ووجود الحشرات والهوام وغير ذلك ولقد تركت الأفاعي والحيات أثراً كبيراً في القصص العربي، ولما كان بعضها كبيراً لحجم يقفز من يهاجمه بسرعة خاطفة، أفرغ الناس من البوادي والأودية وترك في مخيلاتهم آثاراً يامنة مباركة لا تنسى.

وتعيش في الرمال وفي الغابات وبين الصخور فصائل من الحيات مختلفة الأحجام بعضها يقفز قفز بعض السمك فلا يشعر المار إلا وأمامه حية قافزة ولقد زعم أن لبعض الحيات أجنحة وكون وجودها قصصاً في محتلة الأشوريين واليونان[2].

وقد فزع جيش "أسرحدون"[3] في أثناء اختراقه البادية من كثرة الثعابين والحيات التي كانت تثور عليهم وتقفز أمامهم كما يقول نص أسرحدون وذكر أن من بينها

1- المرجع السابق، ص221.

2-Herodotus, 111, 107, Strabo X V I ,p 4.

3- معنى الاسم: من أصل آشوري، معناه آشور يعطي أخا، وورد اسمه في التناخ بصيغة أسرحدّون، هو ابن سنحاريب وحفيد سرجون وهو من ملوك آشور، الوفاة **669** ق.م.

ثعابين ذات رأسين، وأن من بينها ماله جناح فيطير، ولما مر الجيش بأرض بازو وجد الأرض مغطاة بالثعابين والعقارب[1].

هذه صورة خاضعة عن طبيعة إقليم الجزيرة العربية وإذا أضفنا ذلك إلى بقية العوامل الطبيعية اتضح سر فشل الغزو الخارجي لهذا الإقليم من قبل الأشوريين "شلمنصر" والبابليين بنو بند واتخاذه تيماء عاصمة له ثم بختنصر، واسكندر الكبير، والرومان غزوة غالوس إلى العربية الجنوبية وفشله الذريع، وأخيراً فشل حملة الأحباش بقيادة أبرهة الأشرم.

وما ترتب على حصانة إقليم الجزيرة العربية من الغزو الخارجي إن هذا الإقليم أتيح له الاستقلال والحماية والحصانة والتطور الذاتي اللازم والدرفة المصادرة التي تحميه من الخارج، تلك الدرفة التي لخصها القرآن الكريم بقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴿20﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ المرسلات/**20-21**.

فالماء المهين الحياة يحتاج للترعرع والنمو خلال مقومات الحماية والصيانة لكي يتوفر له النشوء والارتقاء.

وفضلاً عن ذلك فقد وفرت تلك الحماية المجال لنمو الشخصية المجتمعية بخصائصها الثقافية تمهيداً لبروز الدور الذي سنلعبه على صعيد ووحدة الأمة، بعكس المراكز الإقليمية الأخرى كمصر والهلال الخصيب أمام هذا التسلط من الغزو الخارجي الفارسي والروماني.

و**باختصار** فالإقليم العربي شكل وحدة جغرافية متفتحة لجهة مصر والهلال الخصيب ولكنه متبع في المركز متعة حماية ولكنها لم تمنع من تأثره واتصاله

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص207.

بالعالم الخارجي منذ فجر التاريخ وركوبه البحار كما حدث بالنسبة لسكان الخليج العربي وعمان واليمن وتكوين هؤلاء لأنفسهم مستوطنات في أفريقيا.

هذه الوحدة الجغرافية للدار العربية صيرها مفتوحة سهلة التنقل بالنسبة لأهليها بما يترتب على ذلك من التواصل الحضاري منذ أقدم العصور.

وهنالك دفقات مستمرة من الجزيرة العربية إلى مصر عبر سيناء من ذلك هجرة الهكسوس وحكمهم لمصر، ومن ذلك هجرة البربر من اليمن عبر سيناء تم هجرة الفينيقيين وإقامتهم قرطاجة التجارية من تونس.

ويتبين من محض الأدوات الحجرية المكتشفة في الدوادمي تبعد 375 ميلاً عن الخليج إن هذه الأدوات الحجرية من النوع المستورد من فلسطين أو من بلاد الشام[1] وذهب "فيلد M.field" إلى أن اليمن وعدن كانتا مأهولتين بالسكان في العصور النيوليثية[2]، ثم هاجر قسم من الناس إلى عمان والخليج وهاجر فريق آخر إلى شبه جزيرة سيناء وفلسطين والأردن[3].

وعثر على كهوف من الجزيرة العربية صورت على جدرانها صور حيوانات وصور الشمس على طريق التجارة القديمة في العربية الجنوبية ووادي عزمة وهي تشبه الصور التي عثر عليها في الأردن[4].

وعثر في البحرين على أدوات صوانية تشبه الأدوات التي عثر عليها في شمالي العراق وفلسطين[1].

1–Geoger. Journol Vol X e 111 No,1 January 1939.

وانظر د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب ج1 ص530.

2– مصطلح يطلق على المرحلة الأخيرة من العصور الحجرية، ويعني العصر الحجري الحديث.

3– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص532.

4– المرجع السابق، ص533.

وعثر على أدوات في الصوان في الربع الخالي وفي حضرموت منذ عهد chaslcobthic وهي من النوع الذي عثر عليه في جنوب فلسطين[2].

ويتبين من الآثار المكتشفة والتي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد أن أهل البحرين كانوا يتبعون عادة ومن موتاهم كما هو متبع في العراق[3].

وتدل الأدوات المكتشفة أن شعوب جزيرة العرب في الأزمنة البعيدة كانت على اتصال مع العراق وبلاد الشام[4].

والعراق وبلاد الشام أي الأرضون التي يقال لها الهلال الخصيب هي من الناحية الطبيعية وحدة لا يستطاع فصلها عن جزيرة العرب وامتداد طبيعي لها[5] وليست البادية الواسعة التي تملأ باطن الهلال إلا جزءاً من جزيرة العرب وامتداداً لها لا يفصلها عنها فاصل[6].

وتاريخ ظهور العرب في بادية الشام وفي أطراف الهلال الخصيب تاريخ طويل جداً لا يستطيع تجديد مبدئه[7].

وإن أصل الفينيقيين هو من البحرين وقد هاجروا إلى أرض فينيقية وسواحلها وما كان ذلك ليتم لو كانت جزيرة العرب بمعزل عن الهلال الخصيب وإن حكام العراق

1- المرجع السابق، ص 534 وانظر:

James H.D. Belgrive; welcome to bohram fandom 1965 P50.

2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص535.

3- المرجع السابق، ص 536.

4- المرجع السابق، ص544.

5-الهلال الخصيب fertiee grscent اصطلاح أطلقه برستبد لأول مرة بهذا المعنى على الفرس المتكون من العراق وبلاد الشام انظر جواد علي: المرجع السابق، ص544.

6- Franz Stuhlmann: Der kampf um Arabien.

7- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص544.

استولوا على العروض في الألف الثالثة قبل الميلاد وكانت دلمون[1] محطة تجارية هامة بين الهند وأفريقيا وسواحل الخليج والعراق، ثم لينتقل إلى بلاد الشام ومنها إلى البحر الأبيض لبيعها إلى أهل اليونان وبقية أرجاء أوروبا[2].

وقد نزلت جاليات عراقية في البحرين والعكس وما الإله آنذاك الذي عبد في جنوب العراق إلا علامة على هجرة أهل البحرين إلى العراق والكتابات الآشورية إلى مشارف بلاد الشام[3].

وروى الطبري أن العرب الذي اسكنهم "بختنصر" الحيرة انضموا بعد وفاة هذا الملك إلى أهل الأنبار[4].

وللسيطرة على حركات الأعراب ولضيفهم أقامت حكومات العراق وبلاد الشام لها مسالح أي مواضع خصيبة تعسكر فيها قوات نظامية وصعب فيها المؤن والذخائر والرجال[5].

وتوغلت القبائل العربية في طور سيناء منذ القدم ولا بد أن تكون هذه القبائل قد نزلت مصر أيضاً، وكانت تحمل السلع وبين حملتيها البخور والمر والحاصلات الأخرى[6].

---

1 –دلمون هي حضارة قامت في جزيرة البحرين وشرق الجزيرة العربية وعرفها السومريون بأرض الفردوس وأرض الخلود والحياة، كان مركزها قبل الخمسة آلاف سنة تقريباً في جزر البحرين وجزيرة تاروت في القطيف.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص545 و 546.

3–المرجع السابق، ص546.

4–المرجع السابق، ص548.

5–المرجع السابق، ص551.

6–المرجع السابق، ص 552.

ويظهر من أقوال هيرودوت وبلنيتوس أن الأقسام الشرقية من مصر كانت مأهولة بقبائل عربية[1]، وقد أطلق على البحر الأحمر اسم الخليج العربي sinns Arobiens أشار إلى أهمية العرب عليه[2].

وديلون هي أرض السلامة والثقافة التي لا ينقب فيها غراب ولا ترفع الطيور أصواتها ولا تفترس أسودها، ولا يأكل ذئب فيها حمل وهي الحية الأسطورية السومرية[3] وتحدثنا الموارد التاريخية أن فتوحات "لوكال زاكيزي"[4]/2400 – 3271 ق.م/وفدت من الخليج العربي إلى البحر الأعلى إلى البحر الميت[5].

وإن الإحاطة بمجمل الوقائع التي تؤكد هذا التواصل القديم بين أطراف الدار العربية يخرج عن غرضنا، وقد اكتفينا بذكر هذا القدر اليسير.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص553.

2 –Hirodolin Vol I.P 110.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص553.

4-رجل عراقي سومري بطل أسمة لوكال زاكيزي، رأى العراق منقسم قبل 5000 سنة فحاول إن يوحده أرضاً و شعباً وتاريخ مصيري واحد.

5- Ancient I rok.P 129.

هذا، وإن مما يلاحظ على الكتابات العربية الجنوبية أن التي ترجع منها إلى العهود القديمة من تاريخ جنوب بلاد العرب، قليلة، وكذلك الكتابات التي ترجع إلى العصور الحميرية المتأخرة، أي القريبة المتصلة بالإسلام، ولذلك أصبحت أكثر الكتابات التي عثر عليها حتى الآن من العهود الوسطى المحصورة بين أقدم عهد من عهود تاريخ اليمن وبين أقرب عهود اليمن إلى تاريخ الإسلام، وأكثرها خلو من التاريخ غير عدد منها يرد فيه أسماء ملوك وملكات أرخت بأيامهم.

لكننّا لا نستطيع تعيين تاريخ مضبوط لزمانهم، لعدم وجود سلسلة لمن حكم أرض اليمن، ولعدم وجود جداول بمدد حكمهم، ولفقدان الإشارة إلى من كان يعاصرهم من الملوك والأجانب.

أما الكتابات العربية الشمالية المؤرخة، فهي معدودة، وهي لا تعطينا لهذا السبب فكرة علمية عن تاريخ الكتابات في الأقسام الشمالية والوسطى من بلاد العرب.

وقد أرخ شاهد قبر "امرؤ القيس" في يوم/7/كسلول هو الشهر التاسع من الشهور المتداولة في العراق وفي بلاد الشأم. وأصله "كسلو"، وهو بابلي من سنة/223//328م/وهذه السنة هي من سني تقويم بصرى Bostra، وكان أهل

الشام وحوران وما يليهما، يؤرخون بهذا التقويم في ذلك العهد، ويبدأ بدخول بصرى في حوزة الروم سنة/105/م[1].

وعثر على كتابة في خرائب زيد بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب، كتبت بثلاث لغات: اليونانية والسريانية والعربية، يرجع تاريخها إلى سنة/823 للتقويم السلوقي/الموافقة لسنة/512م/، والمهم عندنا هو النص العربي، ولا سيما قلمه العربي، أما من حيث مادته اللغوية، فإن أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة[2] وأرخت كتابة حرّان اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقطية الأولى، وهي تقابل سنة/568م/، والأندقطية، هي دائرة ثماني سنين عن الرومانيين، وكانت تستعمل في تصحيح تقويم السنة، أما النص العربي، فقد أرخ بسنة 463 بعد مفسد خيبر بعم عام[3]، ورأس الأستاذ ليتمن أن عبارة بعد مفسد خيبر بعم، تشير إلى غزوة قام بها أحد أمراء غسان لخيبر[4].

وفي استعمال هذه الجملة التي لم ترد في النص اليوناني، دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التي تقع بينهم.

هذا وقد أشار "المسعودي" إلى طرق للجاهليين في توريخ الحوادث، تتفق مع ما عثر عليه في الكتابات الجاهلية المؤرخة، فقال: ((وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثير، فأما حِميَر وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1ص51.

2- R. Dussaud, Les Arabes en Syrie, PP 34, Nabia, P4.

3- سومر، العدد المذكور، ص132.

4 -Rivista degli Studi Orientali, 1911, P 195.

بأرض اليمن، فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة – ملوك التبابعة هم بنو حمير كانوا باليمن– وغيرهم))[1]، ثم ذكر أنهم أرخوا أيضاً بما كان يقع لديهم من أحداث جسيمة في نظرهم، مثل نار صوان، وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصي بلاد اليمن، ومثل الحروب التي وقعت بين القبائل والأيام الشهيرة.

وقد أورد جريدة بتواريخ القبائل إلى ظهور الإسلام[2]. وذكر "الطبري" أن العرب لم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك، غير أن قريشاً كانوا – فيما ذكر– يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة كتاريخهم بيوم جبلة وبالكلاب الأول والكلاب الثاني[3].
ويقصد بالكتب الكلاسيكية الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام.

ولهذه الكتب أهمية كبيرة، لأنها وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها شيئاً، وقد استقى مؤلفوها وأصحابها معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان أو الرومان إلى بلاد العرب، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة ظهرانهم، ولا سيما في بلاد الأنباط، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة.

وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار

1– أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي التنبيه والإشراف، ص172، القاهرة 1938 دار الصاوي.

2–المرجع السابق، ص172 وما بعدها.

3– محمد بن جرير **الطبري**: تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ تاريخ الطبري 193/1، طبعة دار المعارف.

البحر المتوسط وقد استقى كثير من الكتاب الكلاسيكيين معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية[1].

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين أخيلس/456 – 525 Aescylus ق.م/، وهيرودتس 480 – 425 ق.م وقد زار مصر، وتتبع شؤون الشرق وأخباره بالمشاهدة والسماع، ودونّ ما سمعه، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي[2].

ومنهم ثيوفراستوس Theophrostus،/حوالي 371 – 287 ق.م/مؤلف كتاب Historia Plontorum وكتاب DeCavsis plantorum وفي خلال حديثه عن النبات تطرّق إلى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها مختلف الأشجار، ولا سيما المناطق الجنوبية التي كانت تصدّر التمر واللبان والبخور والأفاوية التوابل[3] وقد أفرد سترابون في جغرافيته فصلاً خاصاً من الكتاب السادس عشر ببلاد العرب، ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم في عهده، ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية، وحملة أوليوس غالوس–أوليوس كالوس Aelius Gallus المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من إخفاقه. ولأخبار هذه الحملة التي دوّنها سترابون في جغرافيته، أهمية خاصة، إذ جاءت بمعلومات عن نواحي من تاريخ العرب تجهلها، وقد شارك هو نفسه في الحملة، وقد كان صديقاً لقائدها، فوصفه وصف شاهد عيان[4] وقد استهل وصف الحملة بهذه العبارة: ((لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة أوليوس غالوس في أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد))[5].

1– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 56.

2– المرجع السابق، ص57.

3– المرجع السابق، ص57.

4– المرجع السابق، ص58.

5– المرجع السابق، ص59.

وممن تحدث عن العرب "بلينيوس" المتوفى سنة/79م/، ومن كتبه المهمة كتابه **التاريخ الطبيعي** Naturolis Historia في سبعة وثلاثين قسماً، وقد نقل في كتابه عمن تقدمه، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه، غير أنه أتى في أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر من كتب المؤرخين الآخرين.

وهناك مؤلف يوناني مجهول، وضع كتاباً، سماه **الطواف حول بحر الأريتريا** Periplus Maris Erythraei the Periplus of the Erythroean Sea أتمه في نهاية القرن الأول للمسيح في رأي بعض العلماء، أو بعد ذلك في حوالي النصف الأول من القرن الثالث للميلاد في رأي بعض آخر، وقد وصف فيه تطوافه في البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية، والظاهر أنه كان عالماً بأحوال الهند وشواطئ أفريقية الشرقية، ولعله كان تاجراً من التجار الذين كانوا يطوفون في هذه الأنحاء للإتجار، ولم يعتن إلا بأحوال السواحل.

أما الأقسام الداخلية من جزيرة العرب، فيظهر أنه لم يكن ملماً بها إلماماً كافياً[1].

وهناك طائفة من الكتّاب الذين تركوا لنا آثاراً وردت فيها إشارات إلى العرب والبلاد العربية، مثل أبولودورس Apollodorus/المتوفى سنة 140 بعد المسيح/، وبطليموس Cloudius Ptolemaes الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثاني للمسيح، وهو صاحب مؤلفات في الرياضيات منها **كتاب المجسطي**[2] المعروف في اللغة العربية.

ولهذا الكتاب شهرة واسعة، وقد درسٍ في أكثر مدارس العالم إلى ما بعد انتهاء القرون الوسطى. جمع فيه بطليموس ما عرفه العلماء اليونان وما سمعه هو بنفسه.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص59.

2- كتاب المجسطي، هو كتاب في الفلك والرياضيات وألفه العالم الإغريقي بطليموس عام 148م في الإسكندرية، ويعتقد أنه أقدم كتاب معروف في الفلك.

وقد تكلم في كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها، وزينّ الكتاب بالخارطات التي تصور وجهة نظر العلم إلى العالم في ذلك العهد[1].

ومن الذين أوردوا شيئاً عن أحوال بلاد العرب أريان Arrian florius Arrionu –95 175/م/، وقد ألف كتباً عديدة، منها كتابه Anabasis of Alexander the Great في خمسة عشر قسماً، وصف في سبعة منها حملات الإسكندر الكبير، وفي الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد Neorchus نيرخس أمير الاسكندر في الخليج العربي، ومنهم هيروديانHerodianus /250 – 165 ب.م/، وهو مؤرخ سرياني ألف في اليونانية كتاباً في تاريخ قياصرة الروم من وفاة القيصر "ماركوس أوريليوس" إلى سنة/238م/[2].

الموارد النصرانية:

وللموارد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تاريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتاريخ القبائل العربية، وعلاقات العرب باليونان والفرس، وقد كتب أغلبها باليونانية والسريانية، ولها قيمة تاريخيه مهمة لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتاريخ ثابت معين، مثل المجامع الكنيسية، أو تواريخ القديسين، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة.

ومن أشهر هذه الموارد مؤلفات المؤرخ الشهير "أويسبيوس" المعروف بـ "أويسبيوس القيصريEusebius of Caesarea "/263 – 339م/وبـ "أبي التاريخ الكنائسي Father of Ecclesiastical History وبـ "هيرودتس النصارى"، وكان على اتصال بكبار رجال الحكومة وبرؤساء الكنيسة، فاستطاع بذلك أن يقف على كثير من

1– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص60

2– المرجع السابق، ص61.

أسرار الدولة وأن يراجع المخطوطات والوثائق الثمينة التي كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والأغنياء[1].

وكان قد ألف كتاباً في التاريخ باللغة اليونانية، عرف بـ the chronic on، حوى بالإضافة إلى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التي حدثت في أيامه.

والمؤرخ سقراط Socrates، وهو من الفقهاء في الكنيسة، وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد العرب[2] و"زوسيموس"، وهو مؤرخ يوناني ألفّ في تاريخ الامبراطورية الرومانية- اليونانية فأشار إلى العرب وعلاقاتهم بها، وشمعون الأرشامسي، وهو صاحب **رسائل الشهداء الحميريين** التي تبحث في تعذيب ذي نواس للنصارى في نجران، وقد جمع أخبارهم على ما يدعيه من بلاد ملك الحيرة أيام أوفده إليه امبراطور الروم في مهمة رسمية، و"بروكوبيوس" من رجال القرن السادس للميلاد، وكان أمين سر القائد "بليزاريوس" أعظم قواد "يوسطنيانوس"، وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال أفريقية وجزير صقلية.

ومن مؤلفاته مؤلف في تاريخ زمانه، لا سيما حروب يوسطنيانوس، وكتاب De Bello persico وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب[3].

ومن هؤلاء "اسطيفان البيزنطي" المتوفى سنة/600م/، و"ايواكريوس" المتوفى سنة/600م/وهو صاحب كتاب **التاريخ الكنائسي** في ستة أقسام، يبتدئ بذكر المجمع الأفسوسي المنعقد عام/431 م/وينتهي بسنة/593م/، وهو من الكتب

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص66.

2- المرجع السابق، ص66.

3- المرجع السابق، ص63.

المهمة، لأن مؤلفه لم يكتب عن هوى، شأن أكثر مؤرخي الكنيسة، وقد استعان بالنصوص الأصلية وبالكتب المؤلفة سابقاً[1].

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من روم وسريان عاشوا في أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ألفوا في التاريخ العام وفي تواريخ النصرانية إلى أيامهم فتحدثوا لذلك عن العرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومؤلفات هؤلاء مفيدة من ناحية ورود معارف فيها لا ترد في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام، تفيد في سدّ الثغر في التاريخ الجاهلي وفي الوقوف على النصرانية بين العرب وعلى صلات الروم والفرس بالعرب.

والملاحظ أننا اقتصرنا على الموارد القديمة وأمسكنا عن الموارد العربية الإسلامية بسبب حداثتها النسبية.

الاسماعيليون:

ونقصد بهم أولاد سيدنا إسماعيل، وهكذا تبرز أهمية هؤلاء الذين يعتبرون أصل العرب المستعربة لا سيما أن لدينا الكثير من الأحاديث النبوية التي تعرضت إلى سيدنا إسماعيل وعانقت الأخبار المتعلقة به.

وامرأة إسماعيل أم أولاده، فإنها ليست جرهمية عربية في التوراة، وإنما هي امرأة مصرية، لم تذكر التوراة اسمها.

ويذكر أهل الأخبار إن إسماعيل كان قد تزوج بامرأة أخرى من جرهم قبل رعلة بن مضاض ابن عمرو الجرهمي، أو السيدة بنت مضاض ابن عمرو الجرهمي، كما تعرف في روايات أخرى، إلا أنه طلقها بأمر أبيه، لما جاء إلى مكة زائراً، فلما جاء

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص64.

للمرة الثانية ورأى زوجته الثانية رضي عنها، وأمر أبنه إسماعيل بإبقائها فبقيت، ومنها كان نسله المذكورين[1].

وقد نص "الطبري" على أن العرب هم من نابت وقيدر[2]، والظاهر إن إهمالهم هذا الإهمال يعود إلى عدم وقوف الموارد التي أمدّت الإخباريين على شيء عنها، وعدم تمكنهم من تعيينها وتثبت مواضعها، فإن ذلك يحتاج إلى علم وإلى وقوف على ما جاء في كتب التفاسير والشروح والموارد اليهودية الأخرى عن هذه القبائل.

والموارد المذكورة نفسها لا تعرف عن تلك القبائل وعن تلك البلاد شيئاً كثيراً يزيد على ما جاء في التوراة.

فإن كتبة الأسفار لم يهتموا إلا بما يتعلق بإسرائيل، أما ما وراء إسرائيل من شعوب وأرضين، ولا سيما الشعوب التي لا تخام الأرضين التي وجد فيها العبرانيون، فإنها لم تكن تعنى بها إلا بمقدار ما لها من صلة بإسرائيل.

وقد حددت التوراة المنازل التي أقام بها الإسماعيليون، فجعلتها من حويلة إلى شور[3].

ولا يعقل أن تكون هذه الأرضون بعيدة عن فلسطين، لأن شاؤول لم يكن قوياً ذا جيوش جرارة حتى تضرب العماليق في منطقة نائية، بعيدة عن فلسطين وأما شور، فموضع يقع على الحدود الشمالية الشرقية لأرض مصر، في البرية المسماة

1- الطبري: تاريخ الأمم والملوك،/1/256، 314/.

2- المرجع السابق،1/314.

3-التكوين، الإصحاح 25/الآية 18.

بـ «برية تيه بني إسرائيل» وبـ «برية أيتام[1]»، ويرى بعض علماء التوراة أن الطور الحالية هي أرض شور[2].

ويلاحظ أن الأرض التي زعم أن "شاؤول" قد ضرب بها العماليق، "وضرب شاؤول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر"[3]، وهي الأرض ذاتها جعلتها التوراة أرضاً لذرية يشمعئيل إسماعيل.

ويظهر من ذلك أن العماليق كانوا قد سكنوها أيضاً، ولما كان العمالقة قد سكنوا أرضاً، تقع بين كنعان ومصر في برية سيناء وتيه بني إسرائيل[4]، وجب أن تكون تلك الأرض هي موطن الإسماعيليين.

ويعترف العبرانيون بوجود صلات قربى لهم بالإسماعيليين، ويظهر أن القبائل الاسماعيلية عاشت زمناً طويلاً في طور سيناء.

وفي جنوب فلسطين، عاشت عيشة أعرابية[5] ولهذا كان الإسماعيليون أهل وبر بالقياس إلى اليقطانيين المستقرين.

وقد نظر العبرانيون نظرة عداء إلى الإسماعيليين، لأنهم كانوا يتحرشون بهم ويغيرون عليهم ويتعرضون بتجاراتهم، وقد ذكروا في أيام داوود[6]، وقد ورد في

1–قاموس الكتاب المقدس 641/1.

Musil,Hegoz, P, 261- 265.

2–Hastings, P 852, Enc. Bibli, P 4498.

3–قاموس الكتاب المقدس641/1،

Hastings, P 852. Enc, Bibli. P 4498, Masil, Hegaz, P 261- 265. FF.

4–صموئيل الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآية/7/، قاموس الكتاب المقدس 113/2.

5–التكوين، الإصحاح 21، الآية 13 وما بعدها، قاموس الكتاب المقدس 98/1.

6–Enc, Bibli, P 2211, Hastings. P 392.

التوراة أن الله أوحى إلى "هاجر" يبشرها بأن نسل أبنها سيكثر وينمو حتى يكون أمة عظيمة[1] وهو كناية عن كثرة عدد أولئك الأعراب في أيام العبرانيين وبنايوت هو بكر إسماعيل وأهم القبائل الإسماعيلية في التوراة، وقد أعطاه هذه المنزلة أهل الأخبار أيضاً لأخذهم منها، ونحن لا نعرف الأسباب التي جعلت التوراة تعدّه أحسن أولاد إسماعيل أراعت في ذلك بعد القبيلة، فليس في التوراة قواعد ثابتة تمشى عليها كتبة العهد القديم في تدوين الأنساب[2].

وقد ورد اسم "بنايوت" مع اسم "قيدار" في النصوص الآشورية، ويظهر أنهم كانوا أقوياء كثيري العدد، ويدل ورود أسمهم مع "قيدار" في التوراة في النصوص الآشورية على أنهم كانوا متجاورين، ولم تعين التوراة مواضع سكناهم، ولكن ورود أسمهم في رأس قائمة الإسماعيليين واقترانه بالآدوميين عن طريق المصاهرة ووقوف العبرانيين على أخبارهم، يدل كله على أنهم كانوا يقيمون في المناطق الواقعة في جنوب شرقي فلسطين وفي الأقسام الجنوبية الشرقية من بادية الشام[3].

وقد ورد اسم "قيدار" في النصوص الآشورية، ورد على هذه الصورة: قدور[4]، كما ورد في المؤلفات الكلاسيكية، فقال لهم بلينوس-قداري، وذكر أنهم قبيلة عربية تقيم على مقربة من النبط[5] وقد حاربهم آشور بنبال، وكان ملك قيدار في ذلك العهد، ملك عرف باسم أو أيطع ابن خزاعيل[6].

1-التكوين، الإصحاح 21، الآية/13/وما بعدها.

2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص437.

3-التكوين الإصحاح/28/، الآية 9.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص 438.

5-Pling 5, 21, 65, Enc. Bibli. P 2213, Forster Vol I, 238 FF.

6-Musil Deserta P 485.

وقد ذكرهم آشوربنبال مع عربي-أربي، كما ذكرهم حزقيال مع العرب العرب وكل رؤساء قيدار[1].

وقد نكّل "بختنصر" بالقيداريين كذلك، وخرب بلادهم وأخذ غنائم كثيرة منهم، واستولى على ما وقع في أيدي جيشه من أموالهم وخيامهم وغنمهم وجمالهم وقد ورد وصف ذلك في سفر أرمياء[2].

ويظهر من التوراة أن القيداريين كانوا أعراباً يعيشون في الخيام، عيشة أهل البداوة[3] وقد وصفت خيامهم بأنها خيام سود أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم، كخيام قيدار، كشقق سليمان[4] والخيام السود هي بيوت أهل الوبر.
وكانوا يعتنون بتربية المواشي، وقد اشتهروا بأن فيهم رعاة يملكون ماشية كبيرة[5] إلا أن منهم من كان متحضراً، سكن القرى والمدن[6] ونجد أشعياء، يتنبأ بإفناء مجد قيدار. وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار[7]، مما يدل على أن القيداريين كانوا قوة وعدداً ضخماً، فيهم جماعة مهرت برمي السهام.
ويتبين من المزامير أنهم غزاة، وحياتهم حياة غزو، لا يعرفون السلام ولا الاستقرار[8] ويظهر أنهم يتحرشون بالبابليين في أثناء مرورهم بالبادية إلى فلسطين، مما جعل

1-حزقيال، الإصحاح/27/، الآية/21/.
2- أرقياء، الإصحاح/49/، الآية/28/وما بعدها.
3- قاموس الكتاب المقدس 230/2.
4- نشيد الأناشيد، الإصحاح الأول، الآية 5.
5- قاموس الكتاب المقدس 230/2.
6- أشعياء الإصحاح/42/، الآية/11/، قاموس الكتاب المقدس 230/2.
7- أشعياء،/21/،الآية/16/وما بعدها، Hastings, P 512.
8-المزمور/120/، الآية/5/وما بعدها.

بختنصر على الانتقام منهم ومن قبائل أخرى كانت ضاربة في البادية وفي الطرق المؤدية إلى بلاد الشام[1].

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل دعوه "قدار بن سالف"، زعموا أنه كان يدعى "أحيمر ثمود"، وأنه هو عقر الناقة، ناقة النبي صالح، وذكروا أن "قيدار بن إسماعيل" هو أبو العرب، وزعم بعضهم أنه كان نبياً[2].

وأما "أدبئيل"، فكناية عن قبيلة عربية أخرى من القبائل الإسماعيلية، يرى بعض علماء التوراة أنها عاشت في جنوب غربي البحر الميت[3].

ويظن أنها قبيلة آدب ايله I diba, ila المذكورة في كتابه من كتابات الملك "تقلا تبلسر الثالث" [4].

وقد ذكر هذا الملك أنه عين نائباً عنه، أو مندوباً سامياً قيبو على خمسة عشر موضعاً، وكان اسم هذا المندوب آدب آل، وهو سيد قبيلة عرفت بهذا الاسم، والظاهر أنه فّوض إليه أمر حماية الحدود المحافظة عليها من الغزو، وتقع أرض هذه القبيلة على مقربة من الحدود المصرية وفي الجنوب من غزة[5].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص440.

2- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 314/1 دار المعارف قيدار منتخبات، ص84، أبو حسن بن علي **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر،394/1، عبد الرحمن بن محمد **ابن خلدون**: المقدمة، 298/2، مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس 483/3 فما بعدها.

3-Enc Bibli. P 2213.

4-Musil, Hegoz 291, Deserta P 278.

5 -Schrades, KAT.S، 58.

د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج1 ص441.

ويلي أدبئيل في تسلسل أولاد إسماعيل، مبسام، وقد سمي في بعض الكتب العربية ميشا[1].

وأما مشماع فله علاقة بقبيلة بني مسماع أو جبل مسماع قرب تيماء[2]، ودومة هو دوما ودومة الجندل في بعض الكتب العربية[3].

وهو كناية عن موضع وعن اسم قبيلة عربية[4]، وقد ورد اسم مسا في النصوص الآشورية مقروناً ب تيما-تيماء.

ويرى بعض العلماء أنه كناية عن قبيلة كانت منازلها في الشرق والجنوب الشرقي من موآب[5].

وجاء في رسالة أرسلها أحد المقيمين الآشوريين إلى ملك آشوري أن مالك قمرو ابن عميطع سيد قبيلة مسئا[6].

وأما حدد أو حدار، كما دون في سفر التكوين، فإنه أدد عند بعض أهل الأخبار[7] وأما تيما، فإنه طما في الكتب العربية، وهو كناية عن تيماء[8].

---

1 –Forster, Vol I. P 173, Enc Bible, P 3067.

2– قاموس الكتاب المقدس 344/2، وانظر:

Enc, Bible ,P 3154.

3– سميت دومة الجندل، محمد بن سعد بن منيع المشهور **بابن سعد**: الطبقات الكبير، ج1 ق1، ص20.

4–Forster, vol I.P 281.

5– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص442.

6 –Enc Bible, P 1142, 2213, Musil, Deserta, P, 480.

7– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 314/1.

8 –Enc Bible, 2213, Josephus Anti, XIII, II, 3.

وأما يطور، وهو وطور في الكتب العربية وعرفت بـ turoea I في المؤلفات اليونانية واللاتينية، وقد حاربت العبرانيين، وكانت تقيم شرقي نهر الأردن في أيام الملك شاؤول[1] ويظهر أنها هاجرت نحو الشمال، فسكنت في الأقسام الجنوبية من لبنان وفي الحافات الشرقية من جبال لبنان.

وفي أيام ملكهم سوهوس أدخلت أرضهم في مقاطعة سورية سنة/50. ب.م/وقد كابدت دمشق مصائب شديدة من غزواتهم[2].

وكانت مواطن اليطور في ما بين اللجاة والجليل وعرفت بـ «جدورا وبـ «ايطورية» وقد عرفوا بمهارتهم في الرماية، وذهبوا إلى الأقسام الجنوبية من لبنان وإلى سهل البقاع[3].

وقد ضيق عليهم الرومان في حوالي الميلاد وأجبروا بعضهم على الرجوع إلى البادية وقد كوّن اليطوريون لهم غمارة أو مملكة في البقاع، كان حكامها رجال دين أي كهاناً وملوكاً في آن واحد، وقد عرفنا منهم رجلاً اسمه Mennaios وهو اسم قريب من الأسماء العربية، فلعله معن[4].

ويظهر أن ارتحال اليطوريين من الأقسام الشرقية من الأردن نحو الشمال، نحو دمشق ثم سهل البقاع حتى ساحل البحر الأبيض، كان قبل القرن الثاني قبل

وانظر: د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص443.

1–Enc Bible, P 2213.

2– قاموس الكتاب المقدس، 513/2.

3–Straba XVI, II,10.

4 – The Bibli Dictionary I. P 573

وانظر د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص444.

الميلاد، ولعلهم هم العرب الذين ذكر أن الاسكندر الكبير كان قد حاربهم بعد حصاره لمدينة صور[1].

وقد كوّن الرومان فرقاً محاربة من اليطوريين، اشتركت معهم في الحروب وقد امتازت بعض هذه الفرق في حذقها بالرمي، وكوّن "مارك أنتوني" حرساً خاصاً منهم أشير إليهم في الموارد اليونانية واللاتينية[2].

ونافش، هو نفيس عند الأخبارين[3] ويرى بعض علماء التوراة احتمال كون بنو نفسيم المذكورين في سفر عزرا هم نافش هؤلاء[4] وكانت مواطنهم عند البحر الميت. ومن العلماء من يظن أن لهم صلة بـ بني قديم أي أبناء الشرق[5].

والغالب على أبناء إسماعيل البداوة، أي حياة التنقل والغزو والرماية، لذلك كانت ملاحظة التوراة عن إسماعيل من أنه سينشأ رامياً، ملاحظة حسنة، تدل على تبصر بأمور الإشماعيليين الذين كانوا يقومون بالغزو يرمون بالسهام.
أما المجموعة الثالثة من مجموعات أنساب العرب المذكورة في التوراة، فإنها مجموعة قبائل نسبت إلى "قطورة" زوج "إبراهيم"، وقد ذكرت التوراة أنها ولدت له "زمران، ويقشان ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحاً" [6].
فـ «قطورة» إذن هي مجموعة قبائل مثل الإسماعيليين واليقطانيين، وهي تتفق مع القبائل الإسماعيلية في أنها تنحدر من صلب إبراهيم، وهي من هذه الناحية أقدم

1– Die Araber in der Alten Welt, I. S. 170-179.

وانظر د. جواد علي: في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص44.

2–Hastings, A Dictionary, II. P 521.

3– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 314/1.

4– عزرا: الإصحاح الثاني، الآية/50/.

5– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 161/1 314/1 دار المعارف، ابن سعد: الطبقات، ج1، ق1، ص25.

6–التكوين: الإصحاح الخامس والعشرون، الآية/1/وما بعدها.

عهداً من القبائل الإسماعيلية، لأن والد هذه القبائل هو إبراهيم، أما والد القبائل الإسماعيلية، فهو إسماعيل.

والأسماء المذكورة كناية عن قبائل عربية، ألفّت مجموعة خاصة، كان حلفاً على ما يظهر تألف من قبائل رجعت نسبها إلى أصل واحد، هو قطورة انتشرت قبائله في الأرضين الواقعة بين القبائل العربية الإشماعيلية وبين القبائل اليقطانية، وتشير قصة زوج إبراهيم بقطورة إلى صلة القطوريين بالإشماعيليين.

ولم يشر الإخباريون وأهل الأنساب إلى القطوريين كطبقة خاصة من العرب وقد أشار بعضهم إلى قبيلة عربية عرفت بـ «قطورة»، ذكروا أنها عاشت مع قبيلة جرهم بمكة[1]، ولعل لتشتت شمل القبائل القطورية ودخولها في القبائل الأخرى: قحطانية وعدنانية، وفي جهل أهل الكتاب في ذلك العهد، دخلا في هذا الإهمال.

ومعارفنا بالقبائل القطورية لا تختلف عن معارفنا بالقبائل الإسماعيلية واليقطانية من حيث الضآلة والضحالة، فهي قد لا تزيد في بعض الأحيان على الاسم، ذلك لأن التوراة لم تذكر شيئاً عنها، ولأن المفسرين والأحبار الذين شرحوا التوراة، لم يذكروا شيئاً عن تلك القبائل، إما جهلاً بها، وإما لعدم وجود ميل بين العبرانيين إلى الوقوف على أحوال تلك القبائل التي ذكرت في التوراة لمناسبة من المناسبات[2]، وقد ورد ذكر مدين وأصحاب مدين في مواضع من القرآن[3].

1–Hastings. P, 514, Enc Bible. P 2880 Ritter, Erdkund, 12, 19.

2– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 160/1، 311/1، دار المعارف، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ، 48/1، ابن سعد: الطبقات، ج1، ق1، ص22.

3–الأعراف/85، التوبة/70، هود/84–95، طه/40، الحج/44، القصص/22، 25، 45، العنكبوت/36.

وأشار إلى نبيهم شعيب: وإلى مدين أخاهم شعيباً[1]. وورد أسمهم في سورة التوبة مع قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم[2]، وورد مثل ذلك في سورة الحج[3].

ومما جاء في القرآن على لسان شعيب، قوله يخاطب أهل مدين: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **الأعراف/85.**

وورد في سورة هود: ما يشير أيضاً إلى أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، فاستحقوا العقاب والعذاب، وذلك لترهيب أهل مكة، وكانوا تجاراً، من نقص المكيال والميزان، لئلا يصيبهم ما أصاب قوم شعيب حيث أصابهم الهلاك.

ويظهر من ذكر الرجة أن حدثاً أرضياً، هزة أو هياج حرّة، أصابهم، فأثرّ فيهم[4] لأن أرض مدين من مناطق الزلازل والحرار.

ولورود اسم مدين وقصة سيدنا شعيب في القرآن الكريم، عني المفسرون وأصحاب قصص الأنبياء بجمع ما ورد عن أهل مدين وأخيهم شعيب من أخبار، غير أنهم لم يجدوا في ذاكرة من تقدمهم شيئاً، فاستعانوا بما ورد عند يهود.

وقد أضاف الإخباريون إلى ذلك شيئاً من القصص الشعبي، وشيئاً ابتكروه.

وقد ذكر "الطبري" وغيره من المفسرين والمؤرخين أن اسم شعيب- يثرون[5].

1-الأعراف/85.

2-التوبة/70.

3-الحج/44.

4-العنكبوت/36.

5- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 167/1، ابن الأثير: الكامل، 61/1.

وقد أخذوا ذلك من أهل الكتاب ولا شك، ففي التوراة أن موسى نزل على أهل مدين، بعد هربه من فرعون، وتزوج ابنة كاهن فيها، فولدت له ولداً.

فرأى المفسرون والإخباريون أن شعيباً المذكور في القرآن الكريم هو يثرون التوراة[1]، وقد جعل الناس لشعيب قبراً زعموا أنه على مقربة من حطين في موضع سماه ياقوت–خيارة[2]. وقال له بول Buhl–خربة مدين[3].

ويظهر من بعض الموارد الإسلامية أن مدين كانت في صدر الإسلام من أرض جذام، وأنها كانت إذ ذاك أكبر من تبوك، وبها بئر زعم أنها البئر التي استقى منها موسى[4].

ويظهر من شعر "كثير عزّة" أنه كان في أيامه بمدين جماعة من الرهبان، يتعبدون، ويبكون من حذر العقاب[5].

وفي التوراة أن المديانيين كانوا برفقة الإشماعيليين لما بيع "يوسف" [1] وقد اتحد المديانيون مع موآب ضد إسرائيل[2]، وفي أيام جدعون ضايق المديانيون العبرانيين مضايقة شديدة، واتفقوا مع العمالقة وبني المشرق، فتمكن جدعون من إخراجهم.

1– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 167/1، الكامل، لابن الأثير 61/1.

2– البَلَاذُري: فتوح البلدان، 299/3.

3–Enc. Vol 4, P 389.

4– محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين **ابن منظور**: لسان العرب، 289/17، البَلَاذُري: فتوح البلدان، 418/8، القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن **خرداذبة**: المسالك والممالك، ص129.

5– البَلَاذُري: فتوح البلدان، 418/8.

وقد ورد في سفر القضاة اسم أميرين من أمراء المديانيين، هما غراب وذئب[3] ورد في الإصحاح الثامن من القضاة اسم ملكين أو شيخين من مديان مدين هما: زبح وصلمناع[4].

والظاهر أنه لم يعد للمديانيين شأن منذ هذا العهد، فلم يرد عنهم شيء يذكر، ولعلهم ذابوا في القبائل العربية الأخرى[5].

ويفهم مما جاء في القضاة أنهم كانوا فرعاً من الإسماعيليين[6].
والذي يفهم من مواضع متعددة من أسفار التوراة أن مواطن المديانيين كانت تقع شرق العبرانيين[7]، والظاهر أنهم توغلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين، واتخذوا لهم هناك مواطن جديدة، عاشوا فيها أمداً طويلاً بعد هذا التاريخ[8].

وأما شوحا، فذهب بعض الباحثين إلى أنه موضع سوخ-سوخو المذكور في نص آشور بنبال/860 ق.م/ويقع على الجانب الأيمن من نهر الفرات[9] وقد نسبت التوراة ولدين إلى يقشان هما: شبا، ودوان، يجب أن تكون أرض شبا هنا في جوار

1-"فمر قوم مدنيون تجار، فجذبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فأتوا بيوسف إلى مصر" التكوين، الإصحاح، السابع والثلاثون، الآية/28/.

2-القضاة، الإصحاح السادس، الآية/23/.

3-القضاة السابع، الآية 25، الإصحاح الثامن الآية/3/.

4-القضاة، الإصحاح الثامن، الآية/6/وما بعدها.

5-Hastings, P 616.

6-القضاة، الإصحاح الثامن، الآية/24/.

Enc. Bible, P 3081.

7-Enc. Bible, P 3081, Hastings, P 616.

8-Enc. Bible, P 3081.

9-Musil, Hegaz, P 279.

أرضددان، ولذلك لورود ددان مباشرة بعد شبا، أي على مقربة من موضع ديدان الذي هو العلا في الحجاز[1].

وأهل شبا المذكورون هنا، هم جالية سبئية من جاليات سبئية عديدة انتشرت بين اليمن وفلسطين، وفي السواحل الإفريقية المقابلة لليمن[2].

ولم تهب التوراة لشبا أولاداً وإنما وهبت شقيقه ددان عدداً من الأولاد، هم أشوريم ولطوشيم ولأميم، أما أشوريم، فإنهم قبيلة عربية من قبائل قطورة بإجماع علماء التوراة، ولا صلة لهم بآشور، أي الآشوريين، مما يدل على أن هؤلاء العرب كانوا مستقرين مقيمين في مستوطنات، ولم يكونوا أعراباً.

وأما لطوشيم ولأميم فكانوا من سكان طور سينا[3] وتقع هذه المنطقة من طور سيناء إلى بئر السبع وحبرون[4].

أما عيفة، فقد ورد ذكره في التوراة على أنه اسم قبيلة كانت تحمل الذهب واللبان على الجمال من شبا وتبيع تجارتها في فلسطين.

ويظهر أن بني عيفة وأهل مدين، كانوا وسطاء أو تجاراً يذهبون إلى شبا، فيحملون الذهب واللبان، لبيع هذه السلع الغالية النفيسة في فلسطين[5].

وأما عمر، فاسم قبيلة يظن بعض العلماء أنها بنو غفار من كنانة[6].

1–Glaser, skirre, 2. S, 454.

2–Hastings, P, 842.

3– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص457.

4–Ens, Bible ,P 346, Gloser, 1155, Winckler, Aof, 28. F. ZDMG, 1895, S. 527 Winckler, Musri, 2. S. 51. FF.

5–Enc, Bible, P 1301, Hastings. P 231.

6–Enc. Bible, P 1301.

الهاجريون:

وذكر في التوراة اسم سكن في شرقي الأردن وفي شرقي أرض جلعاد عرف باسم الهاجريين، وهم من العرب أو من بني إرم في رأي بعض العلماء[1].

غير أن إطلاق هذه اللفظة على الإسماعيليين، يدل على أن المراد بهم العرب، لأن الإسماعيليين هم عرب، وأن هاجر كناية عن أم إسماعيل جدّ القبائل التي تحدثت عنها على رأي التوراة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مراد التوراة من الهاجريين الأعراب، أي البدو وهم عرب أيضاً[2].

وقد امتدت منازل الهاجريين من الفرات إلى طور سيناء، فهي منطقة واسعة تشمل البادية: بادية الشام، وتضم عدداً كبيراً من الأعراب. وهي منازل الإسماعيليين أيضاً، وقد يكون هذا هو السبب في عدم تمييز التوراة أحياناً فيما بين الهاجريين والإسماعيليين[3].

وبعد، فهذا كلام موجز في آثر التوراة على روايات أهل الأنساب والأخبار في أنساب العرب. وأن مروجيه ومدخليه بين العرب هم أهل الكتاب، ومعظمهم من يهود أو من مسلمة يهود، لهذا ترى أسانيد أكثر هذه الروايات تنهي بـ كعب الأحبار و"وهب بن منبه" وأضرابهما، وقد ينتهي السند بـ ابن عباس، من طريق "ابن الكلبي" عن أبيه، عن أبي صالح[4].

1–قاموس الكتاب المقدس 446/2 وما بعدها، أخبار الأيام الأول، الإصحاح الخامس، الآية. 1، 19، 20، الإصحاح/37/، الآية/31.

2–Hastings.. P 315.

3–The Bible Dictionary, Vol I, P 499- 570.

4– الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 203/1، 206،208، دار المعارف.

و"ابن الكلبي" مورد مشهور معروف في هذه الموضوعات، لا يقابله في ذلك إلا "ابن اسحاق" الذي غرف، من مناهل أهل الكتاب، وكان يسميهم أهل العلم الأول، فملأ كتابه لذلك بغث كثير، لاعتماده على هؤلاء وتوثيقه لهم، ولم يكن لأكثرهم كما يظهر من نقد ما نسب إليهم علم بما جاء في التوراة، وبكتب اليهود الأخرى.

وقد ظهر لي من دراساتي لهذا الموضوع وللقصص الإسرائيلي عامة أن كثيراً من هذا الذي يرويه أهل الأخبار في النسب وفي القصص، بعيد عما يرد في التوراة، وقد اخترع اختراعاً وصنع بغباوة وبجهل، وحشي بألفاظ عبرانية أو قريبة منها، بطريقة مضحكة أحياناً، تدل على خبث واضح الخبر أو جهله، وعلى سذاجة الناقل عنه وعلى عدم اهتمامه إلاّ بإظهار نفسه بمظهر الواقف على عدم اهتمامه إلا بإظهار نفسه بمظهر الواقف على الأخبار، ولذلك كان لا يهمه إلاّ جمع الأخبار وقصها للناس وقد يكون هو واضح تلك الأخبار وصانع ذلك القصص[1].

ولا بد لي هنا من التنبيه على أن "محمداً بن اسحاق بن يسار" صاحب **المغازي والسير**، هو من الآخذين عن أهل الكتاب، الراوين عنهم[2]، وكان يسميهم أهل العلم الأول، وهم بالطبع من هذه الناحية أعلم من غيرهم بأمور التوراة والإنجيل، بحكم كونهم يهوداً أو نصارى، ولهذا نجد المؤرخين والإخباريين يروون ما ورد من قصص توراتي ومن أنساب توراتية عن ابن اسحاق، فهو إذن أحد الناشرين للإسرائيليات بين المسلمين.

والقصص الإسرائيلي الذي نشره، ليس في الواقع قصصاً إسرائيلياً صافياً خالياً من الكدرة، بل هو متفاوت في درجات النقاء، فيه الفكر، وفيه ما هو قريب مما جاء في التوراة، وفيه ما هو مطابق لما جاء في العهد القديم، فهو نقي صاف ويعود سبب هذا الاختلاف إلى الموارد التي استقى منها "ابن اسحاق" علمه، ففيها منابع

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص462.

2- الحسن بن أحمد ابن **الحائك الهمداني**: الاكليل من اخبار اليمن و أنساب حمير، 31/1.

كانت ذات علم ووقوف على كتب أهل الكتاب، وفيها موارد مدعية أو ليس لها حظ من العلم، وإنما تحدثت إليه على نحو ما كان شائعاً بين أهل الكتاب، وبينها موارد استباحت الكذب، ادعاء للعلم ولأسباب أخرى، ومن هنا اختلفت موارد ابن اسحاق في درجات النقاء والصفاء[1].

العرب العاربة والعرب المستعربة:

مصطلح العرب العاربة والعرب المستعربة من المصطلحات القديمة التي تعود إلى الجاهلية، ولكننا لو درسنا تلك الروايات خرجنا منها، ونحن على يقين بأن الجاهليين لم يطلقونهما بالمعنى الذي ذهب إليه الإسلاميون، بل قصدوا بهما القبائل البعيدة عن أرض الحضارة، والقبائل القريبة منها، فقد عرفت القبائل النازلة ببلاد الشام والساكنة في أطراف الإمبراطورية البيزنطية ب المستعربة، وهو مصطلح أطلق على هذه القبائل وعلى القبائل في سيف العراق من حدود نهر الفرات إلى بادية الشام، فهو يشمل إذن القبائل النازلة على طرفي الهلال الخصيب وفي طرفي القوس الذي يحيط بحدود الإمبراطوريتين.

ومن المستعربة غسان وإياد وتنوخ[2]، وقد فضلت غالبية هذه المستعربة السكني في أطراف المدن في مواضع قريبة من البوادي والصحارى، عرفت عندهم بـ الحاضر، فكان في أكثر مدن بلاد الشام حاضر يقيم به العرب من تنوخ ومن غير تنوخ[3].

وفي تاريخ الطبري خبراً زعم أنه جرى بين "خالد بن الوليد"، وبين "عدي بن عدي بن زيد العبادي"، يفهم منه أن العرب: عرب عاربة وأخرى متعربة.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص463.

2-البلاذري: فتوح البلدان، ص 171.

3-المرجع السابق ص 180، والحاضر: الحي العظيم أو القوم... حاضر طيء، مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 148/3.

وقد جرى بينهما على هذا النحو التالي قال خالد : ويحكم: ما أنتم؟ أعرب؟ فما تنقمون من العرب؟ أو عجم، فما تنقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة. فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية[1].

فيفهم من هذا الحديث أن العرب:

عرب عاربة وعرب متعربة، وهم أناس تعربوا فصاروا عرباً، وهو كلام معقول مقبول، ولا سيما بالنسبة إلى الحيرة والعراق وبلاد الشام، حيث تعرب فيها كثير ممن لم يكن عربياً في الأصل فصاروا عرباً، لسانهم لسان العرب، ولا يفهم من هذا الكلام بالطبع تقسيم العرب بالمعنى المفهوم عند أهل الأخبار والتاريخ، أي عرب قحطانيون وعرب عدنانيون، وكل ما قصد به أن صح أن هذا الكلام هو كلام خالد وكلام عدي حقاً تعنيف وتأنيب "لعدي بن عدي بن زيد" على وقوفه هو وقومه وأهل الحيرة موقفاً معادياً للمسلمين، وتأييدهم للفرس ولدفاعهم عنهم، مع أنهم عجم بعيدون عنهم، فكأنه قال لهم: لو كنتم عرباً فكيف تؤيدون عجماً علينا نحن عرب؟ وعدي من العرب، وأبوه من تميم كما يقول النسابون، فهو ليس من العرب الأخرى المتعربة، ولكن من العرب العاربة، أي عرب بالأصالة، كما أن خالداً نفسه من العرب العاربة، لأنه عربي أصلاً وإن كان عدنانياً.

فلم يقصد بالعرب العاربة هنا العرب القحطانيين، ولا بالعرب المتعربة العرب العدنانيين فالعرب المتعربة إذن هم المتعربون من أهل الحيرة وغيرهم، ممن كانوا من النبط ونبي إرم أو غيرهم ثم دخلوا بين العرب ولحقوا بهم، فصار لسانهم لساناً عربياً مثل العرب الآخرين وتعربوا بذلك.

1- **الطبري**: تاريخ الأمم والملوك، 361/3.

ويلاحظ أن غسان قد أدخلت في المستعربة، مع أنها من العرب العاربة، أي من العرب القحطانيين في عرف النسابين، وفي ذلك دلالة على أن مدلول العرب العاربة والعرب المستعربة لم يكن في الجاهلية وفي صدر الإسلام بالمعنى الذي صار عليه عند علماء النسب وأهل الأخبار، وإن تخصيص العرب العاربة بالقبائل التي ترجع نفسها إلى اليمن، والعرب المستعربة بالقبائل التي يرجعون نسبها إلى عدنان، قد وقع من النسابين في أيام الأمويين[1].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1 ص508.

علاقة عرب الهلال الخصيب بالأقوام الأخرى

ليس من السهل علينا التعرض في الوقت الحاضر للصلات التي كانت بين العرب الشماليين وبين حكومات الهلال الخصيب في أقدم العهود التاريخية المعروفة التي وقفنا على بعض ملامحها ومعالمها من الآثار، فبينها وبيننا حجب كثيفة ثخينة لم تتمكن الأبصار من النفاذ منها لاستخراج ما وراءها من أخبار عن صلات العرب في تلك العهود بالهلال الخصيب.

ولعل خبر "نرام- سن الأكادي"/2270- 2223 ق.م/، عن استيلائه على الأرضين المتصلة بأرض بابل والتي كان سكانها من العرب Aribu، هو أقدم خبر يصل إلينا في موضوع صلات العرب بالعراق، وهو خبر ينبئك بأن عرب أيام نرام- سن كانوا في تلك المنازل قبل أيامه بالطبع، وهي منازل كوّنوا فيها مشيخات وإمارات من إمارة الحيرة الشهيرة التي ظهرت بعد الميلاد.

ويحدثنا سفر القضاة بأن المدينيين والعمالقة وبنو المشرق، كانوا ينتزعون ما بأيدي الإسرائيليين من غلة زراعة، وما عندهم من ماشية، ويغيرون عليهم، وكانوا يأتون إليهم بخيامهم كالجراد في الكثرة، وليس لهم ولجمالهم عدد حتى ذل الإسرائيليون[1].

ويرجع بعض الباحثين تاريخ هذه الغزوات إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

1-القضاة، لإصحاح السادس، الآية/3/وما بعدها.

العرب والأشوريون:

إن أول إشارة إلى العرب في الكتابات الأشورية، هي الإشارة التي وردت في كتابات الملك شلمنصر الثالث ملك آشور، فقد سجل نصراً حربياً تم له في السنة السادسة من حكمه على حلف تألف ضده، عقده ملك دمشق وعدد من الملوك الإرميين الذين كانوا يحكمون المدن السورية وملك إسرائيل ورئيس قبيلة عربي، اسمه جندب. وقد كان هذا النصر في سنة/853 أو 854/ق.م[1].

وكان ملك دمشق، المعروف باسم "بنهدد" في التوراة[2]، قد هاله توسع الآشوريين وتدخلهم في شؤون الممالك الصغيرة، ولا سيما بعد تدخلهم في شؤون مملكة حلب، وخضوع هذه المملكة لهم، فعزم على الوقوف أمام الآشوريين، وذلك بتأليف حلف من الملوك السوريين وسادات القبائل العربية، وقد انضم إليه آخاب ملك إسرائيل، وأمراء الفينيقيين، فكان مجموع من استجاب لدعوته أثنا عشر ملكاً من ملوك سوريا، وجنديبو ملك العرب، وقد أمد الحلف بألف جمل وبمحاربين، وكل هؤلاء كانوا قد أصيبوا بضربات عنيفة من الآشوريين وتعلموا بتجاربهم معهم مبلغ قوتهم وغلظتهم على الشعوب التي غلبوها على أمرها، فأرادوا بهذا الحلف التخلص من شرهم والانتقام منهم والقضاء عليهم.

وعند مدينة قرقر، شمال حماة تجمع ألوف من جنود الحلفاء في قرقر، لمقاومة الآشوريين، واشتركت في المعركة مئات من المركبات، أما النصر بسهولة فكان حليف "شلمنصر"، وأوقع بها خسائر كبيرة، وغنم منهم غنائم كثيرة[3].

1- شلمنصر، قاموس الكتاب المقدس، 629/1.

2-راجع عن بنهدد، قاموس الكتاب المقدس، 250/1.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص575.

ولم يشر "شلمنصر" إلى أرض جنديبو، والمكان الذي كان يحكم فيه، غير أن القرائن تدل على أنها كانت في أطراف البادية، ويرى موسل أنها كانت تقع في مكان ما جنوب مملكة دمشق[1].

وفي السنة الثالثة من حكم "تغلث فلاسر" [2]/745- 727 ق.م/، دفعت ملكة عربية اسمها زبيبي الجزية إلى هذا الملك، وكانت تحكم أريبي، أي العرب وقد ذهب موسل إلى أنه أدمو أي دومة الجندل، وذهب أيضاً أن الملكة كانت كاهنة على قبيلة قيدار وزبيبي، هو تحريف لأسم زبيبة، وهو من الأسماء العربية المعروفة.

ويحدثنا هذا الملك أيضاً أنه في السنة التاسعة من ملكة، قهر ملكة عربية أخرى أسمها شمسي، واضطرها إلى دفع الجزية له بعد أن تغلبت عليها جيوش آشور[3].

والظاهر أنها انضمت إلى ملك دمشق في معارضته للآشوريين، وتعرضت لقوافل آشور، فجهز الملك عليها حملة عسكرية تغلبت عليها، ولضمان تنفيذ مصالح الآشوريين، قرر الملك تعيين قيبو أي مقيم أو مندوب سام آشوري لدى بلاطها، لإرسال تقاريره إلى الحاكم الآشوري العام في سورية عن نيّات الملكة واتجاهات الأعراب، وميول قبيلتها، ولتوجيه سياسة الملكة على النحو الذي تريده آشور[4].

وورد في الكتب الآشورية أن هذه الملكة أرسلت وفداً إلى ملك آشور لصالحته وبعد أداء شمس الجزية إلى ملك آشور، دفعت عدة قبائل وشعوب عربية الجزية إليه،

1–Musil, Deserta. P 477.

2–"تغلث فلاسر"، أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثامن والعشرون، الآية/20/، الملوك الثاني الإصحاح الخامس عشر، الآية/29/.

3– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص577.

4–Musil, Deserta. P 477.

وقد جعل بعض الباحثين ذلك في حوالي سنة/738 ق.م/[1]، وقد ذكر الملك أنه تسلم الجزية ذهباً وفضة وإبلاً وطيوباً من مساى وتيما وسبأ وخيابة خيابه وبطنة.

وأما تيما، فلعلهم دفعوا الجزية إلى آشور حفظاً لمصالحهم التجارية ولكي يسمح لهم الآشوريون بمرور تجارتهم في الطرق التي تخترق العراق وبلاد الشام وموانئ البحر المتوسط بعد أن أصحبت تحت سيطرتهم[2].

ويدل ورود اسم سبأ، بعد تيما في نص "تغلث فلاسر"، على ان السبئيين المقصودين كانوا يعيشون على مقربة من اليتمائيين ومن بقية من دفع الجزية للآشوريين[3].

وقد مارسوا التجارة، وبعثوا كالقبائل الأخرى بتجاراتهم إلى اليمن وبلاد الشام والعراق، ولذا دفعوا الجزية إلى الآشوريين ليسمحوا لقوافلهم باجتياز الطرق البرية[4].

ويظهر أن أدبئيل وهي القبائل الإسماعيلية، وكانت منازلها في جنوب غربي البحر الميت على مقربة من غزة وإلى جنوب غربها عند حدود مصر وفي طور سيناء[5] وقد عيّن "تغلث فلاسر" في سنة 734 ق.م عربياً في وظيفة قيبو، ليدير شؤون أدبئيل بالنيابة عنه، وجعل تحت تصرفه خمسة وعشرين موضعاً من عسقلان[6].

1–omitted History of A syria. P 199.

2–Musil, Hegaz, P 288.

3–Musil, Hegaz. P 288.

4– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص583.

5–Reall, I. S. 125. Deserto. P 478, Winckler, A O F, I. S. 25.

6–Deserta. P 478. Arabien, S. 31.

ولما كان من الصعب على الجيوش النظامية ولوج البوادي وتعقب آثر الأعراب، فكرت الحكومات القديمة في حماية مصالحها بدفع جعالات شهرية وسنوية وهدايا إلى سادات المشايخ، وتعيين بعضهم في مناصب كبيرة، ليتولوا حماية الحدود، وكبح جماح البدو ومنعهم من الغزو، والاستفادة منهم في ازعاج خصومهم بغزوهم ومحاربتهم أو محاربة القبائل المتحالفة معهم، كالذي فعله الفرس واليونان والرومان والدول المستعمرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين[1].

ويظهر أن بلوغ جيوش تقلا بتلاسر الثالث غزة كان في حوالي السنة/738 ق.م/، فسيطر الآشوريون بذلك على هذا الميناء المهم، الذي كان نهاية طرق القوافل التجارية الآتية بصورة خاصة من الحجاز.

ويحدثنا "سرجون الثاني"/724-75 ق.م/أنه في السنة السابعة من حكمه، سنة /715 ق.م/آدّب تمودي وإباديدي ومرسماني وخيابه، وهزمهم، ونقل من وقع في يديه منهم إلى السامرة ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من سمسي ملكة أريبي ومن برعو ملك مصري ومن يتع أمر السبئي[2].

ولقد استولى "سنحاريب" على المدن الفينيقية والفلسطينية حتى بلغ عسقلان وهنالك تغلب على العرب والمصريين كما أنه شق حملة على "تلخونو خزايلي"، ثم سارت جيوشه باتجاه أود موتو فتغلب عليها واسر ملكتها وحمل أصنامها إلى عاصمته[3] واستطاع "خزايلي" الفرار من دومة الجندل معتصماً في البادية، ولم يتمكن "سنحاريب" من مطاردته، وقد تمت المصالحة بينها، حيث اعترف

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص585.

2- المرجع السابق،ج1، ص585

3- المرجع السابق، ج1، ص589.

"أسرحدون بخزايلي" ملكاً على قيدار مقابل أتاوة ولما توفى اعترف بابنه يايطيع ملكاً مكان أبيه، ولكن شعبه ثار عليه بزعامة وحيو لأنه أبى الخضوع لرجل بالقوة وإن كان الآشوريون اخضعوا الثوار وأسروا أديمو وأخذوه إلى تبنوى ثم اشتعلت الثورة ثانية بقيادة يشع مما حدا الآشوريون إلى إرسال حملة ثانية مما جعل يشع إلى الهرب إلى البادية قام أسرحدون حملة جديدة على القبائل العربية التي تنزل "بازو" وتمكن في المعركة التي جرت/676ق.م/، من قتل ثمانية ملوك عرب هم: "كبو" ملك خلديلي و"أكيدو" ملك البياتي و"منسكو" ملك على إتي والملكة يافا وقد تمكنت "ليلى" ملكة بادئ من النجاة، وكان هؤلاء الملوك يقيمون في وادي السرحان شرق حوران[1].

لم تنجح السياسة التي اتبعها الآشوريون إذ هبت القبائل العربية على آشور بزعامة أبي يشع الذي تحرش بالمقاطعات الآشورية، فأرسل الآشوريون جيوشاً لصد هذه الهجمات، الأمر الذي حدا قبيلة قدور بطلب مساعدة نتبنو ملك نبطي قبيلتي يسمع وعثر سمين، غير أن الآشوريين تغلبوا على قيدار وحكامهم واستأنف الآشوريين هجماتهم الانتقامية على العرب حتى بلغت التسع.

صلة العرب بالكلدانيين والفرس

كان العرب يجاورون البابليين منذ القديم، وهذه المجاورة القديمة كانت واسطة طبيعية لتكوين الاتصال المباشرين المتجاورين.

وقد تحدث الإخباريون عن غزو "بختنصر"/604-561 ق.م/للعرب في أيام "معد بن عدنان" ووصوله ذات عرق[2].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص597.

2- المرجع السابق،ج1، ص607.

والأرجح استيلاء البابليين على الأماكن التي احتلوها من جزيرة العرب لم يدم طويلاً.

إذ كانت فتوحات الفاتحين لجزيرة العرب كالسيول، تأتي جارفة عارمة، تكتسح كل شيء تجده أمامها، ثم لا تلبث أن تزول وتختفي آثارها بعد مدة قصيرة، لأسباب منها بعد طرق المواصلات عن عواصم الغازين الفاتحين وعدم وجود مواد غذائية كافية في البلاد المفتوحة لإعاشة جيش كبير، ليستطيع ضبط القبائل والمحافظة على الأمن، ومهاجمة القبائل للقوافل التي ترد لتموين الحاميات وللحاميات نفسها، وعدم تمكن الفاتح من وضع جيش كبير جاهز في كل لحظة للقتال ليصّد غارات القبائل التي تؤلف غالبية سكان جزيرة العرب في ذلك العهد[1].

وكانت غاية "بختنصر" من إرسال حملته هذه على العرب، هو حماية حدود حماه وبقية مشارف فلسطين وبلاد الشام من الأعراب وإخضاعهم لحكمه، ثم تأديب بعض القبائل التي تحرشت به على ما يظهر حين دخوله بلاد الشام وفي جملة ذلك فلسطين.

واستناداً إلى ما جاء في سفر إرمياء نستطيع أن نقول إن قيدار كانوا على رأس القبائل العربية البارزة التي غزاها جيش "بختنصر" وكذلك بني المشرق-أبناء المشرق وممالك حاصور.

ونظراً لوجود تشابه كبير بين الرواية البابلية عن حملة "بختنصر" على العرب وبين ما جاء في سفر إرمياء، أرى أن مدّون السفر قد أخذ خبره هذا الذي صيرّه نبوءة من موارد بابلية ثم كيفه على النحو المذكور[2].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص608.

2-الإصحاح 49، الآية 27 وما بعدها.

ولدينا خبر رواه لنا "اكسيتوفون"، يفيد أن "بختنصر" لما حمل على مصر أخضع ملك العربية، وقد قصد بذلك حملته على مصر سنة/567/ق.م[1] وفي السنة الثالثة من حكم بنو بند جرد حملة على دومة الجندل، وسار منها إلى تيماء، فلما وصل إليها، أعمل فيها السيف، وقتل أميرها وأهلها، والظاهر إن ذلك بسبب مقاومتهم له وعنادهم في الدفاع عن مدينتهم، ثم طاب له أن يستقر بها، فابتنى بها قصراً ضخماً له جعلوه كالقصر الذي في بابل، وحلت تيماء محل بابل، أي صارت عاصمة لملك البابليين.

ومن إشارته إلى قتله ملك تيماء وسكان المدينة أن المدينة في أيامه كانت مستقلة، يحكمها ملك من أهلها، وأن البابليين لم يكونوا قد حكموها قبله[2].

وقد أقام "بنونيد" سنين في عاصمته الجديدة حتى اضطر إلى تركها بسبب ظهور البابليين بظهور الفرس، الذين هدّدوا البابليين، وصاروا على مقربة من بابل، إذ تغلب "كيرش" على العربية وأدخلها في جملة أملاكه، وعين عليها مقيماً سياسياً فارسياً ويظهر أن حملته هذه على العربية كانت حوال سنة/540 – 539 ق.م/وأن "بنونيد" كان قد ترك تيماء، وجاء إلى بابل قبل تغلب "كيرش" على العربية[3].

وقد يتساءل المرء عن الأسباب التي حملت "بنونيد" على ترك بابل والالتجاء هذه السنين إلى تيماء: أهي شؤون سياسية خطيرة حملته على السكنى في هذه المدينة البعيدة عن عاصمته القديمة، أم هي عوامل عسكرية، أو اقتصادية أو بواعث شخصية لا تتعلق بهذه ولا بتلك؟ أما إجابات المؤرخين، فهي مختلفة ومتنوعة، فمنهم من رأى أن ل تيماء أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية لوقوعها في ملتقى

1– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص610.

2– المرجع السابق، ج1، ص611.

3–الطبري: تاريخ الطبري، 5/2، 653/1، 691، 718، طبعة ليدن، مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص81 بيروت 189.

طرق تجارية عالمية بالنسبة إلى ذلك العهد، والاستيلاء عليها والبقاء فيها معناه كسب عظيم، وربح كبير بالنسبة إلى عالم السياسة في ذلك اليوم، ومنهم من رأى أن ذلك كان لآثر مزاج الملك وطبيعته ورغبته في التخلص من أمراض بابل، بسكناه في محل جاف مرتفع زهاء 3400 قدم عن سطح البحر[1].

وقد عثر في حرّان على كتابة مهمة جداً، دوّنها الملك "بنوتيد"، عثر عليها في سنة/1956/م وكانت مدفونة في خرائب جامع حران الكبير، وإذا بها نتحدث عن تاريخ أعمال ذلك الملك، ومما جاء فيها: أنه لما ترك بابل وجاء إلى تيماء، أخضع أهلها، ثم ذهب إلى ددانو- ديدان وبداكو وخبرا وايديخو حتى بلغ اتريبو[2].

ثم تحدث بعد ذلك عن عقده صلحاً مع مصر وميديا-مادا-Medes ومع العرب- مات ا- را- بي- أو Mat- A- Ra- bi- u[3]، وقد ختم العمود الذي جاء فيه هذا الخبر بأسطر تهشمت جمل منها، يفهم من مآلها وأن العرب المذكورين أرسلوا إليه رسلاً، عرضوا عليه عقد صلح معه، واستلامهم له، فوافق على ذلك، بعد أن كبدّهم جيشه خسائر فادحة وأسر منهم، ونهب، ولم تذكر تلك الأسطر المواضع التي حارب فيها جيش "بنونيد" أولئك الأعراب[4].

والظاهر أن الذي حمله على التوغل في الجنوب، ورغبته في السيطرة على أخطر طريق برية للتجارة تربط بلاد الشام بالعربية الجنوبية، وهي طريق قديمة مسلوكة، تسلكها القوافل التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك

---

1 –Hastings. P 897, Doughty, Arabia Deserto, I, Chapter- 10-19.

2– راجع السطرين 24 و25 من النص الموسوم:

Nabonidus H2. A and B, In Anatolian Studies By C. J, add The Harran Inscriptions of Nabonidus, VIII, 1958. PP 35.

3–السطر 42 وما بعدها من النص المذكور.

4– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص614.

العهد، ثم السيطرة على البحر الأحمر، وذلك بالاستيلاء على الحجاز وعسير واليمن وربما على العربية الجنوبية كلها، ولو تم له ذلك، لكان ملكه قد بلغ المحيط الهندي وقد تنقل "بنونيد" مدة عشر سنوات في هذه المنطقة التي فتحها من الحجاز، في أرض يبلغ طولها حوالي 250 ميلاً من تيماء إلى يثرب وحوالي/100/ميل عرضاً، يراجع أهلها وينزل بين قبائلها، ويختلط بها، ثم يعود إلى عاصمته تيماء، حيث يسير منها أمور الدولية، ويظهر أنه تطبع من خلال إقامته هذه المدة بين العرب ببعض طباعهم، واقتبس بعض مصطلحاتهم[1].

والملك البابلي نقل معه خلقاً من العراق، وأسكنهم في هذه الأماكن الحجازية، في المواضع المذكورة وكان يأتي إليهم من تيماء، ليتفقد أحوالهم، وليرى بنفسه سبل الدفاع عنهم وحمايتهم من غارات الأعداء، ويرون أيضاً أن في جملة ما جاء بهم إلى هذه الأماكن اليهود: يهود من بابل، ويهود من فلسطين[2].

ويظهر أن الملك "بنونيد" كان قد وضع خطة للهيمنة على الأرضين ولإلحاقها نهائياً ببابل، وذلك بإسكان أتباعه بها وإجبارهم على الإقامة فيها، وقد نفذ خطته هذه فعلاً، ووزع من كان قد جاء بهم معه على الإقامة فيها، وقد نفذ خطته هذه فعلاً، ووزع من كان قد جاء بهم معه على هذه المواضع بأن انتزع الأملاك من أصحابها العرب وأعطاها للمستوطنين الجدد وحماهم بجيش ووضعه في كل مكان لصدّ غارات الأعراب عليهم، ولتقوية معنوياتهم ولتثبيت قلوبهم في البقاء في هذه الأرضين الجديدة، صار يتفقد شؤونهم بين الحين والحين ويزورهم، ولكن الخطة لم تنجح، لأن الظروف السياسية والعسكرية أكرهته على العودة إلى بابل، فمات مشروعه مع عودته، فلم تلحق تلك الأرضين ببابل، غير أن أكثر المستوطنين الجدد بقوا في هذه الأماكن، وفي جملتهم اليهود الذين ازداد عددهم بمرور الأيام وكوّنوا

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص618.

2- المرجع السابق، ص618.

مستعمرات يهودية وصلت يثرب في الجنوب[1] وفي نسخة قمران الحاوية لبعض الإصحاحات من العهد القديم، وقد عثر عليها في نفس الوقت الذي عثر فيه على نص حرّان- أخبار قد تساعدنا في توضيح أسباب سوق بنونيد لليهود وأخذهم معه، وإرسائهم بهذه الأرضين، إرساءً أقرهم فيها وإبقائهم حتى جاء الإسلام فأبعدهم عن الحجاز.

ويرى بعض المؤرخين أن العرب كانوا في أيامالأخمينين قد تقدموا في زحفهم نحو الشمال، فدخلت قبائل منهم إلى العراق، ووسعت مساحة الأرضين التي كان العرب قد استوطنوا سابقاً، كما تقدموا في هذا العهد نحو الغرب، فتوسعوا في بلاد الشام وفي طور سيناء إلى شواطئ نهر النيل، حيث كانوا قد استوطنوها، وقد قاموا بخدمات كبيرة نحو ملوك الفرس في زحفهم على مصر[2].

وقد ورد في أخبار حملة كيرش على بابل أن جماعة من العرب كانت تجارب معه، وكانت تلك الجماعة من الأعراب الراكبين للجمال، وذلك في سنة/539/قبل الميلاد[3] ويتبين من مراجعة الموارد اليونانية التي تعرضت لتاريخ وجغرافية العراق، أن اليونان أخذوا يطلقون لفظة Arobioi من هذا الوقت فما بعده بمعنى العرب وعرب، أي علماً لقوم وشعب على نحو ما كانوا يطلقون من أسماء على الشعوب الأخرى، وقد ذكروهم في جملة شعوب الجزيرة، أي Mesopotamia.

وعلى هذا فسيكون مراد "اكسينوفون" وغيره من العربية الأرض التي غلب عليها العرب، ومعنى هذا توسع العرب في زحفهم وتقدمهم نحو الشمال وتغلبهم على

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص619.

2- المرجع السابق،، ص620.

3- المرجع السابق، ص621.

أرضين جديدة كان سكانها من بني إرم وغيرهم، وتعرب كثير من بني إرم وتكوين طبقة عربية مستعربة[1].

ولما قام "قمبيز" الثاني بغزو مصر سنة/525ق.م/، وطلب معونة العرب، أمدّوه بالجمال، وبالماء، وساعدوه مساعدة كبيرة لولاها لما تمكن من الوصول إلى مصر ويزعم "هيرودوتس" أن "فانس phanes"، الذي خان سيده فرعون مصر، فهرب منه وذهب خلسة إلى "قمبيز" وحثّه على فتح مصر، أشار على الملك بأن يستعين بالعرب ليساعدوه في اجتياز الصحراء، وكان الملك يفكر في الصعوبات التي ستعترض جيوشه في قطع تلك الفيافي والقفار، ومن أهمها قلة الماء، فلما اقتنع الملك بصواب رأي "فانس" وصدقه، أرسل رسولاً إلى ملك العرب ليتفاوض معه في هذا الأمر، فوافق العرب على تقديم المساعدات فهيأوا قرباً كثيرة ملؤوها بالماء، وحملوها على ظهور جمالهم حيث قدموها إلى الفرس[2].

وذكر "هيرودوت" أن جميع سكان آسيا الذين أذلهم كورش ثم اعترفوا بسلطانه، إلا العرب، فهؤلاء لم يخضعوا كالرقيق البتة لسلطان الفرس، وإنما كانوا قد تحالفوا معهم، وأصبحوا حلفاء وأصدقاء لهم منذ مهدوا الطريق لقمبيز للوصول إلى مصر[3].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج1، ص621 165 .

2-G.R orulinson, the History of Herodotus, I, P211, 213, the Cambridge Ancient History, IV.P 20, Herodotus 3.4. 7.Die Araber,I.S. 67.

3-Herodotus I,P 254, 3,5.

وذكـر "هيرودوتـس" أن الأرضـين فينيقيـة ومدينـة Cadytis، كانـت تابعـة للسريان الفلسطينيين Palestine Syrian أما الأرضون بين مدينة Cadytis والقدس موضـع Jenysus "خـان يـونس"، فقـد كانـت تابعـة للملـوك العـرب[1] يتـبين مـن قـول هيرودوتس هذا أن العرب كانوا في أيام "قمبيز" أي قبل الميلاد بعدة قرون، في هذه المنطقـة مـن فلسـطين، وأنهـم كـانوا قـد انتشـروا في طـور سـيناء ونزلـوا المنـاطق الشرقية من مصر، حتى ضفة نهر النيل. ولهذا السبب أطلق عليها اسم العربية دلالة على توغل العرب فيها[2].

لقد كانت غزة مدينة عربية يحكمها ملوك عرب، وقد كانت في حكم ملك عربـي في أيام "هيرودوتس"، وكانت كل الأرضين الواقعة بين غزة وبين Rhinokolura تحت حكم العرب أيضاً وذلك منذ أيام الفلسطينيين[3].

وقد كان يحكم غزة في أيام "هيرود الكبير" ملك من أهل غزة[4].

وقد كانت غزة قبيل الإسلام وعند ظهوره فرضة العرب، يقصدها أهل العربية الغربية للبيع والشراء، وقد كان تجار العربية الشرقية يقصدونها أيضاً على الرغم من بعد المسافة واتساع الشقة، فقد كان أهل الجرعاء جرها، يقصدونها حاملين معهم تجارة الهند وما وراء الهند، فتأخذهم إبلهم عن طريق الواحات والآبار إلى دومة الجندل ومنها إلى جنوب فلسطين فغزة حيث يبيعون ما عندهم ويشترون ما

1–Herodotus, I, P 212, BK. III. IV- V.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص623.

3–Grohmann, Arabien. S.23.

4–Flavius Josephus, Antiquitates, XV. 7.9.

يحتاجون إليه من حاصلات البحر المتوسط ثم يعودون بأموالهم الجديدة إلى بلادهم لبيعها هناك، أو لشحنها إلى ما وراء الخليج من أرضين[1].

وفطن دارا الخطورة المشروع القديم، مشروع ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر النيل فاحتقره[2] وقد وضع أساس هذا المشروع "رمسيس الثاني"، غير أنه امتلأ بعد ذلك بالرمال مراراً، فاحتقره من جاء من بعده من الملوك[3].

ويفتخر دارا في كتابته التي أشار فيها إلى مشروع القناة، بأنه استطاع أن يسيّر السفن عبرها من مصر إلى أرض فارس، وقد كانت هذه الخطوة من أعظم الخطوات في تاريخ العالم، ولا شك.

وقد آثرت تأثيراً خطيراً في التجارة العربية في البحار، إذ فتحت البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الهندي لمنافسين أقوياء، صار بإمكانهم شراء تجارة إفريقية والهند وسواحل جزيرة العرب بأسعار رخيصة، لبيعها في الأماكن التي تريدها والتي كانت تشير بها بأثمان عالية، وبذلك أخذت من التجار العرب جزءاً كبيراً من أرباحهم، وألحقت بتجارتهم مع البحر المتوسط ضرراً لا يستهان به.

ولما تحدث "دارا" عن الأرضين التي خضعت لحكمه، أدخل عربايا-أربايا في جملة تلك البلاد، ولم يقصد "دارا" بـ «عربايا كل البلاد العربية»، أي جزيرة العرب وبادية الشام، وإنما أراد بها بادية الشام، كما تحدثت ذلك في شرح المراد من ماتوا أريبي في الكتابات المسمارية، وقد كانت هذه البادية مثل جزيرة العرب موطناً للأعراب منذ وجود العرب[4].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص، 624.

2-Herodotus I,P 302, BK.IV.39.

3-Herodotus, I. P 302, Note I.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص625.

وقد ذكر "هيرودتس" أن بلاد العرب كانت تقدم جزية سنوية من الطيب إلى "دارا"، إلا أنه لم يحدد العرب الذين دفعوا هذه الجزية.

ولما كانت هذه الجزية طيباً، فإنها تحملنا على التفكير في أن العرب الذين دفعوها كانوا من رجال القوافل المتاجرة التي تأتي بتجارة العربية الجنوبية لبيعها في بلاد الشام ومصر، وكان الطيب والبخور من أهم المواد الرائجة في أسواق تلك البلاد، وهذه الجزية لم تكن بالمعنى السياسي المفهوم الذي يدل على خضوع العرب للفرس، وإنما كانت جعالة سنوية تدفع للسلطات الحاكمة على تلك الأسواق مقابل السماح لها بالإتجار[1].

ويلاحظ أن "هيرودتس" لم يخضعوا للفرس في أيام كورش ولا في أيام قمبيز، وإنما كانوا حلفاء للفرس، فيظهر من كلام "هيرودتس" الأخير أن العرب الذين خضعوا للفرس ولدارا، هم من أعراب بادية الشام، ومن كانت منازلهم وديارهم في فلسطين وفي طور سيناء[2].

ويرى بعض المؤرخين أن العربية التي خضعت لحكم "دارا" لم تكن جزيرة العرب، وإنما منطقة الجزيرة الواقعة بين بابل وآشور، مثل منطقة سنجار والحضر وكان العرب قد توغلوا فيها[3].

وأشار "هيرودوتس" إلى وجود فرقة عسكرية من العرب في الجيوش الفارسية التي كانت بمصر، كان على رأسها قائد فارسي دعاه ارسامس، وقال إنه أحد أولاد "دارا".

ويظهر أن هؤلاء الجنود هم من عرب مصر، أي من العرب الفاطنين هناك، ولعلهم من سكان الأرضين المحصورة بين النيل والبحر الأحمر[1].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص625.

2-Die Araber. I.S. 167.ff.

3-Die Araber, I. S. 165.

وقد كان العرب ينزلون هذه المنطقة والمنطقة شرقي النيل وجنوب البحر المتوسط والمتصلة بطور سيناء منذ القديم.

فالعرب كانوا من قدماء سكان مصر، لا كما يتصور بعضهم من أنهم دخلوا مصر في الفتح، وأنهم لذلك غرباء لا صلة هناك بينهم وبين المصريين قبل الإسلام. والمعروف أن الهكسوس الذين حكموا مصر كانوا من العرب في رأي كثير من العلماء، بل في نظر قدماء المصريين، كما حكى ذلك الراهب المصري المؤرخ مانيتو Manetho في كتابه المؤلف باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد[2].

وقد ألف الفرس- بالإضافة إلى الجنود العرب المشاة- كتائب عربية من الهجانة، تقاتل على الإبل، يلبسون ملابس المشاة، ويحملون أسلحتهم، يقول هيرودوتس: ((إنهم كانوا يوضعون في مؤخرة الفرسان، تجنباً لانزعاج الخيل إذا ما سارت مع الإبل))[3].

وقد ألف العرب فرقة محاربة من الرماة بالسهام ومن المقاتلين، اشتركت في جيش احشويرشXeroxes/ 465 – 485 ق.م/[4].

1–The Cambridge Ancient History, VolIv. P 190.

2– A. T. Olmstead History of the Persian Empire, 1948,P 88.

3–Herodotus, II,P 152.

4–Die Araber, I. S.171.

العرب والعبرانيون

لم تذكر التوراة العرب في مواليد بني نوح: سام – وحام – ويافث[1]:
ولكنها ذكرت أسماء قبائل لا شك في أصلها العربي، وفي سكناها في جزيرة العرب. وهذا يؤيد ما ذهبت غليه من أن كلمة العرب لم تكن تعني قومية خاصة، ولم تكن تؤدي معنى العلمية، وإنما ترادف الأعراب والبدو، أي سكان البادية.

قد ذهبت جماعة من المستشرقين إلى أن العبرانيين هم قوم أصلهم من جزيرة العرب، هاجروا منها وارتحلوا عنها على طريقة الأعراب والقبائل المعروفة نحو الشمالي ودليلهم على ذلك هو الشبه الكبير بين حياة العبرانيين وحياة الأعراب، وإن ما ورد في التوراة وفي القصص الإسرائيلي عن حياة العبرانيين، ينطبق على طريقة الحياة عند العرب أيضاً، ثم إن أصول الديانة العبرانية القديمة وأسسها ترجع إلى أصول عربية قديمة. أضف إلى ذلك أن العرب والإسرائيليين ساميون، وجزيرة العرب هي مهد الجنس السامي[2].

وإذا جارينا التوراة في قولها بالأنساب، نرى أن العرب والعبرانيين هم على رأيها من أصل واحد، هو سام بن نوح، ونرى أيضاً أنها تعترف ضمناً بقدم اليقطانيين، أي القحطانيين على الإسرائيليين، فاليقطانيون هم أبناء "يقطان ابن عابر بن شالح بن أرفسكاد بن سام" [3]، فهم أقدم عهداً من بني إسرائيل، وأعرق حضارة ومدينة منهم، ولا سيما إذا ما عرفنا أن كلمة عبري على رأي كثير من العلماء تعني التحول والتنقل، أي البداوة[4]، أي أنهم كانوا بدواً أعراباً يتنقلون في البادية قبل مجيئهم إلى فلسطين واستقرارهم بها وتحضرهم على حين كان القحطانيون متحضرين

1–التكوين، الإصحاح العاشر، أخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول.

2– Montgomery, neues arabisches Handbuch der altorobischen Altertumskunde I. S. 241..

3–التكوين الإصحاح العاشر، الآية/20/وما بعدها.

4–إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص77 فما بعدها.

مستقرين أصحاب مدن وحضارة، كذلك فقد جعلت التوراة الفرع العربي الآخر الذي وضعته في قائمة أبناء "كورش" أقدم عهداً من الإسرائيليين[1].

وكان العرب حتى في أيام تكوين العبرانيين حكومة في فلسطين يؤثرون تأثيراً خطيراً في الوضع السياسي هناك.

وقد كانوا يقطنون بكثرة في الأقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين وفي طور سيناء وغزة[2]، بل وكانوا يقطنون في القدس كذلك[3].

ومن علماء التوراة من يرى أن "أيوب"، صاحب سفر أيوب- وهو من أسفار التوراة- هو رجل عربي، إذ كانت كل الدلائل الواردة في سفره تدل على أنه من العرب، فهو كان من أرض عوص في بلاد العرب.

ويرى بعضهم أنه كان يسكن في شرق فلسطين أو في جنوب شرقيها، أي في العرب، أو في بادية الشام[4].

وكان أيوب رجلاً غنياً يملك إبلاً وبقراً وأتناً وأملاكاً، وله رعاة يتنقلون بماشيته في بادية الشام ما بين العراق وفلسطين وأعالي الحجاز، فأغار أهل سبأ على بقر له كانت تحرث أرضه وعلى أتن كانت ترعي في أرضه، وأخذوها من رعاته وحرّاسه وهؤلاء السبئيون، هم من السبئيين النازحين إلى الشمال والساكنين في أعالي الحجاز وفي الأردن، فالغارة كانت في هذه المنطقة، أما غارة الكلدانيين فكانت في العراق على مقربة من أرض الكلدان، وذلك لأن رعاة إبله كانوا قد تنقلوا إلى هناك على عادة الأعراب حتى اليوم في التنقل بإبلهم من مكان إلى مكان طلباً للماء

1-التكوين، الإصحاح العاشر، الآية/6/وما بعدها.

2-Enc,Bible. I.P 272. FF.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص631.

4- المرجع السابق، ص631.

والكلأ، فاستولى الكلدانيون عليها وأخذوها، ولا علاقة لهاتين الغارتين بموطن أيوب[1].

وقد ذكر في سفر أيوب أن ذلك الرجل أعظم أبناء المشرق جميعاً وتدل هذه الارقام والأوصاف المذكورة لثروته أنه كان من أعاظم الأغنياء في أيامه، وأنه كانت من أبناء الشرق، هي ترجمة لجملة بني قيديم العبرانية، وليس في التوراة تحديد لمكان بني قيديم-بني قديم، ولا تعريف لهم، ولكن التسمية العبرانية هذه، تشير إلى أن المراد منها من كان يقيم في شرق العبرانيين ولا سيما في البادية الواقعة شرق فلسطين[2].

فهم إذن في نظر العبرانيين، الساكنون في شرقهم ولما كان أيوب منبني قيديم ومن أرض عوص، فيجب أن تكون أرض عوص في الادية في شرق فلسطين، أي في منازل بني قديم الممتدة إلى العراق، وهي مواطن الأعراب، وقد عرف واشتهر بعض بني قديم بالحكمة عند العبرانيين[3].

ويستدل من يقول بعروبة أيوب بالأثر العربي البارز على سفر أيوب ومن قدماء من قال بوجود آثر للعروبة في سفره، العالم اليهودي ابن عزرا من رجال القرن الثاني عشر، وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير إلى وجود آثر عربي عليه، حتى ذهب بعضهم إلى أن ذلك السفر هو ترجمة لأصل عربي مفقود[4] وفي أثناء حديث التوراة

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص632.

2-أيوب، السفر الأول، الإصحاح الأول، الآية/3/.

3-Montgomery, 41, 49, 71, 169.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص634.

عن أيام داوود وملكه، أشارت إلى رجل كان من شجعانه وأبطاله الذي تباهى بهم وافتخر، دعته أبيل العربي[1] وكان من أهل بيت عرابة بيت عربة في تيه يهودا[2].

ويدل لقبه هذا والموضع المذكور إنه كان من العرب، وأشارت إلى رجل آخر، ذكرت أنه كان على جمال "داوود"، دعته بـ "أوبيل الإسماعيلي" [3]، فهومن العرب الإسماعيليين، ولا يستبعد أن يكون هذا الرجل من وجوه الأعراب، ولذلك أوكل إليه أمر إبله، هي حرفة من صميم عمل أبناء البادية.

وقد أشير في سفر يوئيل إلى السبئين، فورد فيه: ((ها أنا ذا أنهضتهم من المواضع الذي بعتموهم إليه، وأرد عملكم على رؤوسكم، وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبئيين لأمة بعيدة، لأن الرب قد تكلم))[4].

وقد ورد هذا التهديد لأن الصورتين والصيدونيين وجميع دائرة فلسطين كانوا قد استولوا على فضة الهيكل في أورشليم وذهبه ونفائسه، وباعوا بني يهوذا وبني أورشليم لبني ياوان[5] أي اليونان[6]، فورد هذا التهديد على لسان يهوه إله إسرائيل متوعداً أولئك الذي نهبوا الهيكل وأسروا بني يهوذا وبني أورشليم، أي سكان القدس، وباعوهم لليونان، بمصير سيء، وبانتقام الرب منهم، وبقرب ورود يوم، يبيع فيه أبناء يهوذا، أي العبرانيين أبناء المذكورين إلى السبئيين.

1–أخبار الأيام الأول، الإصحاح 11، الآية/32/ .

2–Hastings, P 3.

3–أخبار الأيام الأول، الإصحاح 27، الآية/30/

4–يوئيل، الإصحاح الثالث، الآية/7/فما بعدها .

5–المرجع السابق، الآية/5/وما بعدها .

6–Montgomery. 181.

وكانت ملكة سبأ الواردة في القرآن تحكم في العربية الشمالية، تحكم جماعة من السبئيين الذين كانوا قد نزحوا إلى هذه المناطق منذ عهد بعيد، وكوّنوا مستوطنات سبئية في الأردن وفي أعالي الحجاز[1].

ووجه "سليمان" أنظاره نحو البحر، ليتجر مع البلاد الواقعة على البحار، وليستورد منها ما يحتاج العبرانيون إليه، فأنشأ أسطولاً تجارياً في عصيون جابر على خليج العقبة بجانب أيلة، من أرض أدوم[2]، وقد عرف خليج العقبة ب بحر سوف، ولما كان العبرانيون لا يعرفون البحر، استعان سليمان بـ "حيرام" ملك صور، في تسيير الاسطول وتدريب العبرانيين على ركوب البحر فأمده بخبراء من صور تولوا قيادة السفن، يخدمهم رجال سليمان، فمخروا البحر حتى وصلوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهباً، زنته أربع مئة وعشرون وزنة، أتوا بها سليمان[3].

فلعل كتّاب التوراة لم يكونوا يعرفون مكان أوفير، وإنما سمعوا بذهبه، الذي يتاجر به العرب الجنوبيون، من الموانئ الساحلية، فأرسل سليمان سفنه إلى مواضع بيعه في سواحل جزيرة العرب لشرائه، ومن هنا ظن كتاب العهد القديم أن أوفير على ساحل البحر[4].

وعلى أثر وفاة "سليمان" حوالي سنة/937 ق.م/انشطرت حكومته شطرين: إسرائيل و يهوذا، وقد أثر هذا الانقسام على أعمال العبرانيين التجارية البحرية،

1–Hastings,P 843.

2– الملوك الأول، الإصحاح التاسع، الآية 26.

3– المرجع السابق، الآية 26 فما بعدها.

4– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص639.

لذلك لا نسمع لها ذكراً في التوراة إلى أيام "يهوشافاط" ابن "الملك آسا"، الذي حكم فيما بين/876/و/851/ق.م تقريباً[1].

ويظهر من سفر الملوك الأول أن "يهوشافاط" قام بنفسه بالبناء منفرداً، أما "أخزيا بن آخاب" ملك إسرائيل عليه أن يبني أسطولاً مشتركاً، يشترك فيه ملاحون من إسرائيل وملاحون من يهوذا، إلا أنه رفض ذلك[2]، ولم نعد نسمع بمحاولات أخرى للعبرانيين ترمي إلى إعادة فكرة سليمان في بناء سفن بحرية للإتجار بها مع البلاد الواقعة على البحر بمسافات بعيدة عن إسرائيل[3] نعم، لقد كوّن المكابيون أسطولاً تجارياً لهم جعلوا مقره في يافا[4].

ولكنهم لم يتمكنوا من بناء أسطول لهم يخترق مياه البحر الأحمر، ليزاحم العرب أو غيرهم فيه، فلم يكن الإسرائيليون من عشاق البحر على شاكلة الفينيقيين أو العرب الجنوبيين أو سكان العروض، ولولا المساعدة الثمينة التي قدمها ملك صور لسليمان، لما استطاع العبرانيون أن يصلوا إلى ترشيش أو أوفير وتولى يهورام/851- 843ق.م/، الحكم على مملكة يهوذا بعد يهوشافاط[5]، وتذكر التوراة أنه قتل جميع إخوته وبعض رؤساء إسرائيل بالسيف[6].

1–Hastings,P400.

2–الملوك الأول، الإصحاح الثاني والعشرون، الآية/38/فما بعدها.

Montgomery, Arabia P 179.

3– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص641.

4–Hastings.P849.

5–ملك/8/سنين من سنة 892– 885 ق.م قاموس الكتاب المقدس.

Hastings 534/2,P400.

6–أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، الآية/4/فما بعدها.

وأنه أغضب إله إسرائيل بأفعاله المنكرة، لذلك أهاج الرب على يهو رام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين، فصعدوا إلى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك ونسائه أيضاً، ولم يبق له ابن إلا "يهوحاز" أصغر منه[1].

ويظهر أن هجوم العرب على أورشليم كان هجوماً شديداً عنيفاً كاسحاً، بدليل ما جاء في الآية التي أشرت إليها في التوراة، وفي الآية الأولى من الإصحاح التالي للإصحاح المذكور: وملك سكان أورشليم أخزيا أبنه الأصغر عوضاً عنه، لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة[2].

وفي هذا الهجوم الماحق دلالة على ضعف مملكة يهوذا وتضعضع الأمن فيها وعلى التناحر الشديد الذي كان بين السكان.

ويحدثنا الإصحاح السادس والعشرون من أخبار الأيام الثاني أن عزيا ملك يهوذا/779- 740 ق.م/، خرج وحارب الفلسطينيين وهدم سورجت وسور يبنة وسور أشدود وبنى مدناً في ارض أشدود والفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جور بعل والمعونيين[3].

ويفهم من هذه الآيات أن الفلسطينيين والعرب كانوا جبهة واحدة متحدة ضد مملكة يهوذا وقد كبدوها خسائر فادحة كما رأينا[4].

1-أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، الآية/16/فما بعدها.

2-أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون، الآية/1/.

3-أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السادس والعشرون، الآية/6/فما بعدها.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص643.

ويظهر من ذكر الفلسطينيين والعرب الساكنين بهذا المكان والمعونيين بعضهم مع بعض أن أرضيهم كانت قريبة بعضها عن بعض، وأنهم كانوا يداً واحدة على يهوذا، ويرى موسل أن الزاوية الشمالية الغربية من أرض حسمى هي جور بعل.

وتقع في رأيه على مقربة من جبل إرم الذي يعرف اليوم باسم رم، وهو في جغرافية بطليموس، ويكون حداً من الحدود الشمالية للحجاز.

وذهب بعض الباحثين إلى أن جور بعل تعني صخرة بعل، في بعض النصوص الإغريقية، ولهذا فسروها بـ بطرا، ولذلك قالوا إن العرب المذكورين كانوا العرب الساكنين عند بطرا[1].

وقد استعاد عزيا- آيلة- ايلات، وبنى ميناءها، وهي فرضتها الشهيرة وقد بقيت في ملك يهوذا إلى أن استولى عليها ملك أرام[2].

وقد حاول عزيا ومن جاء بعده، جعل ايلات-أيلة ميناء يهوذا الجنوبي وذلك للاستفادة منه في الإتجار مع إفريقية والبلاد العربية وسواحل آسية الجنوبية تطبيقاً لخطة سليمان، إلا أن هذا الأمر لم يتحقق، إذ لم تكن مملكة يهوذا قوية ممكنة في هذه المناطق الجنوبية، التي كانت هدفاً للغارات والحروب[3].

---

1 –Montgomery, Arabia. P 30.

2–أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السادس والعشرون، الآية/2/، الملوك الثاني، الإصحاح الرابع عشر الآية/22/، قاموس الكتاب المقدس.

Hastings84/1 , P 211.

3– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص645.

وفي أخبار حملة "سنحاريب" التاسعة ما يفيد أن حزقيا ملك يهوذا استخدام الـ الأربي، أي الأعراب، فيمن استخدمهم للدفاع عن القدس أورشليم، حينما حاصرها ملك آشور، ولم يكن هؤلاء العرب، إلا أعراباً من سكان يهوذا، ومن سكان الأرضين الأخرى في فلسطين[1].

وعلى عاتق هؤلاء الأعراب وقعت مسؤولية الدفاع عن القدس، حيث قاموا بدور كبير في الدفاع عنها وفي مقاومة الآشوريين[2].

ولما سمح الفرس ليهود بابل الذين كانوا في الأسر بالعودة إلى بلادهم، توسل "نحميا" إلى "ارتحستا"، ملك الفرس، بالسماح له بالعودة إلى القدس، وكان "نحميا" نديماً للملك، بسقيه الخمر ويؤانسه، فسمح له، ولما وصل إليها، وجد المدينة خربة، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها، فجمع سكانها وامرهم بإعادة بناء الأسوار وإصلاح الثّغر والثلم التي فيها، وعمل أبواب جديدة، ولكنه لقي معارضة شديدة من "سنبلبط الحوروني" و"طوبيا العبد العموني" و"جشم العربي".

ولما سمع ستبلط أننا آخذون في بناء السور، غضب واغتاظ كثيراً، وهزأ باليهود، وتكلم أمام أخوته وجيش السامر، وقال: ماذا يعمل اليهود الضعفاء؟ هل يتركوا فهم؟ هل يذبحون؟ هل يكلمون في يوم؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة؟ وكان طوبيا العموني بجانبه، فقال: إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم[3].

---

1 –Lucken bill, II, 240, Reoll, I. S. 125 .

2 –A. R. Burn, Persia and the Greeks. P21.

3–نحميا، الإصحاح الرابع، الآية/1/فما بعدها .

وقد تأثر "نحميا" من هذا الازدراء الشائن كثيراً، فتراه يوجه وجهه لربه ويخاطبه قائلاً: ((أسمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً ورد تعييرهم على رؤوسهم واجعلهم نهباً في أرضي السبي))[1].

وصمم "نحميا" كما يقول على الاستمرار في البناء حتى إكماله فلما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت، والثغر ابتدأت تسد، غضبوا جداً، وتآمروا معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً[2].

وكان "جشم" العربي، من أشد المعارضين لبناء السور، ولتحصين القدس، وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة يهوذا ولتنصيب "نحميا" ملكاً على أورشليم، وقد صرح برأيه هذا إلى "نحميا" في رسالة وجهها إليه نقل "نحميا" منها هذه الكلمات: وجشم يقول: ((إنك أنت واليهود تفكرون أن تتمردوا، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً بحسب هذه الأمور. وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك))[3].

وما كان "جشم"، ليعارض بناء أسوار القدس ووضع الأبواب لها، وإعادة حكومة يهوذا التي قضى عليها البابليون إلى الوجود لو لم يكن صاحب سلطان وحكم في أرضين تجاور القدس[4].

1-نحميا، الإصحاح الرابع، الآية/4/.

2-المرجع السابق، الآية/7/فما بعدها.

3- المرجع السابق، الآية/7/فما بعدها.

4-Enc. Bible, I.P 273. FF.

وقد كانت طور سيناء منذ القديم أرضاً يسكنها العرب، حتى في أيام داوود وسليمان ونجد أن رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية تجعل جبل سيناء في ديار العرب، وتذكر أن طور سيناء موطن أبناء هاجر، أي العرب[1].

كما نجد أن النقب ووادي عربة كانا من موطن الأعراب، وقد كان أعراب "جشم" وغيره ينتقلون وينزلون في هذه المواطن وعلى مقربة من القدس.

وفي هذا العهد وصل الإتجارين فلسطين وبين العربية الجنوبية ذروته، فعثر على مواد كثيرة في مواضع متعددة من فلسطين استوردت من العربية الجنوبية.

كما عثر في حضرموت على آثار تدل على أنها استوردت من فلسطين وبلاد الشام وقد كانت حاصلات العربية الجنوبية هي من أهم السلع المطلوبة في فلسطين ترسل إليها عن طريق البر على ظهور الجمال[2].

ومنذ عهد نحميا أخذ العبرانيون ينظرون نظرة عداء إلى العرب، ويعدونهم في الجماعات المعادية لهم[3]، وذلك مما يدل على اتخاذهم موقفاً موحداً ضد العبرانيين وعلى توغلهم في فلسطين في المناطق التي حكمتها حكومتا إسرائيل ويهوذا.

ولهذا اشتدت مقاومة العرب للعبرانيين واتحدوا مع الشعوب الأخرى في مقاومتهم وفي منعهم من إعادة تكوين حكومة يهودية في هذه البلاد[4].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص648.

2- المرجع السابق، ص648.

3- المرجع السابق، ص648.

4-Margolioth p48, Hasting, P, 406, Enc. Bible, I.P273.

ولما تولى "يهوذا المكابي" مؤسس أسرة المكابيين/166 – 161 ق.م/الحكم، حارب أعداء العبرانيين[1]، وكان من بينهم "تيموتاس" رئيس العمونيين.

الذين استأجر جيشاً من العرب ومن الغرباء ليحارب به يهوذا، غير أنه أصيب كما يقول سفر المكابيين بخسائر في كل المعارك التي خاضها مع يهوذا، ولم يتمكن من الانتصار عليه[2].

وقد تحدث سفر المكابيين الثاني عن تيموتاس هذا، فقال: ثم ساروا –أي اليهود– من هناك تسع غزوات زاحفين على تيموتاس، فتصدى لهم قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف، ومعهم خمس مئة فارس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الفوز لأصحاب يهوذا بنصرة الله، فانكسر عرب البادية، وسألوا يهوذا أن يعاقدهم على أن يؤدوا إليهم مواشي ويمدهم بمنافع أخرى[3].

ولعل هؤلاء العرب، هم العرب المذكورون الذين ذكر السفر الأول من المكابيين أن تيموتاس كان قد استأجرهم لمقاتلة اليهود، وقد كانوا من أعراب البادية.

وورد في سفر المكابيين الأول اسم سيد قبيلة عربية هو "زبديئيل"، وكان يقطن في ديار العرب، وكان قد مني بهزيمة أوقعه بها بطليموس. فلما وصل إسكندر بالس إلى ديار العرب، قبض عليه "زبديئيل"، وقطع رأسه، وأرسله إلى بطلماوس[4].

1–Hastings, A Dictionary, I.P 936.

2–المكابيون الأول، الإصحاح الخامس، الآية/6/فما بعدها،/34 فما بعدها، المكابيين الثاني الإصحاح الثامن، الآية 30،الإصحاح التاسع، الآية/3/، الإصحاح العاشر الآية 24 فما بعدها.

3– المكابيون الثاني عشر، الآية/10/فما بعدها.

4–المكابيون الأول، الإصحاح الحادي عشر الآية/15/وما بعدها.

ولم يتحدث السفر المذكور عن منزل "زبديئيل"، والأرجح أن المراد بـ ديار العرب بادية الشام، والأرضين التي دعاها الأشوريون بـ «أريبي»، وهي موطن آمن لمن يصل إليه، إذ يصعب للجيوش النظامية أن تقاتل فيها، وقد كان "زبديئيل" من رؤساء البادية في هذا الزمن، وهو حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد[1].

ويذكر سفر المكابيين أيضاً أن "تريفون"، وهو أحد قوّاد "إسكندر بالس" ذهب إلى رجل عربي اسمه "ايملكوئيل"، وكان يربى "أنطيوخس بن الاسكندر" فألح عليه أن يسلمه إليه ليملكه مكان أبيه، وقد تمكن عربي مع حقد العبرانيين المتزايد على العرب من حكم اليهود ومن تأسيس أسرة حاكمة حكمتهم. ذلك الرجل هو "انتيباتر الأدومي"، نسبة إلى أدوم، وهم سكان جبل سعير، الذي دعاهم "اويسيبوس" بالجبليين[2].

فقط تمكن هذا الرجل الذي لم يكن من أسرة ملكية ولا من أسرة معروفة بفضل شخصيته وبقوته من فرض نفسه حاكماً على أدوم، ثم تمكن من جعل نفسه حاكماً على اليهودية، وذلك في حوالي السنة/33/قبل الميلاد، وفي خبر أن يوليوس قيصر، اعترف به على اليهودية في حوالي السنة/47 ق. م/[3] ولما وقعت الحرب بين "يوناتان" المكابي/161 – 143 ق.م/و"ديمترتوس الثاني" ضرب "يوناتان" العرب المسمين بالزبديين وأخذ منهم غنائم كثيرة[4].

1–Hastings. P 20.

2 –Hastings. P 345.

3 –Smith, A Dictionary of the Bible, I, P 790. F. Josephus, Anti, Xir. 703.

4– سفر المكابيون الأول الإصحاح الثاني عشر الآية/31/فما بعدها.

حدث ذلك في/144 ق.م/ويرى بعض علماء التوراة أن هذه القبيلة العربية قبيلة زبد كانت تنزل في موضع في شمال غربي دمشق، ويرى بعض آخر احتمال أن ذلك المكان هو الزبداني، الذي يبعد عشرين ميلاً من الشام على طريق دمشق بعلبك[1].

وأرتاس زعيم العرب الذي طرد "ياسون" من بلاده حينما التجأ إليه فاراً من الملك أنطيوخس، هوالحارث وهو من ملوك النبط، وقد ذكر اسمه في سفر المكابيين الثاني[2].

وفي أيام "سترابون" كان العرب في جملة سكان مدن فلسطين، مثل القدس ويافا والجليل[3].

وذكر "سترابون" أن الأدوميين كانوا يقطنون الأقسام الغربية من اليهودية وهم على حد قوله من النبط. ولما كان "سترابون" قد نقل كلامه من موارد أخرى قديمة، فما ذكره يفيد أن العرب كانوا يقيمون في فلسطين قروناً عديدة قبل الميلاد[4].

وقد ذكر العرب في جملة الشعوب الساكنة في أورشليم يوم مرور الخمسين يوماً على المسيح، ويظهر من أعمال الرسل أن أهل القدس كانوا خليطاً في تلك الأيام من معظم شعوب العالم المعروفة يومئذ[5].

---

1 –Hastings p> 882, Beeton, Dictionary of Religion philosophy and laru, P 1809.

2– المكابيون الثاني، الإصحاح الخامس الآية، فما بعدها. Dubnoru, II. S. 48.

3– قاموس الكتاب المقدس 331/1.

4– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 651.

5– أعمال الرسل، الإصحاح الثاني، الآية/9/وما بعدها.

وقد أطلق العبرانيون اسم طيعة وطيابة على العرب، فتجد اللفظة في التلمود وفي كتابات العبرانيين المدونة في القرون الأولى للميلاد، وقد أخذ هذا الاسم من طيء اسم القبيلة المعروفة[1].

وفي التوراة مصطلحات يرى العلماء أنها كناية عن العرب، ففيها مصطلح بني قديم ومعناه: أبناء الشرق، ويقصد به الساكنون شرق العبرانيين، أي سكان بادية الشام، وهم كما نعلم قبائل عديدة من العرب سكنت هذه البادية قبل الميلاد بمدة لا يعلمها إلا الله، وقد يكون من بين هؤلاء أقوام من الآراميين[2].

وقد وصفت التوراة بعض عادات العرب ورسومهم، كما تعرف لتجارتهم.

ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب، وجزء منها، صارت سوقاً مهمة للتجار العرب وللأعراب، يأتونها لبيع ما عندهم من سلع، وأهمها أنواع الطيب والذهب والحجارة الكريمة والأغنام والأعتدة وحاصلات بلاد العرب الأخرى[3].

كما كانوا يشترون من أسواقها ما فيها مما يحتاجون إليه.

وذكر التلمود إن من عادة نساء العرب التحجب عند خروجهن إلى المحال العامة ولعله يقصد بذلك نساء المدن، وذكر إن من عادة الرجال وضع اللثام على وجوههم في أثناء السفر لوقايتهم من الرمال، وأشار إلى أن للعرب مقدرة فائقة في معرفة مواضع المياه في الصحراء بمجرد شم الرمال[4].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 652.

2 –Hastings, P 200. The Bible Dictionary, I, P177.

3- حزقيال، الإصحاح السابع والعشرون، الآية/21/وما بعدها.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص653.

وقد ورد في هذه الفتوى، أن القرب التي تشد وتعقد بعقدة تكون طاهرة، إلا إذا عقدت بعقد عربية. فإنها تكون بخسة ولا يحل الشرب منها[1].

ونجد هذا البحث مرة أخرى في مكان آخر من المشنة في كتاب الـ «قليم»، أي كتاب الأواني والأوعية من كتاب الطهارة، حيث عرضت آراء الأخبار في قرب الماء وفي كيفية عقد عقدتها لمدة طويلة أو لمدة قصيرة، ومن حيث شدة العقدة أو رخاوتها، وتأثير ذلك في طهارة الماء.

فأشير إلى قرب ماء العرب وموقفهم من الشرب منها أو من الاستفادة من مائها وهل يعد ماؤها طاهراً أو بخساً في الشريعة اليهودية؟ وقد جاءت آراء الأخبار متباينة في ذلك[2].

ويظهر أن اتصال العرب باليهود اتصالاً وثيقاً بالعراق، وسكن اليهود بين العرب في بلاد العرب، أثار أمام اليهود هذه المشكلة الفقهية فهم مضطرون دائماً إلى الاتصال بالعرب وإلى شرب الماء منهم، فظهرت من ثم عندهم هذه المشكلة، وكان على الأحبار بيان رأيهم في طهارة ماء القرب، وقرب العرب منها بوجه خاص، لما في ذلك من علاقة بقضية الطهارة والنجاسة ومكانتها في فقه يهود.

وفي موضع آخر من كتاب **الأواني والأوعية**، بحث عن جواز أو عدم جواز ارتداء بعض الأردية وموقف الشريعة من أكسية الرأس وأغطية الوجه والجسم، فبحث

1 –Menohoth 34 b, P 231, Translated by Eli Cashdon.

2 –The Mishmahs, Kelim, P124.

في جملة ما بحث عنه، عن القناع الذي يصنعه العرب على أوجههم وعن تلثمهم به، فهل يجوز لليهودي شرعاً أن يفعل فعل العرب أم لا[1].

وقد استثنت المشنة، عشرة مواضع من تطبيق أحكام الشرع عليها، بخصوص طهارتها أو نجاستها لكون ساكنيها من الوثنيين، ذكرت مضارب خيام على رأس هذه المواضع العشرة التي لا تخضع لحكم الشريعة في موضع حكم طهارتها أو نجاستها، وذلك لأن مضارب البدو غير مستقرة، إذ أن الأعراب يتنقلون من مكان إلى آخر لذلك لا يمكن تطبيق الأحكام الشرعية التي تطبق على العقار الدائم عليها في موضوع نجاسة الأثاث والأواني وكل شيء يكون تحت الخيمة التي يموت فيها إنسان، ولأن أصحابها غير يهود[2].

وقد أشير في مينحوت إلى موضوع تقديم طعام مطبوخ في موقد عربي، هل يقبل أو يرفض، فأشار بعض فقهاء الشريعة اليهودية إلى عدم جواز الأكل من ذلك الطبيخ[3] ونجد في باباثيرا، إن الحبر "ماير" يستثني النبط والعرب والسلمونيين من الوعد الذي أعطاه الله لموسى حين أراه الأرض الموعودة[4]، ويظهر أن السلمونيين، هم قبيلة من القبائل العربية الشمالية[5].

وقد ورد ذكر العرب في كتاب الحيض من كتاب **الطهارة** في الفقه اليهودي، وذلك في موضوع العبدة وهل يجوز الاتصال بها، أو لا يجوز، على اعتبار أنها خصصت

1–The Mishnah Kelim? P- 138.

2 –The Mishnah Kelim, oholoth, P 228.

3 –Menohoth, 63a, Menohoth, P 372.

4 –Baba Bothra, 56 a.

5 –The Babylonian Taimud, Sder Nezikin, P 227.

لأعداء الأعمال لا للاتصال الجنسي، وقد أجاز الحبر "شيشت" إيداع العبدة أي المملوكة إلى العرب، على أن يقال لهم احترسوا من الاتصال بالإسرائيليات[1].

ومثل موقف الشريعة اليهودية من ذبائح العرب، وهي التي يذبحها اليهود للعرب في مقابل إعطائهم اللحم ليقدم العرب دمها وشحمها للأصنام[2].

وموقف الشريعة من المرأة التي يأسرها الأعراب ثم تعاد بعد ذلك إلى أهلها بعد فك أسرها، هل يجوز للحبر أو لغيره التزوج منها أولاً؟ أو موقف الشريعة من المملوكة اليهودية التي تكون في أيدي العرب، من حيث احتمال دخول العرب بها[3] أو موقف الشريعة من الحبوب أو المواد الأخرى التي تقع بين روث ماشية العرب[4] أو دخول إبل العرب في كثوبة يهودي[5].

أو موقف اليهودي من المرأة[6] أو موضوع نظر اليهودي إلى عضو من جسم امرأة عربية، مثل صدرها حينما يمر في مكان ويراها وقد كشفت عن صدرها لترضع رضيعها[7]، أو موقف الشريعة اليهودية من المخنتين العرب[8].

وقد نشأت هذه المعضلات الفقهية من اختلاط اليهود بالعرب في فلسطين وفي الأماكن التي هاجروا إليها من بلاد العرب جراء ضغط الرومان عليهم، وعدم تمكنهم من ممارسة عبادتهم في البلاد الخاضعة للحكم الروماني بسهولة وبحرية

1–Niddah 47a, the Babylonian Taimud, Seder Tohoroth, P 328

2 –The Babylonian Talmud, Seder Kodoshim, II, Hullin.P 214, Hullin, 39 b.

3 –The Babylonian Talmud, Seder Nashim , II,P199, Kethuboth, 36b.

4 –Kethuboth 66 b, II, P 405.

5 –Babylonian, Seder Nashim, II, P,408.

6 –Babylonian, Seder Nashim, II, P 452.

7 –Babylonian, Seder Nashim, II, 472, Kethuboth 75a.

8 –yebomth 71a, Babylonian, I.P 479.

تامة، فهاجر كثير منهم إلى أعالي الحجاز وإلى العراق حيث اختلطوا بالعرب وعاشوا بينهم في مثل الأنبار وفومبدثية وزقونية زكوينة[1] وأماكن أخرى من العراق.

وقد كان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب وكانوا يعيشون معهم في كثير من الأماكن ويتاجرون معهم. وكوّن اليهود جالية عاشوا فيها متمتعين بشبه استقلال ذاتي، يدير رؤساؤهم، ويكونون هم الممثلين لأتباعهم أمام السلطات صاحبة النفوذ الفعلي، كما كانوا يعقدون أحلافاً مع الأعراب على طريقة أهل المدن والحضر في عقد مواثيق مع سادات القبائل لمنع الأعراب من غزوهم ومن التحرش بأملاكهم وتجاراتهم.

وقد تساهل الفرس في الغالب مع اليهود، فمنحوهم استقلالاً ذاتياً واسعاً في إدارة شؤون مستوطناتّهم وفي ممارسة طقوسهم الدينية وفي الاتجار، حتى صارت كل مستوطنة تدير شؤونها بنفسها وتختار حاكمها بنفسها، حتى أن بعضها وضعت على رأسها حاكماً يهودياً لقبته بلقب ملك، أدار شؤون الجالية طبقاً لأحكام يهود، وكان هؤلاء الحكام هم الصلة بين اليهود وبين الفرس، وقد صارت بعض هذه المستوطنات من أهم المراكز العلمية عند اليهود في العالم، وفي ضمن ذلك فلسطين.

وفي هذه المواضع دوّن الثلمود البابلي، دوّنه أحبارهم الذين استقروا في العراق، وهو يعد من أثمن التراث العبراني الذي ظهر عند اليهود، وقد تأثر بالروح العراقية حتى امتاز بها على الثلمود الأورشليمي، أي الثلمود الذي كتب في فلسطين[2].

---

1 –J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonian, S. 234, Hullin, 39 b.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1 ص658.

وقد لاقى اليهود مساعدة حسنة من العرب، وعوملوا معاملة طيبة، ويظهر من مواضع في الثلمود والمشنة، أن العبرانيين فرّوا إلى جزيرة العرب منذ أيام "نجت نصر"[1].

وقد تأثر اليهود النازحون إلى جزيرة العرب بعادات العرب ورسومهم، ويحدثنا أبا أريخا من الأحبار وكبار علماء الثلمود في القرن الثالث الميلادي، أن اليهود كانوا يؤثرون حكم الإسماعيليين، ويقصد بهم العرب، على الرومان، ويؤثرون حكم الرومان على حكم المجوس[2]، ومع ذلك، فقد حدث خصام بين العرب واليهود، فنجد في الثلمود مواضع يظهر فيها حقد اليهود على العرب وكراهيتهم لهم، كالذي يظهر من كلام الحبر يشوعه بن ليفي[3] حين رأى أكواماً من العنب مكدسة، فقال: يا للبلاد يا للبلاد لمن هذه، لأولئك العرب الوثنيين الذين ثاروا علينا لخطيئتنا، وكالذي يظهر من كتاب **قدوشين** قوله: ((أعطي العالم عشرة –قابات– من الوقاحة، خص العرب بتسع منها))[4].

واشتهر ملوك الحيرة عند العرب بـ آل نصر وقرب الحيرة من مدينة نهر دعة واتصال عربها بالجاليات اليهودية يحملنا على التفكير في أن بابا بن نصر هو أمير من أمراء آل نصر هاجم هذه المدينة التي يسكنها اليهود ملوك الحيرة[5].

وورد في الأخبار أيضاً أن مدينة فومبديثة تعرضت للغزو أيضاً، وهي من أمهات مدن الجاليات اليهودية، هاجمها جيس جاءها من عاقولاء ويظهر أنه من قوات آل نصّر ملوك الحيرة[1].

---

1 –The Universal Jewish Encyclopedia ,I.P 439.

2 –Shabth II a.

3 –R. Joshua B. Levi.

4– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص659.

5– المرجع السابق، ج1، ص659.

وقد كانت مدينة فومبديثة، محاطة بالأعراب، ولذلك كانوا يتعاملون معهم، ويأتون إليهم ويذبحون عندهم، وقد جاء في الأحبار أن أحبارها قد أباحوا لأهلها التعامل مع الأعراب في أيام أعيادهم، أي أعياد الأعراب، وذلك لأن أعياد الأعراب لم تكن ثابتة، تحل في وقت معين وفي مواسم مثبتة، لذلك جوّزوا لهم البيع فيها، لأن أحكام التلمود تمنع اليهود من التعامل مع الغرباء في أيام أعيادهم إذا كانت تلك الأعياد أعياداً دينية، وهكذا فقد امتنع اليهود بيع الفرس والرومان في أعيادهم[2].

1 –Obermeyer, S, 223.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص660.

لقد استغلت القبائل العربية الضعف الذي ظهر على الحكومة السلوقية، فأخذت تزحف نحو الشمال وتهدد المدن القريبة من البوادي وتحاول الاستيلاء عليها، وقد استولت فعلاً على بعضها وكونت حكومات يمكن أن نطلق عليها مصطلح مشيخة أو إمارة، وهي حكومات توقفت حياتها على كفاية من كونها وأقام أسسها، وعلى كفاية من خلف المؤسسين لها من أشخاص، ولذلك كان عمرها قصيراً في الغالب، وكان حجمها يتوسع أو يتقلص بسرعة.

ونؤكده مرة ثانية بأن القبائل العربية جاءت إلى بادية الشام منذ زمن لا يعلمه إلا الله، وقد رأينا كيف حارب الآشوريون الأعراب، ولم يكن أولئك الأعراب الذين كانوا قد كونوا إمارات لهم في البادية من أبناء الساعة بالطبع، بل لا بد أن يكونوا قد هبطوا بها قبل حروبهم مع الآشوريين بزمان لا يعرف مقداره إلا الله، ولا بد أن يكون اتصال عرب جزيرة العرب بهذه البادية اتصالاً قديماً، فالبادية والهلال الخصيب امتداداً لأرض جزيرة العرب والهجرة بين هذه المواضع قديمة قدم ظهور هذه المواضع إلى الوجود[1].

لم يكن أمام أعراب جزيرة العرب من مخرج حينما تجف أرضهم ويقضي الجفاف على البساط الأخضر الذي يفرشه الغيث في بعض السنين على سطح الأرض مدة

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص601.

غير طويلة، إلا الهجرة إلى أماكن يجدون فيها الخضرة والماء ليحافظوا بهما على حياتهم وحياة ماشيتهم، وإلا تعرضوا للهلاك.

والخضرة والخصب لا يكونان إلا حيث يكون الجو الطيب والماء الغزير، وهما متوافران في الهلال الخصيب وفي أطراف جزيرة العرب في الجنوب، حيث تسعف أنجرة البحر العربي والمحيط تلك الأرضين فتغذيها بالرطوبة وبالأمطار، لذلك كانت الهجرات إلى مثل هذه الأرضين دائمة ومستمرة[1].

كانت كل قبيلة من هذه القبائل تضرب خيامها في المواضع التي ترى فيها العشب والماء والمغنم في البادية أو عند الحضر، فإذا وجدت للحضر حكومة قوية احترمتهم، وإن وجدت فيهم ضعفاً، هزئت بهم، واستولت على ما عندهم، وأخذت ترعى في أرضهم، ثم هي لا تقبل بكل ذلك، بل كانت تفرض عليهم إتاوة يؤدونها لهم مقابل حمايتهم من اعتداء الأعراب الآخرين عليهم.

وبذلك تمكن سادات القبائل من فرض سلطانهم على بعض المدن كحمص والرّها والحضر، وغيرها من المدن التي حكمتها أسر عربية، في رأي بعض الباحثين[2] وقد وقف الأعراب وقفة تربّص وتأهب من الحكومات القوية المهيمنة على الهلال الخصيب، كانوا يراقبون ويدرسون بذكائهم وبخبرتهم السياسية أوضاعها إذا أحسوا فيها ضعفاً بادروا إلى استغلاله قبل فوات الأوان.

وللأعراب في هذا الجانب حاسة غريبة ذات قدرة كبيرة في إدراك مواطن الضعف عند الحضر وعند الحكومات، فإذا تيقنوا بقوة شم حاستهم من وجود ضعف عند

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص601.

2- رينه ديسو: العرب في سورية قبل الإسلام، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، ص4.

الحضر أو عند حكومة ما ووجدوا أن في إمكانهم استغلاله في صالحهم جاءوا إلى من وجدوا عنده ضعفاً بشروط تتناسب مع ضعف مركزه، وبطلبات يملونها عليه، قد تكون زيادة الإتاوات أي الجعالات السنوية التي تدفع لهم، وقد تكون السماح لهم بالزحف نحو أرض الحضر والتوسع في الأرضين الخصبة ذات الكلأ والماء، أو قد تكون طلباً بالاعتراف بسيادتهم على ما استولوا عليه وعلى أعراب البادية وما إلى ذلك من شروط، قد تزيد فيها أن وجدت من نتفاوض معهم تساهلاً أو لا تتساهل إن وجدت منهم شدة وعجرفة وقوة، مع اللجوء إلى الحيل السياسية وذلك بالاتصال سراً مع الجانب الثاني المعادي للانضمام إليه.

وقد علّمت الطبيعة حكومات العراق وبلاد الشام دروساً في كيفية التعامل والتفاهم مع الأعراب، علمتهم أن القوة ضرورية معهم، وأن الصرامة لازمة تجاههم، لكبح جماحهم والحد من غلواء غزوهم للحدود وللحواضر، وإن التساهل معهم معناه في نظر الأعراب وجود ضعف في تلك الحكومات، وإن معنى ذلك طلب المزيد، ولذلك أقاموا مراكز محصنة على حواشي الصحارى، أقاموا فيها محميات قوية ذات بأس ولها علم بالبادية وبمعاركها ودروبها، ومعها ما تحتاج إليه من الميرة والماء، وبنوا فيها أهراء أي مخازن تخزن فيها الأطعمة لتوزيعها على الأعراب عند الحاجة للسيطرة عليهم بهذا الأسلوب كما خزنوا فيها كميات من المياه صهاريج تحت الأرض، وحفروا بها الآبار للشرب ولتموين الأعراب بها أيضاً عند انحباس المطر وحلول مواسم الجفاف، ووضعوا كل ذلك في حصون محصنة، ليس في استطاعة الأعراب الدنو منها أو اقتحامها لأن عليها أدراجاً وفي أسوارها الحصينة العالية منافذ يرمي منها الرماة سهاماً تخرج منها بسرعة كأنها شياطين، تخيف ابن البادية، فتجعله يتحرج من الدنو من تلك الحصون.

ونجد اليوم في العراق وفي بلاد الشام آثار بعض تلك الحصون التي أقامها حكام العراق وحكام بلاد الشام لصد غارات الأعراب عن أرض الحضر، ولتوجيههم

الوجهة التي يريدونها حصون منعزلة نائبة كأنها جزر صغيرة برزت في محيط الرمال والأتربة، بعيدة عن مواطن الحضارة.

وقد علّمت الطبيعة حكام العراق وحكام بلاد الشام أن القوة وحدها لا تكفي في ضبط الأعراب وتوجيههم الوجهة التي يريدونها، علمتهّم أن جيوشهم النظامية لا تستطيع أبداً أن تتعقب فلول الأعراب التي تتراجع بسرعة لا تبلغها عادة الجيوش النظامية في الوصول إلى البادية حصن الأعراب الحصين، وعلمتهم أيضاً أن جيوشهم متى توغلت في البادية فإن احتمالات اندحارها واندثارها تزيد عندئذ على احتمالات الانتصار.

فالأعرابي هو ابن البادية، وهو أخبر بها من الحضر، وهو يعرف مواضع الإكسير فيها إكسير الحياة وهو الماء، لقد خبر آبارها، وخزن الماء في مواضع احتقرها وجعلها سرية فلا يقف عليها إلى خزانها، لهذا فإن من الحماقة محاربة الأعراب في ديارهم، وإن من الخير مداهنتهم واسترضاؤهم وذلك بالاتفاق مع سادات القبائل الأقوياء أصحاب الشخصيات والمواهب، على دفع حبات مالية سنوية لهم ترضيهم، في مقابل ضبط الحدود وحمايتهم من خطر مهاجمة الأعراب لها وغاراتهم عليها .

وفي مقابل الاشتراك مع أولئك الحكام المتحالفين معهم في حروبهم، إما بتقديم الخدمات الضرورية اللازمة لهم في الحروب، مثل تقديم الجمال لهم لحمل الجنود والأثقال والماء وكل ما يحتاج إليه الجيش في عبوره إلى البوادي.

وتقرن الجعالات السنوية بهدايا وألطاف يقدمها الحكام إلى سادات الأعراب، وبألقاب مشرفة تبهج النفوس الضعيفة لاستوائهم إلى جانبهم، وبدعوات توجه

إليهم في المناسبات لزيارة أولئك الحكام والنزول في ضيافتهم، فتخلع عليهم الخلع التي تستهويهم وتجعلهم إلى جانب أولئك الحكام[1].

ولأجل الوقوف على حركات الأعراب وسكناهم، ولمراقبة أعمال سادات القبائل وضعت الحكومات مندوبين عنها في مضارب أولئك السادات، يتنسمون الأخبار ويبعثون بها إلى الحكام، وقد كانوا في الوقت نفسه بمنزلة المستشارين لهم.

وقد يقرنون ذلك بوضع حاميات قوية معهم للدفاع عن أولئك السادات إن جابههم خطر، أو للضغط عليهم ولردعهم في حالة تفكيرهم بنقض حلفهم مع تلك الحكومات وقد عرف هؤلاء المستشارون أو المندوبون الساميون بـ قيبو في اللغة الآشورية، وكانوا يرسلونهم إلى مضارب سادات القبائل لتوجيههم الوجهة التي يريدونها فالبادية أبوابها مفتوحة، فإذا جاء سيد قبيلة طامعاً في مركز وأرض، ووجد ي عدده وعدته قوةً، نافس من نزل قبله، وطمع في ملكه وتقرب إلى الحكام، وإذا وجد أولئك الحكام في القادم شخصية قوية وأنه أقوى من السابق، فلا يهمهم عندئذ إزاحته عن مكانه، وإحلال الجديد محله.

لقد سيطرت القبائل العربية على شواطئ الفرات وهيمنت عليها في أيام السلوقيين ونجد ساداتها وقد نصبوا أنفسهم عمالاً فيلاركا على تلك الشواطئ منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وبعده.

ونشير إلى أنه جرت العادة أن الملوك المتأخرين يتأثرون بتيارات زمانهم الاجتماعية وبرسومه وعاداته، فيتخذون ألقاباً وأسماء يونانية أو سريانية أو فارسية، تظهرهم

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص603.

وكأنهم من أصل يوناني أو سرياني أو فارسي، على حين هم من أصل عربي، ولهذا كانت لأسماء مؤسس الأسر أهمية كبيرة في إثبات أصل الأسرة[1].

وقد استغل الأعراب أهمية الطرق البرية التي تمر بالبوادي، وهي شرايين التجارة العالمية بالنسبة لذلك الوقت، فتحكموا في مسالكها، واستغلوا أهمية الماء بالنسبة للقوافل والجيوش، فلم يكن في وسع جيش قطع البادية من غير ماء، وأخذوا يعاملون المعسكرين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وهو المعسكر الروماني وفقاً لحاجتهما إلى هذه الطرق والماء ويفرضون على المعسكرين شروطاً تتناسب مع مواقفهما العسكرية ومع الأحوال السائدة بالنسبة لتلك الأيام، وصاروا يجبرون كل معسكر من المعسكرين على تقديم أحسن الترضيات لهم.

ويلاحظ أن بعض الحكومات التي كونها العرب في الهلال الخصيب تكونت في مدن قديمة عامرة، سكانها من غير العرب، ومع ذلك صارت مقراً لأسر حاكمة عربية، باستيلاء تلك الأسر عليها وبإخضاعها لحكمها واتخاذها مقاماً لهم، فصار الحكم عليها في أيدي تلك الأسر، أما المحكومون منهم السكان الاصليون، وغالبهم من غير العرب ولسانهم هو لسان بني إرم في الغالب.

وهناك إمارات تكونت على أطراف الحضارة، وفي مواضع الماء والكلأ في البادية، أو في مواضع غير بعيدة عن حدود الحاضرة من العراق وبلاد الشام وخاصة في العقد التي تتصل بها طرق القوافل وظهورها إلى هذه الأمور المذكورة، ولا سيما موضعها من خطوط سير القوافل وكما كانت القوافل التجارية والطرق البرية رحمة للمستوطنات الصحراوية التي نشأت عند عقد العصب الحساس لهذه الطرق، كذلك صارت تلك الطرق نقمة على تلك المستوطنات، فقد يجد التجار وأصحاب

1 –Die Araber. I. S. 313.

القوافل طرقاً أسهل وأقصر في قطعهم للبادية، أو معاملة أطيب من سيد قبيلة منافس أو حماية عسكرية أقوى، فيتحولون عن تلك الطرق المسلوكة إلى طرق أخرى، إلى تركها إلى مواطن جديدة.

وقد كان لاستخدام الطرق المائية من طرق نهرية وبحرية، آثر كبير في إماتة الطرق البرية أو في منافستها، كذلك كان للطرق البرية ولا سيما الطرق العسكرية الممهدة التي أقامها الرومان في بلاد الشام، أو الفرس في العراق آثر كبير في القضاء على المستوطنات التي نشأت في البوادي، إذ فضّل التجار السير في هذه الطرق المأمونة التي لا يتحكم فيها سادات القبائل في مقدراتهم.

ويظهر من جغرافية سترابو أن أرض الجزيرة ومنطقة الفرات والبادية المتصلة ببلاد الشأم، كانت في حكم سادات قبائل، يحكمون وكأنهم عمال فيلارك وكان بعض هؤلاء يحكمون أرضين صغيرة، وحكمهم حكم مشايخ القبائل في عرف هذا اليوم: يشتغل أتباعهم بالرعي، وبعضهم يشتغلون بالزراعة، وآخرون بالتجارة، وكان قسم منهم أعراباً ينتقلون في البادية ومنهم أشباه أعراب، ولا سيما أولئك القاطنين على ساحل العقبة، أي خليج أيلة وقد استغل هؤلاء والأعراب طبيعة أرضهم، فكانوا يجبون العشر من التجار، أو يشتغلون هم أنفسهم بالإتجار أو يقومون بنقل التجارة لحساب غيرهم من التجار[1].

وقد كان الأعراب هم الوحيدين الذين في استطاعتهم حماية الطرق البرية الممتدة بين العالم المتحضر القديم: العراق وبلاد الشام، فهم وحدهم سادة البوادي، وفي أيديهم إكسير الحياة الماء.

لهم آبار أو عيون، وصهاريج سرية يخزنون فيها الماء، ولهم مخازن احتياطية مملوءة بهذه المادة الثمينة الضرورية للحياة، وهي قرب كبيرة يصنعونها من الجلد، تمونهم بالماء، وتمون القوافل المارة بهم بما يحتاجون إليه وبما يكفيهم للتنقل من

1 –Die Araber, I. S 270.

منزل إلى منزل آخر، وقد أطلق اليونان على أكثر هؤلاء اسم Scentitae، بمعنى الساكنين في الخيام، لأن السكينة Skynai معناه الخيمة والبيت، وهي تقابل لفظة سكوت Sukkot في العبرانية، التي تعني الخيمة والبيت أيضاً[1] وهم أعراب يقطنون البادية وطريق العراق والشام، تمتد منازلهم في بلاد الشام حتى تبلغ الخط الممتدين Thapascus Europus في الشمال على رأي "بلينيوس" [2].

وتمتد في الغرب حتى تبلغ حدود Apamea، على رأي "سترابون"، أما حدود مجالات هؤلاء الأعراب من الشرق، فتمتد من أعالي الفرات حتى تبلغ ملتقاه بدجلة في الجنوب على رأي "سترابون" كذلك[3].

وأن فريقاً من سادات القبائل كانوا يشايعون الرومان، وفريقاً كان يشايع الفرس، وأن الذين كانوا يسكنون على مقربة من النهر كانوا أقل ميلاً وتوداً إلى الرومان من الذين كانوا يقيمون على مقربة من العربية السعيدة[4].

وبلغت منازل السكينية سكان الخيام حدود مملكة حدياب والجبال في العراق على رأي "سترابو" [5].

ولا نجد في كتاب "سترابو" شيئاً يتعلق بأصل السكينيته، سكان الخيام، وبالزمن الذي ظهرت فيه هذه التسمية، وقد ذكر أن من مواطنهم مدينة اسمها Skenai، وهي معروفة عندهم، تقوم على قناة على حدود أرض بابل، وعلى بعد ثمانية عشر شوينوى Schoinoi من مدينة سلوقية، كما ذكر أنهم يسمون الآن باسم آخر، هو: ملوى Malioi–مالي Malli.

---

1 –Die Araber I.S. 272. W. Gesenius, Hebrew, und Arab.

2 –pliny. VI.21.

3 –Strabo. XVI. 2.

4 –Stobo XVI. 28.

5 –Strabo XVI, I, 26.

قد ذهب الباحثون مذاهب عدة في تعيين موضع مدينة Skenai، إن جاز التعبير عنها بلفظة مدينة، فذهب بعضهم إلى أنها عكبوا، وذهب آخر إلى أنها الحيرة فالحيرة بمعنى المخيم والمعسكر، وهو معنى قريب من معنى لفظة Skenai. وذهب آخرون إلى أنها مسكين أو مسجين.

ومن الإمارات التي يرجع كثير من الباحثين أصول حكامها إلى أصول عربية: الحضر Hatra، وإمارة حمص Emesa وإمارة الرّها Edessa، والرصافة، وتدمر وإمارات أخرى، وهي إمارات لا يمكن أن نقول أن ثقافتها كانت ثقافة عربية، وإن غالب سكانها كانوا من العرب، ولكننا نستطيع أن نقول إن العرب كانوا يتحكمون فيها، وإن هنالك أدلة تزداد يوماً بعد يوم، تزيد في الاعتقاد بأن العنصر العربي كان قوياً فيها، وإن سكانها كانوا عرباً، ولكنهم تأثروا بالمحيط الذي عاشوا فيه، فتثقفوا على عادة تلك الأيام بثقافة بني إرم يكتبون ويعبّرون عن إحساسهم وشعورهم وعلمهم به[1].

الحضر: وهي اليوم آثار شاخصة في البرية بوادي الثرثار جنوب غربي الموصل، على بعد/140/كيلو متراً منها، ولعلماء الآثار آراء في أصل التسمية، فمنهم من ذهب إلى أنها من أصل إرمي، ومنهم من ذهب إلى أنها من أصل عبراني إرمي، ومنهم من رجح أنها من أصل عربي، بمعنى الحيرة أي العسكر، وقد عرفت بـ اترا Atra في اليونانية وبـ هترا Hatra في اللاتينية[2].

ويرى "هرتسلفد E.Herzfeld" إن القبائل العربية هي التي أسست هذه المدينة، أسستها في القرن الأول قبل الميلاد حصناً منيعاً أقام ساداتها فيه مستفيدين من الخلاف الذي كان بين الفرث واليونان، حيث استغلوه بذكاء وحنكة، فحصلوا على أموال من الجانبين، لما لموضعهم من الشأن العسكري والسياسي والاقتصادي،

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج2 ص609.

2 –Die Araber, I. s. 225.

وكانوا كلما ازداد مالهم وبزرت أهيمتهم، ازدادت المدينة توسعاً وبهاءً وعمراناً، حتى صارت مدينة كبيرة ذات شأن، سكنتها جاليات أجنبية أيضاً، أنجزت، وتولت الوساطة في البيع والشراء، ونقل تجارة آسية إلى تجارة أوروبا، وتجارة أوروبا وحاصلاتها إلى تجار آسية[1].

وقد قوّت الكتابات الإرمية التي عثر عليها في الحضر سنة/1951م/رأى "هرتسفلد"، القبائل بأن الذين أسسوا هذه المدينة هم قبائل عربية، وذلك لورود أسماء عربية فيها مع أسماء إيرانية وإرمية، حيث وجد أن نسبة الأسماء العربية تزيد على نسبة الأسماء العربية في كتابات مدينة تدمر[2] بني إرم ولكن ذلك لا يعني في الزمن الحاضر أن غالب السكان كانوا عرباً.

وقد نعت رئيس معبد الحضر الكبير بـ «سادن العرب، على غرار تلقيب ملوك الحضر أنفسهم بـ ملوك العرب[3] واسم هذا السادن، هو افرهط، وقد قال عن نفسه: ((رب ذي تادي عرب أي أفرهط سادن العرب))، وذكر مترجم النص أن المألوف في كتابات الحضر أنها لا تنسب الكاهن إلى عبدة الإله أي المتعبدين، ولكن تنسبهم إلى الآلهة، بأن يكتب سادن الإله...، لا سادن عبدة الإله...، كما هو في هذا النص، ويرى مترجمة أن أفرهط قد خالف المألوف، وخالف عادة القوم، تقليداً لما فعله الملك "سنطروق" ملك الحضر من تلقيب نفسه بـ ملك العرب.

1– E. Herzfeld, Hatra, In Zdmg., 68, 1914, 663, U. Kahrstedt, Artabanss, Iii, 67 Die Araber. I, S, 275 th, Naldeke. Geschichte der Perser und Araber, 1879, 33 F. Altheim, Die Krise der alten Welt, I, 1943, 132, 206.

2 –Die Araber, I. s. 276.

3– مجلة سومر، المجلد الحادي والعشرين، 1965، كتابات الحضر، لفؤاد سفر، ص22.

وقد عثرت مديرية الآثار العامة في العراق على نص وسمته بـ« 79 من النصوص التي عثر عليها في الحضر»، جاء فيه اسم المدينة الحضر، لأول مرة، فلم يسبق ورود هذا الاسم في نصوص سابقة، وقد ورد على هذا الشكل: حطرا، على نحو ما ينطق به في لغة بني إرم[1] كما وردت فيه جملة: «وبالخطوط العائدة إلى العرب[2]» وهي جملة ذات دلالة مهمة بالطبع، لأنها تشير إلى العرب ووجودهم في هذه المنطقة، كما ذكر فيه عربايا[3]، ولاسم اقليم عربايا شأن كبير، لأنه نسبة إلى العرب، وفيه تقع مدينة الحضر.

أما أسماء ملوك الحضر، فهي أسماء غير عربية النّجار، يظهر على بعضها أنها إيرانية وعلى بعض آخر أنها إرمية لا يمكن أن تكون أدلة يستدل بها على أصل الناس إذا كانت العادة تقليد الأجانب في اختيار أسمائهم، ولا سيما عند الحكام والملوك، فقد كانوا يختارون لهم في كثير من الأحيان أسماءً أو ألقاباً من الدول القوية التي تتحكم في شؤونهم والتي لها سلطان عليهم، فقد لقب جماعة من ملوك اليطوريين أنفسهم بـ بطليموس ولقب نفر منهم أنفسهم بـ ليسيناس وبـ فيليبون، وهي من التسميات اليونانية، مع أن اليطوريين ليسوا يونانيين[4].

كذلك نجد اللحيانيين يقلدون اليونان، فيلقبون أنفسهم بـ بطليموس، مع أنهم عرب، وهكذا قل عن أهل الرها وتدمر وأمثالهم فإنهم هم وملوكهم قد قلدوا اليونان في أسمائهم وفي اتخاذ ألقاب يونانية لهم، وهم مع ذلك ليسوا من اليونان

1- مجلة سومر، العدد المذكور النص رقم 223، ص38.

2- العدد المذكور، سطر 10، من النص.

3- العدد المذكور، سطر 14.

4 –Die Araber, I. S.278.

وينطبق هذا الرأي على ملوك الحضر أيضاً، فإن "سنطروق" وهي تسمية إيرانية فرثية، لا يمكن أن تقوم دليلاً على أن أصله من الفرث[1].

ويلاحظ أن كثيراً من كتابات الحضر، لا يكتفي فيها بذكر اسم الشخص واسم أبيه، وإنما يذكر فيها اسم جده أيضاً، واسم والد جده أحياناً، وقد عثر على كتابة ورد فيها اسم ستة أجداد، ونجد هذه الطريقة في الكتابات الصفوية كذلك، وقد استدل اينوليتمان E. littmann من طريقة تدوين الصفويين لأنسابهم على هذه الصورة على أنهم عرب، ولأن العرب يعتنون بالنسب.

ويرى الذين عنوا بدراسة تاريخها أنها تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد وربما امتد تاريخها إلى ما قبل ذلك، وأما ازدهارها، فقد كان في أيام الفرث، وهم الاشكانيون وملوك الطوائف في الكتب العربية.

وقد عاركت الرومان والساسانين، وتعرضت للخراب والدمار في أيام سابور المعروف بـ سابور الجنود في الكتب العربية، وذلك سنة/241/للميلاد، ولم تتمكن بعد هذا الحادث من استعادة نشاطها وقوتها، فذكر إن جيشاً رومانياً مرّ بها سنة/363/للميلاد، فوجدها خراباً[2].

من ملوك الحضر، الملك "سنطروق"، وقد ورد أسمه في طائفة من الكتابات، ويظهر أنه كان مؤسس سلالة ملكية من السلالات التي حكمت هذه المدينة وقد عرف أبوه باسم نصرو مرى نصر[3]، ولعله كان أول من ملك الحضر. ويظهر أن أباه لم يكن ملكاً، ولكن كان كاهناً.

---

1 –Die Araber, I.s. 280.

2– مجلة سومر، المجلد الثامن، الجزء الأول 1952، ص39 وما بعدها.

3– مجلة سومر، 1961م المجلد السابع عشر، الجزء الأول والثاني ص22 وما بعدها.

قد أمكن الحصول في هذا اليوم على أسماء من حكام الحضر. منهم: رودس- ورود وكان يلقب بلقب مريا أي السيد والرئيس ونصرو- نصر، وقد لقب بلقب مريا كذلك. وهو ابن نشرى هبه[1]، ووالد الملك "سنطروق" الموسوم بـ «الأول، ثم ولجش، وقد لقب بـ «مريا أي الرئيس في أحد النصوص وبلقب ملكاً ذي عرب أي ملك العرب[2]، في نص آخر، مما يدل على أنه «عاف لقب مريا، أي السيد أو الرئيس، الذي لقب به في أول عهده بالحكم، وهو لقب أسلافه، واستبدله بلقب ملك، وهو أضخم من لقب مريا.

وقد عثر على تمثال كتبت على قاعدته جملة: تمثال ولحبش ملك العرب3 ثم الملك سنطرق-سنطروق الأول، وهو ابن نصرو-نصر نصر ومريا، وقد لقب بـ ملكا ذي عرب[4]، وقد كان حكمه في النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد/77 - 78م/[5].

ثم الملك "عبد سميا"، الملقب بلقب ملكاً ذي عرب وهو والد الملك "سنطروق الثاني" [6] والملك "سنطروق" الثاني، وهو ابن الملك "عبد سميا" هو والد

1- النص رقم 194.

Die Araber, IV. S. 266.

2- النصوص: 140، 193.

Die Araber IV, S.266.

3-NR. 193, Die Araber, IV, S. 260.

4- النص 194 و 196 و 197 و 199.

5 -Die Araber, IV. S. 266.

6- النص 165.

ملك آخر اسمه "عبد سميا" كذلك[1]. وملك آخر أسمه معنا معنى أي معن في عربيتنا[2].

ولعل "تراجان"/98 -117م/الإمبراطور الروماني ذو المطامع الواسعة في الشرق الأنى، كان قد فكر في الاستيلاء على الحضر في عهد سنطرق-سنطروق أو أيام "عبد سميا"، إذ عثر على منار في طريق سنجار دون عليه اسمه، يشير إلى وصوله إلى هذه المواضع من العراق، ولكن الرومان لم يتمكنوا من الاستيلاء على الحضر، وبعد أن حاصروها مدة، تراجعوا عنها، وعادوا إلى أنطاكية[3].

وقد ورد في النص 139 اسم "نشرى هب"، وهو ابن "نوهرا" هو ابن سنطرق-سنطروق، الملقب بلقب ملكا أي الملك[4].

ويظن أن حكم وائل ملكا، أي الملك اثل-اثال أواثال الملك تعبير أصح، والذي ورد اسمه في النصوص، دون أن يذكر اسم والده، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد، أو في النصف الثاني منه، وهو ملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين[5].

1- النص 28 و 36 و 195.

Die Araber, IV. S. 267.

2 –Die Araber, II. S. 249. 267.

3 –Dillemann, Haute MesoP 129.

4- مجلة سومر، 1961.

Die Araber, IV. 259, A. Coquot 258.

5 –Die Araber, IV.S. 267.

وأما "برسميا"، فقد كان من معاصري سبتيميوس سفيروس الذي كان حكمه في حوالي السنة/193/إلى السنة/211/بعد الميلاد، وكان من خصومه المزعجين فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن أسوار مدينته حتى أكرهه على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها، بسبب العطش الذي أثّر في جيشه، بسبب المقاومة العنيفة التي أظهرها الفرسان العرب، وإلقاء أهل الحضر، قنابل النفط على جيوش الرومان[1] ولما ظهرت الدولة الساسانية كانت الحضر على صلات طيبة بالرومان، وكانت تلعب دوراً خطيراً في عالم التجارة لموقعها المهم بالنسبة لطرق القوافل لذلك الوقت، فتحرش بها الساسانيون وغزوها، ثم دمروها في الأخير، وكان سبب ذلك هو أن "أزدشير" الأول، مؤسس الدولة الساسانية ومهدم كيان الدولة الأشكانية، دولة الفرث، لما انتصر على دولة الفرث، حارث الدويلات الصغيرة، وفي جملتها حكومة الحضر، في أمرها، وظنت أن النصر سيكون للفرث، فوقفت موقف الجذر من الساسانيين، ورأى ملك الحضر الضيزن أن من الأصلح له أن ينضم إلى الرومان الذين كانوا قد توجهوا نحو الشرق، واستولوا على ميديا وإن يهاجم الفرس، فهاجمهم وتغلب عليهم في معركة شهر زور، وأسر بنتاً من بنات ملك الفرس[2] وكان ذلك في حوالي السنة 232 للميلاد تقريباً، فسار "سابور" الأول، وهو سابور الجنود، إلى الحضر يريد الانتقام من الضيزن، فتحصن الضيزن، وأناخ سابور على حصنه أربع سنين، من غير أن يتمكن من فتحها، ثم أن أبنة للضيزن أسمها "النضيرة" رأت "سابور" فوقعت في حبه، فراسلته وأرشدته إلى طريقة يتمكن بها من أحداث ثغرة في سور المدينة ففتحها، واستولى عليها وقتل أباها، وأباد أهل المدينة، وأخذ "سابور" النضيرة فأعرس بها بعين التمر، ثم تذكر خيانتها فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً، تم عصب غدائرها بذنبه، ثم استركضها

1– Die Cassius L XXVI. 2.3. LXXVI. 9. 4. 12. Herodian, III, 9, 12, FR. Stark Rome on the Euphrates. P 255.

2– مجلة سومر، المجلد الثامن 1952م، الجزء الأول، ص43.

فقطعها قطعاً[1] ومن القبائل التي ورد اسمها في كتابات الحضر، قبيلة عرفت بـ«بني تيمو[2] -بني تيم، وهي قبيلة قد تكون لها صلة بقبيلة ورد اسمها في كتابات عثر عليها في وادي حوران بالعراق، وفي كتابات عثر عليها في تدمر، ويظهر، ويظهر أنها كانت من القبائل المعروفة في الجزيرة وفي بادية الشام في القرن الأول قبل الميلاد فما بعده، ويدل اسمها على أنها من القبائل العربية المتنقلة التي انتشرت بطونها في منطقة واسعةفي ذلك العهد[3].

والأرجح إن ما أورده "ابن الكلبي" عن الحضر قد أخذه من موارد فارسية أو أرمية، أوعن أهل الحيرة، وقد كانت لرجال الدين فيها من النصارى علم بالتواريخ، أخذوا علمهم هذا من موارد متعددة، مملكة الرها : Edssa، وتعرف بـ «أورفة فإن معارفنا عنها من ناحية صلتها بالعرب لا تزال ضئيلة، وهي من مدن الجزيرة العليا، وقد أزهرت قبل الميلاد، وظهرت مثل جملة مدن في هذه المنطقة، منها : بتنى، ونصيبين، وسنكارا-سنجار[4].

وقد أدخل بلينيوس الرها Edessa في جملة مدن العربية[5]، وهي من ديار مضر المعروفة باسم Osrhoene قديماً[6].

1- الطبري: تاريخ الطبري، 49/2 وما بعدها، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين **النويري**: نهاية الأرب في فنون الأدب، 381/1 وما بعدها.

Die Araber, III, S. 108.

2- مجلة سومر 1965، المجلد الحادي والعشرون، الجزء الأول والثاني ص33، النص 214.

3- المصدر نفسه، القسم الإنكليزي، ص10.

4- مجلة سومر، 1952م، المجلد الثامن، الجزء الأول، ص38.

5 -Pling, V, XXI, 86, Vol II. P 287.

6- مجلة المشرق: السنة الخامسة عشرة: الجزء/3/آذار/1952/، ص201 وما بعدها.

Encyclopedia,, III,P 993, Hill, P XGIV, Lane, P 263.

وهـي Orroel في تـاريخ بلينيـوس[1]، مـن جملـة الأرضـين الداخلـة في العربيـة[2] ومن المدن التي جدد بناءها "سلوقيوس الأول" وعرفت أيضاً باسـم انطوخيـة نسـبة إلى "انطبوخس" الرابع[3].

وقـد تكوّنـت في القـرن الثـاني قبـل المـيلاد مملكـة في هـذه المقاطعـة، مقاطعـة Osrhoene مملكة غدّ الكتبة اليونـان والرومـان ملوكهـا مـن العـرب، وعدّوا سـكانها عرباً كذلك، ويعزو "روستو فتزيف" سبب تكوّنها إلى حالة الفوضى التي ظهـرت في ما بين النهرين على أثر انحلال دولة السـلوقيين واحـتلال الفـرث الاشـكانيين لهـا[4]، وذكـر "بروكوبيـوس" إن هـذه المقاطعـة وإنمـا دعيـت Osroes نسـبة إلى ملـك أسـمـه Osroes كان يحكم هذه الأرض في الأيام الغابرة، وكان حليفاً للفرس[5].

وقد وجدت أسماء ملوك الرها مرتبة ترتيباً زمنياً بحسب حكم الملوك في حوليـة الرهـا، Edessene Chronicle المدونـة حـوالي سـنة/540/بعد المـيلاد، في حوليـة أخرى هي حولية زقنين على مقربة من آمد المدونة حوالي سنة/775/بعد الميلاد، كما وجدت أسمـاء بعضـهم علـى نقـود ضـربت في أيـامهم[6] ويظهـر مـن دراسـة هـذه الأسـمـاء أن بينـهـا أسـمـاء عربيـة نبطيـة، مثـل: معنـو وهـو معـن، وبكـرو وهـو بكـر،

1 –Pliny, V, XX,85, VI, 25, 129,VI, IX, 25, VolII. P 285, 355. 437.

2 –Pliny, V, XX,85. Vol II,P 284. 285.

3 –Pliny, V, XX, 86, Encyclopedia,, III, P 993, Hill, P XGIV.

4 –Rostovtzeff the social, II, P 842, Poidebored, Texte, P X. 72, 94, 129, 138, 148, 198.

5 –Procopius, I, XVII, 24.

6 –Encyclopedia,, III, P 994, Hill, P XGV. XGVI.

وعبدو وهو عبد، وسهرو –سحرو أي سهر أو سحر، وأبجر، ومزعور أو مذعور، ووائل[1].

وقد استدل بعض الباحثين من تسمي ملوك الرها بأسماء عربية، ولا سيما الملوك الأولين منهم، ومن نص بلينيوس إلى أن كورة Osrhoene، وهي كورة عربية، ومن الوضع السياسي العام في الجزيرة Mesopotamia في القرن الثاني وما بعده قبل الميلاد، إذ كانت القبائل العربية قد توغلت في هذه المنطقة، استدل من كل ذلك على أن أهل الرها وحكامها كانوا من أصل عربي[2].

وذكر "ياقوت" نقلاً عن "يحيى بن جرير النصراني" إن اسم الرها هو أذاسا في الرومية، وقد بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك "سلوقس"[3].

وقد أخذ "يحيى ابن جرير" قوله هذا من كتب سريانية أو يونانية ولا شك، وقد انتزعها المسلمون في سنة/639/م من أيدي الروم[4].

ومن آلة الرها، الإلهان: Monimos, Azizos، ويرى "موردتمن Mordtmann" أن أسمي هذين الإلهين ليسا إرميين، ولكنهما عربيان أصليان، وأن أحدهما وهو Azizus هو عزيز، والآخر – وهو Monimos– وهو عربي كذلك، وهم منعم. ودليله على ذلك ورود اسميهما في الكتابات اليونانية التي عثر عليها في الكورة العربية Provincia

1 –Encyclopedia,. III. P 994.

2 –Die Araber, I. S. 312.

3– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، 4/340.

4 –Encyclopedia,. III. P 996.

Arabia وهما في رأيه من آلهة عرب هذه المنطقة، وإن أضافهما بعض الكتاب إلى السريان الوثنيين، والإله بعل ونبو[1].

وللرها شأن خطير في الأدب السرياني والأدب النصراني وتاريخ النسطورية وقد أزهرت هذه المدينة خاصة في أواسط القرن الرابع وفي القرن الخامس للميلاد[2] وتنسب إلى ملكها أبجر Abger رسالة قيل إنه بعثها إلى المسيح ومراسلات مع الحواريين الأولين[3].

ويراد بـ كاليرهر Callirhor الموضع الذي يعرف اليوم باسم بركة ابراهيم[4] نبع خليل الرحمان[5].

وذكر بلينيوس أن سكان الجزيرةMesopotamia عرباً، مقرهم Singara أي سنجار وهو موضع قديم كان معروفاً في أيام الآشوريين. ويظن أن تراجان نزل به في أثناء سيره على الحضر قطيسفون[6].

مملكة حمص، فيشبه تاريخها من أوجه عديدة تاريخ مدينة تدمر. فقد حكمتها أسرة عربية، وأزهر تاريخها في الزمن الذي أزهرت فيه حكومات المدن الأخرى التي ظهرت على أثر الضعف الذي حل بالسلوقيين، وتقع في السهل الذي يرويه نهر العاصي Orontes وعلى مسافة ميل مئة.

---

1 –Mordtmann mythologische Miscelien, in ZDMG. 32, 1878. S. 564, Hill P XGV.

2– مجلة المشرق، اسنة الخامسة عشرة، 1912م، الجزء 3 204.

3 –Eusebius, the Ecclesiostical History, I, XIII Kirsopp Loke Loele Ciossical Librory Vol I, PP 85.

4 –Hill, P XGV, Buckingham, Traveis in in Mesopotamia, 1827, I, III, E. Sachau, Reise in Syrien und Mesopotamien, 1883. S. p196.

5– مجلة المشرق، السنة الخامسة عشرة، 1912م، الجزء 3 ص201.

6 –Phing, V, XXI, 86, Vol II, P 286, Sore und Ernst Herzfeld. Archeo. Reise I. S. 203 Encyclopedia,. IV. 435, Lane P 263..

وعرفت بـ Emesa أيضاً عند اليونان والرومان[1] وفي أيام بومبيوس كانت مدينة Arethusa المجاورة لحمص، وهي الرستن، مقر أسرة عربية حاكمة[2].

وفيها ولد القيصر Elogobolus[3]، وبلغت أوج ازدهارها في أيام "سبتيموس سفيروس" وفي أيام Elagobalus واسكندر سفيروس، وكانت أسقفية في عهد البيزنطيين.

وقد استدل بعض الباحثين من صور أسماء ملوك حمص على أصلهم العربي. فالأسماء Soemus, Azizus, Jomblichus, Sompsigeromus هي أسماء تحمل طابعاً عربياً خالصاً، وهي أسماء ترد في نصوص صفوية، وفي نصوص عربية أخرى أيضاً، مما يحملنا على الذهاب إلى أن ملوك حمص هم عرب كذلك[4]. فالاسم الأول وهو Sampsigeromus يمكن أن يقرأ شمس جرم، والاسم Jamblichus يمكن أن يكون يملك أو جميل أو ما شابه ذلك والاسم Azizo هو عزيزو، أي عزيز، وأما الاسم Soemus فيمكن أن يكون سخيم أو سهيم.

وقد كان حكام حمص المذكورين كهنة يخدمون هيكل الشمس، شأنهم في ذلك شأن سادات القبائل العربية الذين كانوا كهنة يخدمون آلهة القبيلة ويتحدثون باسمها بين اتباعها[5].

---

1 –Encyclopedia,, II, P 309, Berytus. VIII, fasc, I, 1943, P 54-55, Pauly Emesa.

2– الرستن، بلدة قديمة كانت على نهر الميماس، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر من حماه، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 249/4.

3 –Encyclopedia,. II. mP 309.

4– العرب في سوريا قبل الإسلام، تأليف رينه ديسو، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ص11.

R. Dussaud. 10, Die Araber, III. S. 126.

5 –Die Araber, III. S.126.

وقد ذكر "اصطيفانوس البيزنطي" أن شيخاً عربياً اسمه مانيكو Maniko كوّن مشيخة في Cholcis أي قنسرين من بلاد الشام[1].

وكانت القبائل العربية قد استقرت في هذه المنطقة قبل أيام اصطيفانوس بمدة طويلة. وفي الحيار، وهي من أعمال قنسرين، اصطدم الغساسنة بالمناذرة في سنة/554/بعد الميلاد، فانتصر الغساسنة على خصومهم انتصاراً كبيراً.

ولما استولى الفرس على قنسرين وانتزعوها من البيزنطيين، كان للقبائل العربية سلطان واسع في مناطق قنسرين وحلب ومنبج وبالسن[2].

اليطوريون

ويعد اليطوريون Itaroeon من القبائل العربية البدوية، وهي في التوراة من نسل "إسماعيل" [3]، وهم من نسل "يطور" ابن إسماعيل، وتقع أرضهم بين اللجاة Trachonitoe والجليل، وتسمى جدورا، وتقع في جنوب غربي دمشق وهي من المناطق التي امتزج فيها العرب ببني إرم[4].

وقد توسع اليطوريون فدخلوا لبنان، وسكنوا البقاع Massyas، واستولوا على بعلبك Heliopolis، وتوسعوا نحو الغرب حتى هددوا جبيل Byblos وبيروت Berytos، وذلك في أيام ملكهم المعروف بـ بطليموس Ptolmios ابن Mennoios وقد

---

1 –Rostovtzeff, Vol II, P 482, Poidebard, Texte. P 42, 207.

2 –Encyclopedia,, II, P 2021.

3– التكوين، الإصحاح الخامس والعشرون، الآية/15/، أخبار الأيام، الإصحاح الأول، الآية/31/، الإصحاح الخامس، الآية/19/،قاموس الكتاب المقدس 513/2.

4– قاموس الكتاب المقدس 513/2، 2378 -2377.

Paulys, 18 ter Halband,

استدل بعض العلماء[1] من حشر التوراة اليطوريين في الإسماعيليين ومن اسم Memmoios وهو اسم والد الملك "بطليموس" الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد[2]، ومن عثورهم على أسماء يطورية في كتابات لاتينية ويونانية تشير إلى أنها أسماء عربية الأصل، استدلوا من هذا كله على أنهم من العرب، وأن كانوا قد تأثروا بثقافة بين إرم، فقد تأثر بهذه الثقافة أكثر العرب الشماليين[3] ويعلق بعض العلماء أهمية كبيرة على اسماء الأشخاص في إثبات أصولهم، ووجهة نظرهم هذه في الأسماء، هي التي جعلتهم يذهبون إلى أن من ذكرناهم هم عرب في الأصل، فإن الطابع الظاهر على أسمائهم هو طابع عربي. وترد تلك الأسماء في الكتابات الصفوية، وأصحابها هم عرب من غير شك، وأن دونوا بقلم نبطي وبلغة نبطية، فالنبط أنفسهم هم عرب.

إن تدوين أهل الشرق الأدنى لأفكارهم ولما يحول في خاطرهم بلغة بني إرم وقلمهم، جعل من العسير على الباحثين الحكم في أصول الشعوب التي دونّت بتلك اللغة والتي عاشت في الهلال الخصيب.

ويدفع هذا التدوين إلى وجوب اتخاذ موقف حذر ومتأن في إبداء آراء قطعية في أصول من ذكرنا، فنظرية الحكم على أصول الناس استناداً إلى أسمائهم وإن بدت أنها نظرية معقولة مقبولة، لكنها مع ذلك غير علمية، فأكثر أسماء المسلمين في هذا اليوم هي أسماء عربية خالصة، فهل يجوز لنا أن تستنبط من هذه الأسماء بأن حملتها هم من أصل عربي؟، ثم إن علينا أنت نتذكر أن أسماء القبائل

---

1 –Die Araber, I. S.314.

2– كان يهدد مدينة دمشق سنة 84–83 قبل الميلاد .

Die Araber, I.S. 314.

3– رينه ديسو: العرب في سورية قبل الإسلام، ص11 وما بعدها .

والأشخاص عند الشعوب السامية هي متقاربة ومتشابهة، وهي واحدة في كثير من الأحايين، بل إن علينا أن نتذكر إن ثقافة تلك الشعوب وآراءها متقاربة، ويعني هذان إن من الواجب علينا لا نتسرع فنحكم بأن ذلك مأخوذ من هذا الشعب أو من تلك الشعوب، وإن ذلك الشعب أو هذا هو الأصل، فمسألة تشابه الأسماء وتقاربها في النطق، لا يمكن أن تكون ميزاناً توزن به أصول الناس.

ساسانيون وبيزنطيون

اتضح لنا أن البادية: بادية الشام- التي تملأ الهلال الخصيب- كانت مملوءة بقبائل عربية تعرف عند الروم باسم Saracens و Scenites، وتعني الكلمة الأخيرة سكان الخيام، أو أهل الخيام، في تنقل مستمر وحركة دائمة من مكان إلى مكان[1]. إذا وجدوا أرضاً خصبة عاشوا عليها، وإلا كسبوا معيشتهم بالغزو، فإذا جابهتهم قوة تقهقر إلى البادية حيث يعسر على غير الأعراب ولوجها لتأديبهم. ولهذا لم يكن أمام الحكومات الكبيرة إلا استرضاء تلك القبائل[2].

وسلك البيزنطيون سياسة حكام رومة في تقوية حدود بلاد الشام وضمان سلامتها من غارات الأعراب أو الفرس عليها، ببناء سلسلة من الاستحكامات في البوادي وفي مفارق الطرق المؤدية إلى تلك البلاد، وبتقوية خطة ديو قليطيان الدفاعية الشهيرة التي وضعها، بالدفاع عن الحدود من مصر إلى نهاية الفرات وفي جملتها تحصين مدينة تدمر قلب الدفاع، والمواقع العسكرية الأخرى المقامة في البادية، لتكون الموانع الأولى للأعراب من مهاجمة بلاد الشام، والرادع الذي

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2 ص627.

2 -Bury I, P 95.

يردعهم عن التفكير في الغزو[1]، نشر النصرانية لتقوية نفوذهم، وسند لسياستهم في نزاعهم مع الساسانيين.

ولهذا نراهم يشجعون إرسال البعثات التبشيرية والإرساليات الدينية إلى إفريقية وإلى بلاد العرب وإلى الهند، وينفقون بسخاء لبناء الكنائس في تلك الأرضين ويرسلون الخشب النفيس اللازم للبناء، والفسيفساء التي امتازوا بصنعها، والعمال الروم المهرة في البناء، ليبنوا كنائس فخمة جميلة تبهر العيون وتقر الأفئدة، وتؤثر في العقول، فتجلب إليها الناس وتستهويهم، وهناك يتلقاهم المبشرون الذين وفدوا للتبشير، بتلقينهم النصرانية والإخلاص لإخوانهم في الدين وفي طليعتهم الروم بالطبع وفي ذلك كسب سياسي عظيم.

وبذلك صارت الكنائس دوراً لعبادة الله، ودوراً للتبشير السياسي والثقافي ومركزاً من مراكز الاستعلامات والتبادل الثقافي في مصطلح هذا الزمن[2].

وتمكنت النصرانية من كسب بعض العرب، فجرتهم إليها، جذبت إليها القبائل الساكنة على حدود الأرياف والأطراف، أي سكان المناطق الحساسة الدقيقة بالنسبة إلى الخطط السياسية والعسكرية للساسانيين وللبيزنطيين على حد سواء، وقد كان من سوء المصادفات أن النصرانية كانت قد تجزأت إلى شيع، وإن غالبية النصارى العرب ثم ذهبت بمذهب يخالف مذهب الروم، ولكنها كانت تشعر على كل حال بأنها مع الروم على دين واحد. ولهذا لم يحفل ساسة القسطنطينية كثيراً بموضوع اختلاف المذهب، وإن تألموا من وجوده وظهوره، فساعدوا نصارى اليمن ونصارى الأماكن الأخرى من جزيرة العرب على اختلافهم عنهم، وعملوا في

1 –John Maioios XII,P 308, Bury,I. P 96, Arabien. S23.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص628.

الوقت نفسه على نشر مذهبهم بين العرب، ليتمكنوا بذلك من إيجاد محيط ثقافي سياسي يؤيد البيزنطيين.

وعني الساسانيون بتقوية حدودهم مع البادية كما فعل البيزنطيون، وكما فعل الفرث وغيرهم ممن حكم قبلهم، وسعوا في استرضاء سادات القبائل وأصحاب السلطان من حكام البوادي، وبنوا المسالح، أي موضع الأسلحة في المشارف المؤدية إلى أرياف العراق لحمايتها من الغزو، ولتقوم بتأديب الأعراب ومراقبة حركاتهم وتجمعاتهم، لتكون الحكومة على علم بما يريدون فعله، ووضعوا في الخليج سفناً لحماية سفنهم من التحرش بها ولحماية حدودهم الجنوبية الواقعة على الخليج سفناً لحماية سفنهم من التحرش بها، ولحماية حدودهم الجنوبية الواقعة على الخليج من التعرض للغزو أقام "أزدشير الأول"[1] /225-241م/، عدة موانئ بحرية ونهرية لهذا الغرض.

وتقابل هذه المسالح ما يقال له المناظر في عربيتنا بالنسبة إلى حماية بلاد الشام، فقد كان اليونان والرومان ثم البيزنطيون قد أقاموا خطوطاً من التحصينات اسكنوا بها حاميات ألقوا عليها مهمة الدفاع عن الحدود، وهي تتكون من قلاع ومن حصون أبراج وخطوط التحصينات هذه، هي المناظر عند العرب والمسالح بالنسبة لخطوط دفاع الفرس وواجبها حماية ما يليها من تحصينات أخرى وحاميات أقيمت على الخنادق في الامبراطورية الساسانية.

فهي الخطوط الأولى من خطوط الدفاع، أما الذين يقومون بحراستها وبالدفاع عنها، فأنهم لا يتقاضون أجراً، أي رواتب على عملهم، لأنهم Limitonei كما يقال لهم في اليونانية، ومعاشهم مما يزرعونه بأنفسهم، أو يدفع لهم من غلاّت

1- أزدشير بن بابك بن ساسان، حاكم إصطخر ووالي فارس، أسقط الإمبراطورية البارثية وأصبح أول الملوك الساسانيين. ولد في إيران في قرية طيروده من قرى مدينة اصطخر.

الفلاحين الذين يعفون من دفع ما عيهم من استحقاق للدولة، أي ما نسميه بضرائب، وينتخب هؤلاء من السكان المحليين، ليكون من السهل عليهم السكن في هذه المواضع البعيدة، وعليهم مشرفون من الفرس أو الروم لتوجيههم ولقيادتهم في أثناء وقوع غزو أو تحرش قبائل بهذه الخطوط[1].

وشجع الساسانيون مذهب نسطور مع أنهم كانوا مجوساً، لأنه مذهب يعارض مذهب الروم، فانتشر في العراق، وفي إيران وفي سائر الأرضين الخاضعة للحكم الساساني، ودخل في هذا المذهب أكثر النصارى العرب في العراق، ومن يدري؟ فلعلهم ساهموا من طرف خفي في توسيع الشقة بين هذا المذهب ومذهب الروم ولإلقاء العداوة بين هؤلاء النصارى والروم[2].

كانت بادية الشام ميداناً للقبائل، تتصارع فيه كيف تشاء، تبرز فيه قبيلة، ثم ينطفئ أسمها، لتظهر قبيلة أخرى، ولم يكن ذلك ليهم الدول الكبرى، ما دام ذلك الصراع في مواضع بعيدة عن حدودها، فإذا بلغ الحد، اضطرت تلك الدول إلى الوقوف بحزم وصرامة أمامه، إذا كانت تملك الحزم والقوة.

صعوبة قيام جيوشها النظامية بتعقب القبائل المغيرة وملاحقتها في البادية، عمدت على استرضاء سادات القبائل الكبيرة ذات العدد الكبير، بالهدايا والمنح المالية المغرية الامتيازات وبالألقاب للقيام بحراسة الحدود ومراقبتها، وبتعقب القبائل التي تتجاسر فتغزو الحدود، منتهزه مواطن الضعف والثغرات فالتجأ الساسانيون إلى عرب الحيرة، والتجأ البيزنطيون إلى الضجاعمة وإلى أهل تدمر والغساسنة للقيام بهذه المهمة.

1 –Die Araber, II, S. 350, Altheim- Stiehl, finanzgeschichte der Spätantike 31. FF, 117, f, 162, f.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2 ص629.

ولم تكن مهمة حفظ الحدود مهمة سهلة هينة، حتى على أهل البادية أنفسهم، فمنطق القبائل: أن القبيلة إذا كانت قوية ذات بأس، وشعرت بقوتها، جاز أن تطلب لنفسها ما تشاء وأن تغزو من تشاء كائناً من كان، وطالما صار من توكل إليه حراسة الحدود نفسه هدفاً للغزو، لأنه لم يطعم الغازين، ولم يقدم لهم ما يرضيهم من ترضيات وأعطيات، أو لأن الغازين رأوا في قرارة أنفسهم أنهم أحق بحماية الحدود من الذين يقومون بحمايتها في هذا الزمن، ولهذا يرون وجوب انتزاعها منهم بالقوة، كما انتزعها هؤلاء القائمون بالحماية ممن سلفهم، فلا يكون امام الدول الكبرى غير الموافقة والتسليم، ودفع الجعالات التي كانوا يدفعونها إلى الحرس القديم، إلى الحرس الجدد الذين أظهروا قوة فاقت قوة القدماء في ميدان تنافس والقتال.

ومع رغبة الدول الكبرى في التعامل جهد الإمكان مع أصحابهم القدماء الذين اطمأنوا إليهم، فأوكلوا لهم حراسة حدودهم، وكانوا يهددون ذلك الحرس يجعل حراستهم إلى خصومهم ومنافسيهم إذا ما شعروا بسوء نيتهم أو طمعهم أو إلحافهم على زيادة الجعالات، أو بضعف أو تهاون في الدفاع عن الحدود وفي إنزال القصاص المغيرين.

وقد يوكلون الحراسة في الحالات الشاذة إلى قوادهم الأشداء، لتعقيب المغيرين، وإنزال ضربات شديدة بهم.

وليس من الصعب بالطبع على حماة الحدود إدراك الأدوار الخطيرة التي يقومون بها، والخدمات الكبيرة التي كانوا يؤدونها، ولهذا صاروا يتحينون الفرص السانحة والظروف المؤاتية لإرغام الدول على رفع جعالاتهم، وإلا أضربوا عن الحراسة، وأثار الأعراب عليهم، وهاجموا هم أنفسهم تلك الحدود حتى تجاب مطالبهم، وفي تواريخ المناذرة والغساسنة أمثلة عديدة من أمثلة خروج أمراء هاتين الحكومتين على الساسانيين والبيزنطيين، ولعدم تلبية مطالبهم في زيادة الجعالات وفي الحصول على امتيازات جديدة.

وكان من نتائج العداء الموروث بين الساسانيين والبيزنطيين أن انتقلت عدواه إلى العرب أيضاً، فصار أناس منهم مع الفرس، وآخرون مع الروم، وبين العربين عداوة وبغضاء، مع أنهما من جنس واحد وكلاهما غريب عن الساسانيين والبيزنطيين، وقد تجسمت هذه العداوة في غزو عرب الحيرة للغساسنة، وفي غزو الغساسنة لأهل الحيرة، حتى في الأيام التي لم يكن فيها قتال بين الفرس والروم، مما أدى أحياناً إلى تكدير صفو السلم الذي كان بين البيزنطيين والساسانيين، وتجسمت في شعر المدح والهجاء الذي نجده فيحق آل نصر أو آل لخم، من الشعراء الذين وجدوا في هذه البغضاء متسعاً لهم ومفرجاً في الرزق فسار بعضهم يساوم في أجور المدح وفي أجور الذم.

وقد انتهت حدود الأرضين التي خضعت لحكم البيزنطيين أو سلطانهم عند حدود المقاطعة العربية الجنوبية، فلم تتجاوزها إلى ظهور الإسلام، ولعل محاولة "أبرهة" الاستيلاء على مكة كانت خطة سياسة عسكرية من خطط البيزنطيين كانت ترمي إلى الاستيلاء على الشقة التي بقيت تفصل بين الروم والحكم الحبشي في اليمن، فيبسط بذلك البيزنطيون سلطانهم السياسي على العربية الغربية كلها وعلى قسم كبير من العربية الجنوبي، ومن يدري؟ فلعلهم كانوا يبقون من بعد ذلك احتلال العربية الجنوبية كلها، لفرض سيطرتهم على أهم جزء من خطوط الملاحة البحرية العالمية المؤدية إلى الهند والسواحل الإفريقية.

أما فيما عدا ذلك من جزيرة العرب، فلم يكن للبيزنطيين سلطان سياسي أو تدخل فعلي، ولهذا انفردت فعالياتهم السياسية والعسكرية مع العرب النازلين في الأرضين التي خضعت لحكمهم ولسلطانهم، ومع عرب بادية الشام وعرب العراق.

ولا نعلم أن ملوك الروم كانوا يرسلون قوافل تجارية خاصة بهم، لتتاجر مع جزيرة العرب، أو أن حكام مقاطعاتهم في بلاد الشام كانوا يتاجرون باسم حكومتهم أو بأسمائهم مع بلاد العرب. وكل ما نعرفه هو أن التجار العرب كانوا هم الذين

يرسلون القوافل إلى بلاد الشام فكانت إذا دخلت مناطق الحدود هم الذين ضرائب المرور والمكس إلى رجال مصلحة الضرائب التابعين للروم.

وعندئذ يسمح لهم أن يذهبوا إلى الأسواق لبيع ما يحملونه وشراء ما يحتاجون إليه وكانت بصرى حاضرة المقاطعة العربية، هي السوق الرئيسية للتجار العرب، ومنتهى قوافلهم في الغالب. فكانت علاقة أهل الحجاز، ولا سيما أهل مكة، بالروم علاقة اقتصادية. وعلى هذه العلاقة كانت تتوقف العلاقات السياسية في غالب الأحيان فقد كان الروم يزيدون الضرائب أحياناً، ويتعسفون في الجباية فيتضرر بذلك التجار العرب، فكانوا يشتكون، ويراجعون حكام المقاطعات، وقد يرفعون إلى كبار القادة والحكام التماساً، أو يرسلون إلى عاهل القسطنطينية رسلاً، للتوسل برفع هذه المظالم عنهم ولتخفيض الضرائب، وتنتهي مثل هذه الشكايات بترضيات يراد بها أن تكون ترضيات سياسي، لتوجيه عرب الحجاز ضد الفرس، أو لفتح المجال لتجار الروم بالمرور من الحجاز إلى الجنوب، إلي ما شاكل ذلك من أمور[1].

أما ملوك الساسانيين، فقد كانوا يتاجرون مع العرب، يشترون منهم ويبيعونهم ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبية، لبيع ما تحمله في أسواقها، ولشراء سلع العربية الجنوبية يحملونها إلى أسواق العراق، وقد كانوا يوكلون حراستها إلى جماعة يختارونهم من سادات القبائل المهيبين المعروفين، يجعل يدفعونه لهم.

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن جماعة من أهل مكة قد تخصصت بالإتجار مع العراق وقد كان لها تعامل مع كسرى وربما مع كبار رجال دولته أيضاً من أولئك

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص632.

الذين اقتدوا بملوكهم في الاشتغال بالتجارة وبالنزول إلى الأسواق، فإنا نجد أناساً من كبار تجار مكة كانوا يفدون على المدائن، ويتصلون بديوان كسرى ويتعاملون هناك بيعاً وسراءً، وكانت لهم دالة على ملك المدائن، وربما كان يساعدهم هو نفسه في مال القوافل، أو يجعل له نصيب من الأرباح[1].

أما حدود الدولة الساسانية مع البلاد العربية، فلم تكن ثابتة، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب الظروف والأحوال، وكان الساسانيون يتقدمون نحو الجنوب في اتجاه العروض وبقية الأقسام الشرقية من جزيرة العرب حين تكون لهم قوة بحرية كافية، وكانوا ينسحبون منها حين تضعف هذه القوة.

وقد كان العرب في عهد الساسانيين وقبله قد استوطنوا السواحل الجنوبية من إيران، وهيمنوا عليها، وكان لقبائلهم آثر خطير هناك، ولا سيما قبل أن تكون الدولة الساسانية، إذ وجدوا في انشغال الدولة إذ ذاك في المنازعات الداخلية فرصة ملائمة لهم، فبسطوا سلطانهم على مناطقهم مثل كرمان Karmonia وغيرها2، ولهذا كان أول ما فعله مؤسس الدولة الساسانية "أزدشير الأول"/224 – 240م/، وهي القضاء على الإقطاع وعلى الإمارات التي تعددت في هذا العهد نتيجة ضعف الحكومة.

فورد أن "أزدشير" سار بعد أن تغلب على خصومه في إيران، لقتال ملك الأهواز فغلبه في معركة حاسمة، واستولى على ولايته، ثم سار نحو ميسان، وكان حاكمها

1– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص633.

2 –Die Araber, I. S. 38.

عربياً، فاستولى عليها[1]، وبذلك خضع له العرب الساكنون في المناطق الجنوبية من بلاد إيران.

وذكر "حمزة الأصفهاني" أن "أزدشير" ابتنى مدينة بالبحرين سماها بتن أزدشير، وإنما سماها «بتن أزدشير» لأنه بنى سورها على جثث أهلها، لأنهم فارقوا طاعته وعصوا أمره، فجعل ساقاً من السور لبناً، وساقاً جثثاً، فلذلك سماها أزدشير[2]وقد ورد أن "أزدشير"، كان قد أنشأ عدة موانئ على الأنهار وعلى البحار[3] بعد أن قضى على مقاومة القبائل العربية النازلة في المناطق الجنوبية من إيران، وعندئذ صار من الميسور له ركوب البحر والاستيلاء على البحرين وعلى الأرضين العربية الأخرى من جزيرة العرب، ولهذا نص بعض الكتبة الكلاسيك على أن ساحل عمان Oman كان تابعاً للفرس يومئذ أي لحكم "أزدشير"[4].

ويفهم من تاريخ "الطبري" أن "عمرو بن عدي" وهو أول ملك من ملوك الحيرة كان "مستبداً بأمره، يغزو المغازي، ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود دهره الأول، لا يدين لملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له، حتى قدم أزدشير بن بابك في أهل فارس"[5]، ولم يشرح "الطبري" صلته بـ "أزدشير"، ولكن الذي يتعمق في دراسة معنى هذه العبارة يخرج منها بأن أزدشير فرض سلطانه عليه، وأنه أطاعه، فلم يعد يغزو المغازي، ويصيب الغنائم كما كان يفعل أمام ملوك الطوائف أما "سابور الأول"/241 – 272م/[6]، وهو ابن الملك "أزدشير" مؤسس الدولة الساسانية، فقد

1– آرثر كريستينسن : إيران في عهد الساسانيين، تعريب يحيى الخشاب والدكتور عبد الوهاب عزام، إيران، القاهرة، 1957، ص75.

2– حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ص34.

3– جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص91.

4 –Die Araber,I. S. 37. 41. 56. 61. 109. 343..

5– الطبري: تاريخ الطبري، 627/1 دار المعارف.

6 –Encyclopedia,, Vol 4, P 178, Die Araber, II. S. 67.

ذكر أنه تلقن درساً مهماً في السلوك من "أذنية" ملك تدمر، إذ يقولون أنه لما تمكن من القيصر فالريادة[1].

وأسره وانتصر على جيشه انتصاراً كبيراً، تملكه الغرور والعجب، وصار يشعر أنه ملك الدنيا، فلما أرسل "أذينة" رسالة مع هدايا تحملها قافلة كبيرة من الجمال وصلت إليه في أثنا عودته منتصراً، تملكه العجب من تجاسر "أذينة" على مخاطبته بلهجة ليس فيها كثير من التعظيم والتفخيم والاحترام، وهو ملك الملوك و"أذينة" رئيس موضع في البادية، فأخذته العزة وأمر برمي هداياه في الفرات قائلاً: ومن هو أذينة هذا؟ ومن أي أرض هو حتى يوجه هذه الرسالة إلى سيده؟ فليأت حالاً إذا أراد أن يخفف من العقاب الذي سينزل به، وليسجد أمامي بعد أن توثق يداه إلى ظهره!.

فلما سمع "أذينة" بهذه الإهانة، جمع ما عنده من قوة، وأسرع فباغت الساسانيين مباغتة أفزعتهم، فوقع الرعب فيهم، حتى تركوا له أكثر ما حصلوا عليه من غنائم من حربهم مع الرومان، وفقدوا بعض زوجات الملك، إذ وقعن أسرى في أيدي قوات "أذينة"، ولم يكتف ملك تدمر بهذا الانتقام، بل أسرع في سنة/263م/فهاجم الجزيرة، فانتصر على "سابور"، ثم حاصر عاصمته طيفسون[2].

وقد استمر الساسانيون في محاربة "أذينة" رجاء التغلب عليه والانتقام منه إلى سنة/265م/من غير جدوى، إذ قتل "أذينة" دون أن يتمكن "سابور" من أخذ الثأر منه[3].

1- مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص128، بيروت، 189.

2 -Sir Percy sykes: A History of Persia, Vol I. P 402.

3- أرثر كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين ص 213 فما بعدها.

Encyclopedia,. Vol 4. P 312, Pauly- Wissowa, 2, II, Rethe, I, 2328, 2331.

ولما تغير الزمن، واتبعت "الزباء" سياسة معادية للرومان، وحاصرها أورليان، اتصلت بالساسانيين رجاء الحصول منهم على مساعدة عسكرية، لنتخلص بها منهم، إلا أن الملك "بهرام" لم ينجدها، فسقطت أسيرة في أيدي الرومان سنة/272م/، وأخذ نجم المدينة المهمة التي اتخذها "هادريان" قاعدة عسكرية لحماية حدود بلاد الشام من المغيرين، في الأفول منذ ذلك الحين، وكان تقاعس "بهرام" عن مساعدة "الزباء" من ضعف سياسة ذلك الملك، الذي لم يكن ذا همة في إدارة الملك[1].

ولا نعلم شيئاً يذكر بعدئذ عن صلات الفرس الساسانيين بالعرب منذ عهد "بهرام الأول" إلى عهد "سابور الثاني"/310 – 379م/، فالموارد صامتة لا تتحدث عنها بأي حديث، وإنما تتحدث عن غارات قاسية أغارها هذا الملك الأخير على العرب في المنطقة العربية من إيران وفي الخليج العربي وفي العراق[2].

ويحدثنا "المسعودي"، أن "سابور بن هرمز" المعروف بـ "سابور ذي الأكتاف"/310 – 379م/، كان قد أوقع في العرب موقعة عظيمة وذلك لأن القبائل العربية وفي طليعتها قبيلة إياد، كانت قد غلبت على سواد العراق، وأطبقت على البلاد وكانت تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق، فلما كبر "سابور" وأخذ أمور الملك بيده أراد الانتقام من إياد، فأرسل سراياه نحوها، وكان في جلسة مع رجل من إياد، أسمه "لقيط" سمع بعزم سابور فأرسل إليها شعراً ينذرها به، ولكنها لم تحفل بإنذاره، ففاجأتها جيوشه، وأوقعت بهم، فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم، وخلع بعد ذلك أكتاف العرب، فسمي سابور ذا الأكتاف[3].

1– أرثر كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين، ص215.

Sir Percy sykes: A History of Persia, Vol I.m P 207.

2– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص636.

3– **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 215/1 وما بعدها.

وفي خبر "المسعودي" وهمٌ وتسرع فإن الذي حارب إياداً وأنزل بهم خسائر فادحة، لم يكن "سابور ذا الاكتاف"، بل كان "كسرى أنو شروان" أو "كسرى بن هرمز"، وإن كسرى هذا أرسل جيشاً ضدهم، وضعه بقيادة "مالك بن حارثة" ومعه قوم من بكر بن وائل فأرسل عندئذ "لقيط" إليهم إنذاره فلم يحفلوا به، فوقعت بهم خسائر كبيرة في الحرجية، وفرّ قسم كبير منهم إلى بلاد الشام[1].

وفي رواية أخرى أن "سابور" سار في البلاد حتى أتى بلاد البحرين، وفيها يومئذ بنو تميم، فأمعن في قتلهم، ففرّ من قدر منهم على الفرار، فأراد اللحاق بهم، ولكن "عمرو بن تميم بن مرّ"، وهو سيد تميم يومئذ، وكان قد بلغ ما بلغ، تحدث إليه حديثاً لطيفاً أقنعه بالكف عمن بقي، فتركهم وشأنهم[2].

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن السبب الذي دعا بـ "سابور" إلى الفتك بالعرب، هو أن القبائل العربية كانت قد توغلت في جنوب إيران، وصار لها سلطان كبير هناك تتدخل في الأمور الداخلية للدولة الساسانية، فلما أخذ الأمور بيديه، بدأ يضرب هذه القبائل، للقضاء على سلطانهم ثم قطع البحر، فورد الخط، فقتل من بلاد البحرين خلقاً كبيراً، وأفشى القتل في هجر، وكان بها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس، ثم عطف على بلاد عبد القيس فأباد أهلها، إلا من هرب منهم فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة فقتل بها كثيراً أيضاً، وسار على خطة طمّ المياه وردم الآبار، ليحرم الناس الانتفاع بها، ثم سار حتى بلغ قرب المدينة، فقتل من وجد هناك من العرب، وأسر، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام، ففعل بها ما فعله في الأرضين الأخرى، وأسكن من كان من بني تغلب من البحرين دارين وأسمها هيج والخط، ومن كان من

---

1 –Encyclopedia,, II, P 565.

2– المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 217/1.

عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر، ومن كان من بكرين وائل كرمان وهم الذين يدعون بكر بن أبان ومن كان من بني حنظلة بـ الرميلة من بلاد الأهواز[1].

وقد كان نزوح العرب إلى إيران عن طريق البحر، زحف أهل ساحل الخليج من الخط والبحرين وكاظمة وعمان، إلى السواحل المقابلة: السواحل الجنوبية من أرض الفرس. كما نزحوا إليها من مملكة ميسان، فتوغلوا شرقاً إلى عيلام، أي خوزستان ثم الأقسام الجنوبية من فارس ويفهم مما كتبه "كوريتوس روفوس"، الذي عاش في العشرات الأولى من القرن الثالث للميلاد، أن العرب كانوا إذ ذاك في كرمان وفي فارس[2].

ولا بد وإن يكون وجودهم في هذه الأماكن قبل هذا العهد بأمد طويل، وذلك مما يؤيد ما جاء في تاريخ "الطبري" وغيره من وجود العرب في إيران قبل قيام حكومة الساسانيين[3].

وقد أنشأ "سابور" أسطولاً قوياً في الخليج العربي، ليحافظ على حدود إمبراطورتيه وعلى التجارة في هذا الماء، مع مساهمة أهل الخليج العرب أنفسهم في ركوب البحر وفي نقل التجارة ما بين الهند وسيلان وجزيرة العرب والعراق.

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن "سابور" نفسه كان في الأسطول الذي وصل إلى البحرين للانتقام من العرب الذين كانوا يهاجمون سواحل حكومته الجنوبية المطلة على الخليج[4].

1- الطبري: تاريخ الطبري، 67/2، 57/2، "دار المعارف".

2 –Curtius Rufus I, 36-39, Die Araber,II. S. 345. 349.

3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص639.

4- جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص91.

وفي رواية أخرى نقلها "الطبري" من مورد آخر غير مورد "ابن الكلبي" إن سابور، بعد أن اثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي صاروا إليها، مما قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة، استصلح العرب، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوّج والأهواز[1]، وقد كان ذلك بعد حربه مع الروم.

والظاهر أن الأوضاع السياسية اضطرته إلى استصلاح العرب، بعد أن تبينت له صعوبة الاستمرار في سياسة العنف والقوة إلى أمد غير معلوم، وبعد ما وجد من خطل في الاستهانة بشأن القبائل، ولا يستبعد أن يكون للدرس الذي تعلمه من "أذينة" نصيب في هذا التبدل الذي أدخله على سياسته.

ويتبين من وصف "الطبري" لحملات "سابور" على العرب، أنها كانت حملات واسعة، شملت أرضين بعيدة، بدأت بمن نزل أرض فارس من العرب ممن أناخ على أبر شهر وسواحل أزدشير خرة وأسياف فارس، ثم السواحل المقابلة لإيران من بلاد العرب، ثم امتدت نحو الغرب حتى بلغت المدينة، ثم منها نحو بلاد بكر وتغلب، فيما بين مسالح الساسانيين ومناظر الروم، أي أنه حارب قبائل بادية السماوة، وهي حملات أن صح أنها وقعت فعلاً، فلا بد وأن تكون قد نجحت وتمت بقبائل عربية مؤيدة لـ"سابور"، إذ يصعب تصور قيام الفرس وحدهم وبدون مساعدة باجتياز البوادي الشاسعة المنهكة لملاحقة العرب، وهم سادة البادية، لم يكن في

Sykes: History of Persia ,P 412.

1- الطبري: تاريخ الطبري، 69/2 وما بعدها و61/2.

وسع الفرس، مهما بلغ جيشهم من التدريب والتنظيم تحمل العطش وحرارة البادية وجوّها القاسي الصارم.

وفي رواية المؤرخ "أميانوس" عن حروف "سابور- شابور الثاني" تأييد لرواية "الطبري" عن تلك الحروب وتوثيق لأكثرها، وقد وقعت تلك الحروب في أرض أغلب سكانها من عشائر قضاعة[1].

ولضمان الحدود من غارات الأعراب عليها، قوّى "سابور" المسالح، بأن وضع بها حاميات عسكرية قوية، لمنع الأعراب من التعرض بالحدود، كما أقام خندقاً عرف بـ «خندق سابور» ليحول بين الأعراب والدنو من الحضر.

وقد أباح لرجال الحاميات التي وضعت على الخندق، إقامة الأبنية وزرع الأرض واستثناهم من دفع الخراج[2].

وقام "سابور" بعمليات واسعة لإجلاء القبائل من منازلها إلى منازل أخرى جديدة، تأديباً لها، وضماناً لعدم قيامها بغارات على الحدود، وهي سياسة قديمة معروفة، استعملتها الحكومات في تأديب القبائل، فكان الآشوريون يجلبون القبائل من مواطنها إلى مواطن جديدة، قد تكون بعيدة عن منازل القبيلة القديمة، وقد أجلى "سابور" بعض عشائر تغلب إلى البحري، حيث انزلوا دارين وهي هيج، وأسكن عشائر أخرى الخط ونقل بعض عشائر بكر وائل إلى كرمان وابان، حيث عرفوا بـ«بكر أبان، ونقل بني حنظلة إلى الرميلة من الأهواز-خوزستان.

1– Ammianus, 16, 9,3-4. Die Araber,III. S. 11. Altheim. Stiehl finanzgeschichte der Spätantike, 1957. S.35, 38.

2 –Die Araber, II. S. 349.

ويرى "نولدكه" احتمال كون الرميلة موضع قرية الرمل، الواقع على مسيرة يوم واحد عن شوشتر ونقل قوماً من عبد القيس وتميم إلى هجر[1].

وفي جملة ما وضعه "سابور" من خطط لحفظ السواد وحفظ الحدود، إقامة أنابير أي مخازن في المواضع المهمة، لخزن الأسلحة والأطعمة لتوزيعها على حاميات المسالح وعلى الأعراب عند الحاجة، ومن هذه المواضع: الأنبار وعكبرا، وقد وضعت كلها تحت حماية عسكرية قوية، كذلك عهد إلى آل نصر مهمة حماية الحدود، بضبط العشائر والسيطرة عليها، بأن جعلهم يقومون بدور الشرطة المسؤولة عن حماية الحدود[2].

ولما تحرش "سابور" سنة/337م/بحدود الروم كلف العرب الهجوم على حدودهم أيضاً وغزوها[3] والظاهر أن هؤلاء العرب كانوا من العرب المحالفين له، ولعلهم عرب الحيرة، وقد وقع هذا الغزو في أيام "قسطنطين" ملك الروم.

ونجد في الروايات الأعجمية تأييداً للرواية العربية القائلة باسترضاء "سابور" للعرب للاستفادة منهم في محاربة الروم وفي الوقوف أمامهم، إذ ورد في الأخبار اليهودية إنه أثناء الحروب الفارسية الرومية التي امتدت من سنة/338 حتى سنة 363/للميلاد، استدعى "سابور" قبائل عربية عديدة وأسكنها في مواضع متعددة من العراق، وذلك لتساعده في حربه مع الروم[4].
وفي رواية في تاريخ "الطبري": إن "ليانوس" ملك الروم، حارب "سابور"، فضم إلى جيشه من كان في مملكته من العرب، أي عرب الروم، وانتهزت بذلك

1 –Die Araber, II. S. 351.

2 –Die Araber, II. S. 352.

3 –Sykes: History of Persia, I.P 413.

4 –The Babylonian Talmud: Seder Nezikin II.P 735,VFunk, Die Juden In Babylionien ,II, 41..

السبب الفرصة من الانتقام من "سابور" وما كان من قتله العرب، واجتمع في عسكر لليانوس من العرب مئة ألف وسبعون ألف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته، يسمى "يوسانوس"، أما من في عسكر لليانوس من العرب، فقد سألوه أن يأذن لهم في محاربة "سابور"، فأجابهم إلى ما سألوه، فزحفوا إلى سابور فقاتلوه، ففضّوا جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب "سابور" فيمن بقي من جنده، واحتوى لليانوس مدينة طيسفون مجلة سابور، وظفر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها[1] عندئذ استتجد سابور بقواده فلما وصل إليه العون، استخلص طيسفون، ثم تصالح بعد مقتل "لليانوس" مع "يوسانوس" الذي انتخبه الجيش ملكاً على آثر قتل "لليانوس"[2].

وقصد "الطبري" بـ "لليانوس" الإمبراطور "جوليان"، فقد تقدم هذا بجيوشه سنة/363م/، نحو الدولة الساسانية فاكتسح حدودها وهرب جيش الفرس من أمامه، حتى بلغت جيوشه طيسفون عاصمة الساسانيين، إلا أنه لم يلحق ضربة شديدة قاصمة بـ"سابور"، بل ترك عاصمته، وتراجع حيث لاقى مصيره في المعركة في أثناء رجوعه إلى بلاده، فانتخب "يوسانوس"، خلفاً له[3].

وقد ورد في بعض الروايات أن "لليانوس"، كان متعجرفاً متغطرساً فلما كلف جماعة من العرب Saracen أن ينضموا إلى جيشه، لمحاربة الفرس، وافقوا على ذلك وحاربوا معه، إلا أنهم لما طالبوه بعطاياهم، أجابهم جواباً غليظاً: الإمبراطور الشجاع المقدام، عنده الذهب، فتركوه وانقلبوا عليه، وألحقوا به خسائر كبيرة[4].

1- الطبري: تاريخ الطبري، 68/2، أبو العباس أحمد بن إسحاق **اليعقوبي**: تاريخ اليعقوبي، 131/1.

2- الطبري: تاريخ الطبري، 68/2 وما بعدها.

3 –Sykes: History of Persia, I.P 22.

4 –Sykes: History of Persia, I.P 418.

ويذكر المؤرخ "أميانوس مرسيللينوس": ((أن "جوليان" لما بلغ الفرات ليلحق بالأسطول الذي بناه في هذا النهر ويسير به لمحاربة الساسانيين ولينقل جيشه إلى حيث يلتقي بالجيش الآخر الزاحف من دجلة والطرق البرية، قدمت له قبائل عربية Saracens الطاعة، إلا أن هؤلاء أناس لم يكونوا يعرفون هل هم أعداء أو أصدقاء؟[1] ولذلك صار الروم على حذر شديد منهم)).

وذكر هذا المؤرخ: ((إن سادات القبائل قدموا إلى القيصر تاجاً من ذهب، ليعبّر عن خضوعهم له، ولقبوه بلقب ملك كل العرب فقبل الملك منهم التاج واللقب، لما في ذلك من آثر معنوي يحدثه في نفوس العرب، وحاربت القبائل التي انضمت إليه الفرس في معارك صغيرة[2] فكافأها القيصر على عملها هذا، إلا أنه لم يقدم لها معونات الذهب التي كانت تقدم عادة إلى سادات القبائل فاستاء الرؤساء من ذلك، وإنجاز قسم منهم إلى الفرس، وأخذوا يتحرشون بعسكر "يوليانوس"، وألحقوا به خسائر في الأرواح، وباعوا من وقع في أيديهم من الروم، في أسواق النخاسة))[3].

وكان سبب انضمام تلك القبائل إلى الروم، ما لاقته من شدة "سابور" ومن تنكيله بها، فأرادت بانضمامها إلى "يوليانوس" الانتقام من الفرس، وأخذ ثأرها منهم عند سنوح أول فرصة. وقد آذوه فعلاً، مما حمله على تغيير سياسته تجاههم، فأخذ يسترضيهم فعاد إليه من عاد منهم[4].

وذكر أميانوس، أن ممن انضم إلى الفرس من الأعراب Saroceos، سيد قبيلة أسمه "مالك"، وقد عرف والده[5]بـ Podosacis وقد تمكن بمعاونة رجل عربي آخر اسمه: "سورينا" من الفتك بكتيبة من كتائب الروم، وذلك بنصب شرك لها، فوقعت

---

1 –Sykes: History of Persia, I.P 419.

2 –Ammianus,23. 5, 24, I, 10, Die Araber, II.S. 314.

3 –Ammianus, 25, 8, I, Die Araber ,II. S. 325.

4 –Die Araber ,II. S. 325.

5 –Ammianus,24, 2. 4. Die Araber, II. S. 325.

تحت سيوف العرب وذكر أن مالك، كان عاملاً في لارخا على قبيلة أسمها Assanitorum، يرى البعض أنهم الغساسنة[1].

ويذكر أهل الأخبار أن "سابور" إنما لقب بـ ذي الاكتاف، لأنه خلع أكتاف العرب[2] ويرى "نولدكه" أن هذا التفسير مصنوع، وإن اللقب إنما جاء عند الساسانيين في معنى آخر لا علاقة له بخلع الأكتاف، بل قصد به ذو الأكتاف، دلالة على الشدة والقوة فهو لقب تمجيد وتقدير. وقد حوّله أهل الأخبار إلى معنى آخر، هو المعنى المتقدم لبطش "سابور" بالعرب وإيقاعه القاسي بهم.

أما "آرثر كريتنسن"، فيرى أن تفسير أهل الأخبار تفسير صحيح، وهو لا يستبعد خلع "سابور" لأكتاف العرب[3].

وذكر "حمزة الأصفهاني"، أن التسمية المذكورة إنما جاءته من الجملة الفارسية وهي شابور هوية سبأ، وهوية اسم للكتف وسنبا أي «نقّاب»، قيل له ذلك لأنه لما غزا العرب كان ينقب أكتافهم، فيجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقة وبسببه، فسمته الفرس بهذا الاسم وسمته العرب ذا الأكتاف[4].

وقد نسب إلى "سابور- شابور" هذا بناء الأنبار، ذكر أنه بناها، فسميت بـ فيروز شابور، وقد صيرها العرب الأنبار[5]، وكانت من المدن التي تغلب عليها العنصر العربي عند ظهور الإسلام، كما نسبوا إليه بناء عكبرا[1].

---

1 –Die Araber ,II. S. 325.

2– الطبري: تاريخ الطبري، 67/2، **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 216/1.

3– أرثر كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين، ص225.

4– حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة السلام، ص36.

5– "والأنبار: أهراء الطعام، واحدها نبر، ويجمع أنابير"، واللسان، مادة بئر 190/5 صادر، حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص 34.

ويذكر "المسعودي"، أن "سابور بن سابور"، ويريد به "سابور الثالث"/383 – 388م/[2] كانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب، ويتبين من بيت شعر نسبه إلى شاعر نعته بأنه: شاعر إياد ولم يسمه، أن إياد استعادت مكانتها، وأصبحت قبابها وحولها الخيل والنعم وذلك على رغم سابور بن سابور[3].

ويظهر أن إياداً التي كانت قد لحقت بأرض الروم في أيام سابور ذي الأكتاف عادت فرجعت إلى العراق وحلت فيمحلها.

ويذكر "المسعودي" أن إياداً بعد أن رجعت من أرض الروم، دخلت في جملة ربيعة من ولد "بكربن وائل"، وأن ربيعة كانت قد غلبت على السواد، وشنت الغارات في ملك هذا الملك، فصارت إياد في جملة ربيعة[4]. فإياد وإن عادت إلى العراق، لم تتمكن من أن تستعيد مكانتها، فدخلت في قبائل ربيعة اتي هي من بكر وائل وهي قبائل كانت قد كسبت سلطاناً ومكانةً مستغلة فرصة ضعف هذا الملك، فسادت من ثم على إياد.

وقد وقع هذا التطور بعد وفاة "سابور ذي الأكتاف"، وإذا أخذنا برواية "المسعودي" هذه، وجب أن يكون زمانه ما بين سنة/383 – 388م/ففي خلال هذه المدة كان حكم سابور الثالث[5].

1- حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص37.

2- أو سنة 387م في بعض الروايات.

3- على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها الخيل والنعم، **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر 221/1.

4- **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 221/1.

5 –Encyclopedia, Vol 4. P 178.

ولا تتحدث الموارد العربية بشيء يذكر بعد ذلك عن علاقة الساسانيين بالعرب إلى أيام بهرام جور بهرام كور/420 – 438م/، وهو المعروف بـ "بهرام الخامس" عند المؤرخين[1].

وكان لملك الحيرة فضل في تولي "بهرام" عرش الدولة الساسانية بعد أن قرر الأشراف وأصحاب الجاه والسلطان من رجال الدين والجيش انتزاعه من أولاد "يزدجرد" والده، فقد أمده بجيش أفزع أولئك الأقوياء فوافقوا على أن يمنحه التاج.

ويذكر "الطبري" أن "بهرام" المذكور كان قد ربي تربية عربية، ذلك لأن أباه "يزدجرد" كان قد أرسله إلى الحيرة لتربيته تربية صحيحة، فأقام في البادية وبين الأعراب حتى شب مثلهم قوياً شجاعاً مغامراً، ينظم الشعر بالعربية، ويتكلم بها بطلاقة وفصاحة.

ويرى بعض المؤرخين المحدثين إن إقامة "بهرام" إنما كانت في قصر الحورنق، ويرون أن بناء هذا القصر كان قد تم قبل ذلك بزمن ويرون أن إرساله إلى الحيرة، لم يكن على نحو ما زعمته الروايات العربية، وإنما كان نفياً له في الواقع الخلاف بينه وبين أبيه، ولأن أباه لم يكن يعطف عليه عطفه على وليده الآخرين[2] وهذا القسم من تاريخ صلات الساسانيين بعرب الحيرة، وإنه يدل على أنه أخذ من موارد تاريخية منظمة، غير ساسانية وهي موارد دونّها أهل الحيرة أنفسهم، وفي مقدمتهم رجال الكنيسة الذين ألفوا تدوين التواريخ، وقد صار رجال الدين النصارى هم رواة التاريخ وحفظته منذ تفشي النصرانية، فمن هذه الموارد نقل "ابن الكلبي" وإضرابه ممن دونّوا تاريخ الحيرة.

---

1 –Encyclopedia,, Vol 4.P 178,R. Ghrishman, Iran. 299.

2– أرثر كريستينسن: إيران في عهد الساسانيين، ص260.

وذكر بعض أهل الأخبار "كسرى أبرويز"، لما انهزم من "بهرام شوربين"، كان فراره على فرس من خيل رجل من طيء، فنجا بفضله، وذكروا إن ذلك الفرس هو الضبب، وهو من خيل العرب المعروفة[1].

وذكر "حمزة الأصفهاني" أن من جملة قواد "كسرى أبرويز" القائد "فنابرزين"، وهو "نكهان"، وكان "فنابرزين" متولياً على ما يلي الريف من البادية إلى حد الحيرة إلى حدود البحرين، والعرب تسميه خنابزرين ساسان بن روزية[2].

وفي أيام "كسرى أنو شروان"، طرد الأحباش من اليمن، إذ أرسل إليها نجدة بقيادة "وهز"، وبذلك دخل الفرس اليمن، وصاروا على مقربة من الحبش حلفاء الروم، وقد لاقت السياسة البيزنطية بذلك ضربة شديدة عنيفة، لأن الفرس بدخولهم اليمن صار في إمكانهم الضغط على التجارة البحرية للروم، وصار في إمكانهم الهيمنة على منفذ البحر الأحمر، البحر الذي تلج منه سفن الروم إلى المحيط الهندي وبالعكس، كما صار في إمكان الفرس الاتصال بعرب الحجاز وعقد اتفاقيات تجارية مع أهل مكة، وهم إذ ذاك من أهم تجار بلاد العرب.

وقد بقي الفرس في اليمن حتى ظهور الإسلام، فأسلم آخر عامل فارسي، وزوال ملك الفرس عنها بذلك.

وكانت للفرس قوة في عمان عند ظهور الإسلام، وقد ذكر أن أول من أغار عليهم "نعام بن الحارث" من عتيك، وكان من فرسانهم في آخر الجاهلية وأول الإسلام[3].

1- أبو بكر محمد بن الحسن **ابن دريد**: الاشتقاق، ص117.

2- حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص91.

3- ابن دريد: الاشتقاق، 284/2.

وكان الساسانيون كالبيزنطيين قد اتخذوا مسالح لهم على مشارف البوادي والحدود لحماية أملاكهم من الغزو، ولإخبار الحكومة عند دنو العدو وحالة حدوث خطر، وهي أبنية حصينة، وضعوا فيها قوات تحت إمرة أمراء منهم، يقيمون فيها، واتخذوا فيها مخازن لخزن الأسلحة والأطعمة، وحفروا فيها آباراً، وصنعوا كهاريز تخزن الماء، ولما ظهرت جيوش الإسلام لفتح العراق، كان على هذه المسالح إخبار "طيسفون" بما حدث، والوقوف أمام تلك الجيوش، حتى تجيء جيوشهم فتلتحم بالمسلمين.

أما صلات البيزنطيين بالعرب، فلا نعلم عن بدايتها إلا شيئاً قليلاً، لأن الموارد التاريخية لم تهتم بغير الأحداث الكبرى، التي كان لها شأن في تاريخ الروم فلم نشر إلى العرب إلا في أثناء اشتراكهم اشتراكاً جماعياً في جيش البيزنطيين في قتال الساسانيين أو في جيش الفرس إبان قتال البيزنطيين، وأما القبائل العربية على حدود بلاد الشام، فلم تتعرض لها لأنها لم يكن لها شأن، ثم أنها إذا تطرقت إلى المهم منها تطرقت إليه بإيجاز، ولهذا حرمنا الوقوف على صلات العرب بالبيزنطيين بصورة مفصلة وعلى أخبار الإمارات العربية التي حكمت في البادية الملاصقة لبلاد الشام وفي بلاد الشام ما بين دولة البيزنطيين وبزوغ نجم آل غسان لقد كابد الساسانيون والبيزنطيون من القبائل العربية عنتاً شديداً مثل ما كابده المتقدمون، فقد كانت تراقب الفرص لتهاجم الحدود أو الجيوش النظامية في أثناء انتقالها إلى ساحات القتال أو اشتغالها في القتال، أو في أثناء تراجعها، فتوقع بها وتكبدها خسائر، ثم أنها كانت تنتقل من موضع إلى موضع، من الأرضين الخاضعة لسلطان البيزنطيين إلى الأرضين التابعة للساسانيين وبالعكس، وقد تثور وتهاجم القرى في دولة، فإذا عقبتها، هاجرت إلى الدولة الأخرى المعادية لها، ولهذا السبب وجد الساسانيون والبيزنطيون أن من مصلحتهما عقد اتفاقية تحرم انتقال الأعراب من أرض إحدى الحكومتين من غير ترخيص وتخويل[1].

1 –Musil Hegaz. P 306.

لقد أخذت الدولة البيزنطية الأرضين التي كانت خاضعة لروما، وصارت تديرها من القسطنطينية، وتعيّن حكامها وترسل الجيوش إليها، وتطبق القوانين التي تصدرها القسطنطينية، وبقي الحال على هذا المنوال إلى أن طرد للبيزنطيين عن بلاد الشام بظهور الإسلام، فذهب الحكم البيزنطي عنها، وبقي الأثر الثقافي أمداً يهيمن على البلاد المفتوحة.

وكانت بصرى من أهم المدن التي يرد إليها عرب الحجاز للإتجار. وكانت آخر مكان يصل إليه تجار أهل مكة في الغالب في الشمال، يقيمون فيه، يبيعون ويشترون ويدفعون للروم العشور، وهي الضرائب المتعارف عليها إذ ذاك، ثم يعودون إلى ديارهم ومعهم ما اشتروه من تجارات بلاد الشام، من طرف مصنوع في هذه البلاد، أو مستورد إليها من بلاد الروم ومن أوروبا، ومن سلع حية هي الرقيق الذي يباع في سوق بصرى، وقد استورد إليها من مختلف الأنحاء[1].

وتعرف بصرى بـ Bostra عند الرومان واليونان[2]، ولأهميتها الحربية والسياسية والتجارية كان يقيم بها حاكم روماني، ثم حكمها حكّام من اليونان بعد انتقالها إلى حكم اليونان، كما وضعوا بها حاميات بيزنطية، وذلك لقربها من الأعراب وللدفاع عن الحدود المهددة بهجوم أبناء البادية عليها، وقد أصيب بخسائر جسيمة ونزل بها خراب شديد على آثر مهاجمة الفرس لبلاد الشام واستيلائهم عليها، فتهدم قسم كبير من أبنيتها، كما تهدم قسم من أبنية اذرعات وذلك في سنة/613م/[3]، وكانت غزة من المواضع الأخرى المهمة عند أهل مكة ويثرب، لأنها كانت المورد الأخير لتجار هاتين المدينتين على البحر الأبيض، وكانت من المواضع التابعة للروم، ترد إليها السفن الواردة من بلاد الروم وموانئ إيطالية ومصر ولبنان، فتفرغ ما

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص 653.

2 -Hastings. P 102.

3- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، 3/672.

لديها من تجارة ويشتري أصحابها ما يجدون في غزة من أموال، ولهذا صارت فرصة مهمة لتجار أهل الحجاز.

ومن سادات القبائل الذين انتقلوا من أرض كانت خاضعة للساسانيين إلى أرض كانت تابعة للبيزنطيين سيد قبيلة ذكره "ملخوس الفيلادلفي" في تاريخ وسماه "امرؤ القيس"، قال: ((إنه ان يقيم في الأصل في الأرضين الخاضعة لسلطان الفرس، ثم ارتحل عنها، ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس، وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين العرب Sarocens المقيمين في الأرضين الخاضعة للروم، وتوغل في المقاطعة العربية حتى بلغ البحر الأحمر، واستولى على جزيرة ابو تابا، وهي جزيرة مهمة كان الروم قد اتخذوها مركزاً لجمع الضرائب إن المراكب الآتية من المناطق الحارة أو الذاهبة إليها فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً، فلما استولى على تلك الجزيرة، طرد الجباة الروم، وصار يجبيها لنفسه، فاغتنى، كذلك حصل على ثروة عظيمة من غنائم غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة والواقعة في العربية الحجرية وأعالي الحجاز والأرضين الخاضعة لسلطان الساسانيين))[1].

وأراد "امرؤ القيس"، بعد أن بلغ من السلطان مبلغه، الاتصال بالروم، والتحالف معهم، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم في المقاطعة العربية، فأوفد رجلاً من رجال الدين اسمه "بطرس" إلى القسطنطينية يعرض رغبته هذه على القيصر "ليو"، فلما قابل هذا رجال البلاط، أظهر لهم أنه يريد الدخول النصرانية، فأظهر القيصر "ليو" رغبته في مقابلة "امرؤ القيس" للتحادث معه، فقصده "امرؤ القيس"، فاستقبله استقبالاً حسناً، وعامله معاملة طيبة، وأجلسه على مائدته، ومنحه لقب

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص654.

Patrician، وجالس رجال مجلس السنات Senate، فأدى ذلك إلى استياء الروم من سياسة القيصر هذه مع رجل مشرك، ولكنه بيّن لهم أنه يريد تنصيره بذلك، وإخضاعه لسلطانه.

ولما قرر العودة أعطاه القيصر صورة ثمينة وهدايا نفيسة، وحث رجال مجلس الدولة أن يمنحوه هدايا سخية، ثم منحه درجة عامل Phylarch على الجزيرة وعلى جميع ما استولى عليه وعلى أرضين أخرى جديدة لم يكن قد أخذها من قبل، إلا أن الروم لم يرتاحوا من هذه المعاملة، وانزعجوا من إسراف القيصر في إكرامه ومنحه تلك الأرضين، ولا سيما تلك الجزيرة التي استرجعوها بعد ذلك بمدة ليست طويلة وفي مدة حكم القيصر أنستاس[1].

ويظهر من تاريخ تيوفانس إن هذه الجزيرة كانت في سنة/490م/في أيدي الروم استولى عليها حاكم Dux على فلسطين بعد قتال شديد[2].

ويدل خبر هذا المؤرخ على أن الروم انتزعوا هذه الجزيرة من "امرؤ القيس" أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء "امرؤ القيس" عليها، ولعلهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على آثر نزاع نشب بين أولاده وورثته، أضعف مركز الإمارة، فانتهز الروم هذه الفرصة، وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك.

وإذا كانت هذه الجزيرة، قد كانت في جملة أملاك الروم في سنة/490م/كما يدعي "ثيوفانس" ذلك، وجب أن تكون استعادة حاكم فلسطين لها في أيام القيصر

1–Malchus of Philadelphia, Byzantiaka, 1: ed. K. Muller, Fragmenta historicorum graecorum IV ,Vol 4, Paris, 1951. PP112.

2–The orphaned chronographic, P121. Musil, Hegaz, P 307.

زينو–زينون Zeno الذي ولي الحكم من سنة/474–491/م، أما سنة/491م/فقد انتقل فيها الحكم إلى القيصر "أنسطاس" [1].

وكان "امرؤ القيس" المذكور سيد قبيلة سماها المؤرخ ملخوس الفيلادلفي نخليان ويظهر أن هذا الاسم هو النخيلة[2] موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره ملخوس من أنه كان في أرض في سلطان الفرس[3] ولم يذكر ملخوس الفيلادلفي أسماء الأرضين التي كانت في حكم "امرؤ القيس"، ويرى موسل أن هذا الرئيس كان ينزل في بادئ الأمر مع قبيلته في الوديان والحجيرة أيام كانت علاقته بالفرس حسنة، ومن الحجيرة هاجر مع قبيلته إلى دومة الجندل، ومنها توسع فاستولى على أرضين من فلسطين الثالثة palestina Tertie وهي العربية الحجرية.

ثم استولى على جزيرة Iotabe، وهي على رأيه تاران–تيران[4] وذكر "ياقوت" أن سكانها قوم يعرفون بـ بني جدان[5].

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة Ainu التي ذكرها "بطليموس" [6] أخذت تسميته هذه من حنو–حاينو الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط[7].

1–Runciman Byzantine Civilization, P 301.

2– ياقوت الحموي: معجم البلدان، 276/8 وما بعدها.

3–Blau, in ZDMG. 22, 1868. S. 578.

4–Musil Hegaz. P 306.

5– ياقوت الحموي: معجم البلدان، 352/2.

6–Ptolemy, VI. 7. 43.

7–Musil, Hegaz.P 307.

و"امرؤ القيس" هذا، هو مثل واحد من أمثلة عديدة على سادات قبائل راجعوا البيزنطيين لاستمداد العون منهم، وللحصول منهم على اعتراف رسمي بتنصيبهم رؤساء على الأعراب النازلين في ديار خاضعة لسلطانهم أو لمساعدتهم في مقارعة عرب الحيرة أو الفرس.

وقد ذكر أهل الأخبار أسماء رجال قالوا إنهم ذهبوا إلى الروم لهذه الغاية، وبعضهم ممن كان يقيم في أرضين بعيدة عن سلطانهم، والظاهر إن مثل هذا الاعتراف كان يكسب الرئيس قوة، ويمنحه منزلة ومكانة في تلك الأيام، وإن كان الروم على مبعدة من الرئيس وليس لهم حول مادي يقدمونه إليه.

ولا نجد في الموارد اليونانية أسماء من حكم من رؤساء القبائل في بلاد الشام بصورة منتظمة قبل الغساسنة، إلا أن الإخباريين يذكرون أن الغساسنة لما جاؤوا إلى بلاد الشام من اليمن بعد انتقاص العرم، وجدوا الضجاعمة قد ملكوا البلاد قبلهم، وهم آل سليح بن حلوان، وهم من قضاعة، فقاتلوهم وأخذوا مكانهم ولا بد أن يكون الضجاعمة قد سُبقُوا بغيرهم ممن لم يقف أهل الأخبار على أسمائهم، فقد كانت القبائل تهاجم إحداها الأخرى، فتأخذ مكانها، ولا يستبعد أن يكون الضجاعمة قد انتزعوا السلطان من قبائل أخرى.

إن حدود الإمبراطورية البيزنطية الجنوبية مع العرب، لم تتغير ولم تتبدل تبدلاً محسوساً عما كانت عليه في زمان الرومان، وهي بصورة عامة الحدود الجنوبية للمقاطعة العربية. وكانت لهم الجزر المقابلة للمقاطعة العربية في خليج القلزم، وقد اتخذوها مراكز لجباية الضرائب من أصحاب السفن ولحماية البحر من لصوصه مثل جزيرة Iotba، ولم يشر أحد من المؤرخين المعاصرين للبيزنطيين إلى تقدم الروم أكثر من ذلك في جزيرة العرب.

وكان للبيزنطيين بعض المرافئ على سواحل البحر الأحمر، منها ميناء كليزما Clysma وهو القلزم ويقع على مسافة قليلة من السويس، تأتي إليه السفن محملة ببضائع الهند وبالسلك وبالمواد الأخرى المستوردة من السواحل الإفريقية والعربية الجنوبية وبه يقيم، الوكيل التجاري الذي عليه مراقبة سير السفن والتجارة، ووضع التعليمات لتنظيم التجارة البحرية، وعرف بـ logothete في نهاية القرن الرابع للميلاد[1].

وكانت تجارة الحرير، من أهم المواد المطلوبة في أسواق البيزنطيين، وقد كان الساسانيون قد احتكروها تقريباً، وعبثاً حاول الإمبراطور "جسيتنان" تحطيم ذلك الاحتكار، وأخذه من أيديهم بالتوسل إلى "نجاشي" الحبشة، لإرسال سفنه إلى سيلان ولشراء السلك منها، ومنافسة التجار الفرس الذين كانوا قد سيطروا على تجارة هذه المادة المستوردة من الصين إلى هذه الجزيرة، فكانوا ينقلونها إلى بلادهم، بل إلى القلزم وأيلة وموانئ أخرى وأسواق تابعة للبيزنطيين، فيربحون من هذه التجارة ربحاً حسناً[2].

وكان القيصر "يوسطنيان"/527 – 567م/[3]، قد نصب "أبا كرب بن جبلة"، كما يقول المؤرخ "بروكوبيوس"، عاملاً، أي فيلاركا على عرب سرسينس Saracens فلسطين، وكان "أبو كرب" كما يقول "بروكوبيوس"، رجلاً صاحب مواهب وكفاية، تمكن من حفظ الحدود ومنع الأعراب من التعرض لها، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم، كما كان شديداً على المخالفين له، وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين وهي أرض واسعة تمتد مسافات شاسعة في البر

1–Bury. II. 318.

2–Bury II. PP 320.

3– Runciman Byzantine Civilization. P 301.

ليس بها غير النخيل، وقد قدمها هدية إلى الإمبراطور، فقبلها منه، وعدّها من أملاكه، مع أنه كان يعرف جيداً أنها فيافٍ وبادية لا يمكن الاستفادة منها، ليس فيها غير النخيل، وليس لهذه النخيل فائدة تذكر ويجاور عربها عرب آخرون يسمون معديني-مديني، وهم أتباع لـ حمير [1] Homeritae.

وهذه الأرض التي حكمها "أبو كرب بن جبلة"، هي الأرض التي حكمها "امرؤ القيس" سابقاً نفسها، ويظهر أن الروم لم يتمكنوا من ضبطها ومن تعيين حاكم بيزنطي عليها فاضطر إلى الاعتراف بالأمر الواقع، فثبتوا "أبا كرب" في مكانه، واعترفوا به اعترافاً رسمياً عاملاً على هذه المنطقة التي تقع في جنوب أرض الغساسنة، وفي الأردن وأعالي الحجاز.

ويظهر من ذلك أيضاً أن "أبا كرب" كان عاملاً مستقلاً بشؤونه عن الغساسنة، وتكون بذلك أمام إمارتين مستقلتين[2].

وإذن يكون "أبو كرب" من المعاصرين للحارث بن جبلة ملك الغساسنة.

وقد كان حكمه قبل السنة/542م/بدليل إرساله رسولاً إلى أبرهة لتهنئته عند ترميمه سد مآرب الذي أنجز في هذه السنة.

إن اسم "أبو كرب بن جبلة" يثير فينا الظن بأن هذا الرجل كان من آل غسان، فهذا الاسم هو من الأسماء التي ترد بكثرة عندهم. وقد يحملنا على تصور أنه كان شقيقاً للحارث بن جبلة، لكن لا نستطيع الجزم بذلك، لسكوت الموارد السريانية واليونانية عن التصريح بذلك أو التلميح إليه.

لقد كرّ الفرس على الروم فطردوهم من اليمن في حوالي سنة/575-595م/وصارت اليمن من سنة/575م – 595م/حتى الفتح الإسلامي مقاطعة

1-Pracopius, I, XIX, 8- 16.P 180-181, Giaser, Mitt. S, 437. S-78-79- SeP

2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج2، ص659.

تابعة للساسانيين[1] وقد أصيبت مصالح البيزنطيين بأضرار بليغة من هذا التحول السياسي العسكري، وأصيبت بضرر بليغ آخر كذلك في أيام "كسرى برويز"/590 – 628م/شرايين التجارة العالمية المهمة، والبيزنطيون وأن استعادوا ما فقدوه في مصر وبلاد الشام بعد مدة قصيرة فعاد الساسانيون إلى مواضعهم، إلا أن الحروب المتوالية كانت قد أنهكت الطرفين: البيزنطيين والساسانيين، وأضرت بالوضع الاقتصادي، وجعلت الناس يتذمرون في كل مكان من سوء سياسة الإمبراطوريتين، ويودون التخلص من الفرس واليونان، لذلك لم يكن من المستغرب سقوط الأرضين التي كانت خاضعة لهم بسرعة مدهشة في أيدي المسلمين.

ولما وصلت الجيوش الإسلامية بلاد الشام، رحب أهلها بصورة عامة بها.

وقد نظر البيزنطيون إلى الإسلام على أنه نوع من أنواع الآريوسية Arrionism المنسوبة إلى الكاهن "آريوس" المتوفي سنة/336م/، أو أنه مذهب من المذاهب النصرانية المنشقة عن الكنيسة الرسمية، وقد تعوّد على سماع أخبار وقوع الانشقاق في الكنيسة، وظهور مذاهب جديدة[2]، لهذا لا يستغرب ما أظهره أساقفة بلاد الشام من تساهل في تسليم المدن إلى المسلمين. وما بدر من القبائل العربية المنتصرة من تعاون مع المسلمين في طرد البيزنطيين عن بلاد الشام[3].

1– Stuhlmann S. 14, Phillips. P 223.

2–Vasitiere: L'histoire de l'Empire byzantin, 279, Fr. Mstark ,Rome. P 388

3–Dfehi and. G. Marcais, Le Monde Oriental, Paris. 1936. P 104. Fr. Slark Rome,P 388

هي عربية اللحمة والجبلة والمحتد والنجار، تقع في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية وعرفت عند اليونان والرومان بالعربية الحجرية[1].

قيل إن أصلهم آرامي ثم هربوا، وهو خبر ذو دلالة عميقة بعد أن أدركنا في أكثر من مظنة انصهار الآراميين بأبناء عمومهم العرب والرأي سائد أن النبط عرب قبل سائر العرب بدليل أن أسمائهم عربية خالصة وأنهم يشاركون العرب في عبادة الأصنام وبدليل تلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي "يوسفوس" كلمة العرب على النبط[2] ورد في نص لأشور بنبال كلمة نباطي، ويقال إنهم المقصودون من ذلك[3].

نبغوا بالتجارة يسبب موقعهم الهام لا سيما ثغرهم غزة التي هي ميناء العرب أجمعين[4] امتزجوا ببني إرم، فاكتسبت لغتهم الرطانة، فعيب عليهم ذلك مقارنة بالفصحى، وهذا ما نفهمه من قول سيدنا عمر: ((تمهدوا ولا تستنبطوا)).

ومع ذلك فهم أقرب إلى قريش من الجنوبيين، لأنهم يشابهونهم في أسماء والآلهة وخطهم قريب من خط كتبه الوحي، ويقال إن خطنا مأخوذ من خطهم، وأما خطهم فهو القلم الآرامي، كما يتضح من الكتابات التي عثر عليها في: بطرا-

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2 ص623.
2- المرجع السابق، ج3، ص5.
3- المرجع السابق، ج3، ص9.
4- المرجع السابق، ج3، ص11.

الحجر- العلا- تيماء- خيبر- صيدا- دمشق- صور- اللجاة- طور سيناء- مصر- إيطاليا[1].

امتدوا إلى دمشق وسهل البقاع بقأت – لبنون والأقسام الجنوبية الشرقية من فلسطين وحوران وأدوم ومدين إلى ددن، ثم سواحل البحر الأحمر، والأقسام الشرقية من النيل، بل لقد أطلق "يوسفوس" اسم النبطة على المنطقة الممتدة من نهر الفرات وحدود الشام إلى البحر الأحمر، كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة بفضل اشتغالها بالتجارة موقعها الممتاز الذي تلتقي عنده طرق تجارية برية إليها يصل طريق الموازي للبحر الأحمر ومنها يتفرع إلى مصر والشام وغرناطة والمدن الفينيقية[2] واستخرجوا الإسفلت من شرق البحر الميت ونقلوه إلى مصر لاستعماله في المواصلات، وربحوا الأموال الطائلة كما استخرجوا النحاس والحديد، ونظموا مدنهم مستفيدين من الهلينية، فحولوا مدينتهم الصخرية إلى مدينة حديثة، ثم نقلوا الهلينية إلى العربية الجنوبية، حيث عثر في جولان على آثار تشبه الآثار النبطية المتأثرة بالهلينية[3]، تعاورت السيطرة على البحر الأحمر بينهم وبين البطالة، وإن كان "بطليموس" تيلاد لقبوس يسترد هذه السيطرة، ويبني عدة مدن على البحر الأحمر وأهم ملوكهم الحارث ارتاس الذي أصبح أسمه علماً على الملك العاهل، كما رقى كلمة فرعون وقيصر والنجاش، حتى إنه طرد "بابسون" من يهوذا، واستولى عليها[4] كما إن ملك المكابيين تنازل لملك

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3،ص5.
2- المرجع السابق، ج3، ص20.
3- المرجع السابق ج3، ص19.
4- الفصل الخامس من أشعار المكابين.

النبط "عبادة" عن مؤاية وجلعاود لأهل جلعاود من العرب[1]، سبق للحارث أن حاصر القدس بجيش قوامه خمسون ألف مقاتل.

واضطر إلى فك الحصار بعد إنذاره من قبل القيصر بومبيوس[2]، كما أن "الحارث الرابع" أدخل فريق من حكم النبط، في أيامه دونت الكتابة المعروفة بـ REV. EPig. 110s وهي من الكتابات النبطية في الحجر أي مدائن صالح سنة 38م[3].

بلغ من قوة الأنباط أنهم تغلبوا على كليوبترا في Actum وبنوا مدينة Aurata الحوراء على البحر الأحمر، عثر على نص أرخ في شهر نيسان من السنة التاسعة من حكم حرثتا بيرح نيسن شنت نشع لحرثتا ملك نبطوا ومنوتو "مناة" ورد فيه اسم الإله ذي الشرى ومنوتو- مناة[4]، وليلاحظ القارئ مدى التشابه بين لغة هذا النص وعربيتنا.

وعثر على نص في بطرا يعود إلى شهر طبت من السنة التاسعة من التقويم النبطي جاء فيه ما يلي: ودلات – حرم – وهب اللاة- ذوشر- هبلو- منوتو- اللت.

وعثر على نص آخر كتب في شهر شباط من السنة الثالثة عشرة من التقويم النبطي وقد جاء فيه: كهلن- علي- سعدالله- حميد- حوشب- حلف- حليمة- تيم الله- عمرت عميرة وليلاحظ القارئ الأسماء كما يلاحظ إسمي شهر شباط ونيسان.

ولقد عثر على كتابات تؤكد أن اليهود دونو بالنبطية، وكان ملوك الأنباط يلقبون بألقاب غريبة من ألقاب ملوك اليمن مثل: رحم عمه أي الملك الرحيم بشعبه[5] وكان

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3،ص26.
2- المرجع السابق، ج3، ص45.
3- المرجع السابق، ج3،ص32.
4- المرجع السابق، ج3، ص41.
5- المرجع السابق، ج3،ص53.

للنساء دورهن بدليل أن النقود كانت تضرب بأسمائهن، مثل "شعتيلت" أخت ملكة نبطوا و"شعتيلت" أمه ملكة نبطوا، وأحياناً يضرب رأس الملك ورأس الملكة، ولقد برعوا في نقش ونحت صور الكروم، لأنهم كانوا مولعون بالخمرة[1].

وعاصمة هذه الدولة البطرا، وهي تقع على شريان التجارة في العالم القديم، وكان اسمها هو سلع، أي الصخر، وهي تقع على شريان التجارة في العالم القديم، وكان اسمها هو سلع، أي الصخر في الآرامية، وأطلق عليها اسم يقتيل، أي الخاضعة لله[2]، ولقد أشرنا سابقاً أن النبط ساعدوا الرومان في الحملة التي قادها "غالوس" على اليمن وفشل فيها فشلاً ذريعاً.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص52.
2- المرجع السابق، ج3، ص38.

مملكة عمون

عاصمتها عمون عاشت في القرن الثالث عشر إلى السادس عشر قبل الميلاد كتب لها بقلم قريب من المسند ومن الخط اللحياني والثمودي والصفوي ومن مدنها أذرعات – بصرى- جرش، وقد تعبدوا الآلهة العربية، كما يتضح من الحصن الذي عصر عيه في أم الرجوم شمال عمان، وجدت في أذرعات والمحفوظة حالياً في المتحف البريطاني[1].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص54.

واحة في قلب بادية الشام منذ العصر الحجري القديم، وأول إشارة تاريخية إليها في مطلع الألف الثاني ق.م، وذلك على رقم آشورية بابلية، وقد سكنها في ذلك الوقت العموريون ثم صارت في أواخر الألف الثاني ق.م للآراميين الذين اختلطت بها القبائل العربية بالتدريج[1].

كتب عنها الكثير الآشوريون، وبني إرم واليونان واللاتين والعبرانيون، وأغلب أهلها عرب، وإن كانت كتاباتها آرامية ممزوجة بالمصطلحات العربية لأن الآرامية كانت لغة الثقافة[2].

كان لها طابع هيليني وروماني، ومع ذلك فقد بقيت تدمر مملكة شرقية يحج إليها الأعراب بصفتها مركزاً دينياً هاماً[3].

تكدس فيها الذهب، ومظهر ذلك الأعمدة المرتفعة القائمة على جانب الشارع الكبير وقوس النصر عند المعبد الكبير، وكان لذلك انعكاسه على الوضع الاجتماعي وذلك بظهور مفهوم أو زعيم القافلة زعيم السوق.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3،ص144.
2- المرجع السابق، ج3، ص144.
3- المرجع السابق، ج3، ص84.

كان لها مجلس شيوخ لسن القوانين وإدارة تشبه الإدارة اليونانية قوامها مجالس محلية، والأمر نفسه بالنسبة للقضاء والسلطة التنفيذية[1].

برزت هذه المملكة على إثر الحروب، كما كان لسقوط البتراء دور كبير في ذلك[2] وكان ذلك على يد أسرة الصميدع، ومن أهم رجالها "نصرو" جد "أذينة" و"ذهب اللات حيران" والد اذينة الذي كان على رأس مجلس المدينة رئيس تدمر، وقد اشترك مع "سيتموس" في الحروب ضد الفرس حتى يسمي "سيتموس حيران"، أما "أذينة" فكان عضواً في مجلس الشيوخ، ثم ملكاً عام/250/م.

حمل "أذينة" مثل أبيه لقب: Sinotor فلقب قنصل، ثم "مرن" أي الأمير[3] وأخيراً سمى ملك العرب، حسب رواية المؤرخ "ملاكو" النون هي أداة تعريف حرر الجزيرة الفراتية من الفرس، فاستقبله الأهلون استقبال المحررين، وفتح حران ونصين[4]، وحاصر "طيسفون"، وكاد أن يأسر ملك الفرس "سابور" لولا نصب قيصر جديد عدو لأذينة.

قبض على أحد المرازبة فأعطى لقب إمبراطور الشرق الشام والجزيرة وآسيا الصغرى وضربت النقود باسمه على هذا الأساس[5].

قتل غيلة في حمص فخلفته زوجته الزباء وصية على ابنها "وهب اللات"، فبهرت العقول بحزمها وإرادتها وتفكيرها وبلاطها الذي ضمن الفلاسفة والمؤرخين والكتاب واللغويين[1].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص89.
2- بهجت المعرفة: موسوعة علمية مصورة مترجمة إلى اللغة العربية عن موسوعة، الصادرة عن دار ميتشل بيزلي، سنة 1977، ص277.
3- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص29.
4- ليلاحظ القارئ الروح الوطنية ضد الفرس.
5- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام - التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - والسياسي، ص346.

انتصر المصريون على الروم فطلبوا مساعدة الزباء، فأيدتهم بجيش

انتصر المنصور على الروم في معركة بابليون، ولم تعد تظهر صورة إمبراطور الرومان وحل محلها صورة "وهب اللات" متوجاً بالإكليل رمز الأباطرة، وقد كتب عليه: الإمبراطور "قيصر وهب اللات"، كما أن الوالدة حملت لقب أغسطس[2].

احتلت الأناضول ووصلت إلى البوسفور، مسيطرة الطرق المؤدية إلى روما[3]

وهكذا هب القيصر "أورليان" ليتدارك هذا الزلزال فأمن حدود الإمبراطور واستعاد مصر وحمص وأنذر "الزباء"، وكان جوابها: في المعركة كل شيء يحسم بالشجاعة، ألا تعلم أن كليوباترا آثرت الموت على الذل[4].

قررت الذهاب بنفسها إلى الفرس بطلب المساعدة، إلا أن العدو قبض عليها والذي له دلالته فرح اليهود لمأساة الزباء، كما يتضح من قول الحبر الكبير: ((سعيد من يدرك نهاية تدمر))[5].

وقول الحبر آشه: ((ترمود مثل ثمود شيئان لأمر واحد))[6]، ما مغزى تلك الكراهية لهاتين العربيتين وغيرهما مما سبق الإشارة إليه؟؟.

من أسباب هذه الكراهية المجتمع الجديد في تدمر القائم على النصائح بين القوى الوطنية المختلفة، حيث ترجم إلى نظام الزواج المختلف خلافاً لاستكبار اليهود،

1- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ص343.
2- المرجع السابق، ص343.
3- المرجع السابق، ص343.
4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص109.
5- المرجع السابق، ص109.
6- المرجع السابق، ص114.

منوهين بأن الوطنين في مسرهم الذين طالبوا الزباء باحتلال مصر[1]، وهذا يؤكد أن أبناء هذا الوطن كانوا في فندق، والمستعمرون الفرس والرومان في فندق آخر.

آلهة تدمر عربية وقلبها آرامي، أما العربية فهي: شمس – بل بعل- برج بل هجل بل – إلت اللات – رحم – رحيم- أشتر عشتر ملك بل- عزيزر- سعد- بل يمن، أي بعل السموات ورب السموات[2].

قبور تدمر تشبه القبور في أطراف الشام والعراق وحمص والرها والحضر وبطرا، الأمر الذي يجعلنا نتكلم عن هذه القبور العربية، ومما له دلالته بالنسبة لهذا المجتمع الجديد في تدمر أنه يقوم على القيصر العربي وعلى شقيقه الآرامي في صينة تركيبية متألقة كونت متحداً اجتماعيا يشبه ما حدث قبل الإسلام، وهو الأمر الذي لا يرضي اليهود الذي أطلقوا على هذه الشعوب بني الشرق أو بني قديم وأحياناً، مقيمين الحواجز بين هؤلاء وبينهم.

ويضيف "الدكتور شفان العبد الله" في كتابه **لونجين والجرجاني** عن حقيقة هامة في تاريخ تدمر، هي أن "لونجين" وزير الزباء ولد في حمص، وتعلم في الإسكندرية وكان صديقاً للفيلسوف "فورفويوس" صديق أفلاطون مؤسس الأفلاطونية الحديثة كان "لونجين" المذكور معلماً للبلاغة في أثينا، لكنه انتقل إلى بلاط تدمر معلماً ومربياً ومستشاراً، حيث تأثر بالشعر العربي الذي كان يلقي في بلاط "الزباء"، ثم قام بتطبيق مبدأين منه على الأدب اليوناني والروماني، الأول هو شعر البيت الواحد والثاني هو الحبور الذي ينبع منه خلافاً للانفعال الأرسطي القائم على مبدأ التطهير المعتمد على مبدأ الإثارة العاطفية لكل من الخوف والرحمة والشفقة[3].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص131.

2- المرجع السابق، ص135.

3- صحيفة الاتحاد 2000/4/27- مقال بقلم نضال بلال موسوم بعنوان لونجين والجرجاني.

ونترك للقارئ تقدير الدلالة العميقة لهذه الحقيقة سواء لأهمية الأدب العربي أم للعمق التاريخي له...

ويكشف "الدكتور عمارة" عن دور الحضارة التجارية في هذه الدولة، فقد بلغت من الأهمية الأمر الذي حدا مجلس الشعب أن يقيم تمثالين لكل من رئيس القافلة ورئيس السوق، كما عثر في كتابة أثرية من سنة/258/م على إثر يعتبر أنه قد قامت بها نقابة للصاغة، كما اكتشف المنقبون بين أطلال هذه الدولة بقايا سد بين تلين طوله ربع ميل[1].

وبالحملة فإن من تذكر ثقافة هي خلاصة عدة ثقافات: عربية وآرامية ويونانية ولاتينية[2] هذه مواصلات تتصل بالعراق وما يتصل بالعراق من أسواق إيران والهند والخليج والعربية الشرقية وأسواق البحر المتوسط لاسيما ديار الشام ومصر كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها القبية بأموال إفريقيا والعربية الجنوبية والهند/81/ولضمان سلامة قوافلها أرسلت حراس معها وأي انتشار مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة في البادية/82/.
ألّف أذينة قوة من القوات الراكبة لمحاربة أعدائه جهزها بأسلحة واقعة من دروع ومن صفائح من المعدة يلبسها الناس من أعلى رأسه إلى أسفل قدمه كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية[3].

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين أما أطرافها فكانوا أعراباً ورعاة/83/بالرغم من الطابع الهليني إمرة كانت مدينة شرقية/83/.

1- د. محمد عمارة: فجر اليقظة القومية، ص28.
2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص80 وانظر
Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palimyrischen Inschriften.
3 –Die Araber II. S, 259.

كان فيها جالية يهودية شرحت إليها للإتجار وقامت بأعمال النشر/83/و/84/قرار المدينة يظهر من المباني الجميلة المثقوبّ والهياكل والأعمدة المرتفعة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير في مسافة/1240/باردة/84/زعيم السوق[1]، وكان قد استولى عليها "تغلت فلاصر الأول"/1117 – 1080 ق.م/، وهذا ينفي أخبار اليهود من بناء سليمان لها/85/.

واستولى عليها "الاسكندر الكبير" وفي عهد الإسكندر ظهر اسم تدمر الأجنبي أي باميرا palmyra بين اليونان واللاتين[2].

وحاولت أن تقف حياز بين الفرس والرومان وتمكنت من ذلك وكان من مصلحة الدولتين وجود هذا المعزل ليتمكن تجار الدولتين من التسوق فيه[3].

حاول القائد الروماني "مرفس انطوينوس" سنة/41ق.م/الاستيلاء فانتصر عليه التربويون جواد/86/.

وفي أيام القيصر طبريوس 14-17م كانت المدينة تحت حكم الرومان وجواد[4]/86/.

والحقيقة أن هذه التبعية للرومان كان إشرافاً عاماً أما الإدارة بأيدي أهل المدينة[5].

عثر فيها على كتابة مدونة سنة/137م/أشياء تخص التجارة أصدرها مجلس سادات المدينة لتنظيم التجارة وتثبت الضرائب وكيفية الحياة: الطبري 1/742 –

---

[1]–British Encyclopedia, 17. P142.

2 –Agnes carr Vaughau. P 7 Neru fork, 1, O Gr..

3 –Freya stark: rome on the Euphrates, P 242, Near yale 1967.

[4] –Cook, P 371.

[5]–British Encyclopedia, 17, P 162.

طبعة ليدن ولقد نالت تدمر درجة مستعمرة رومانية عليا فاكتسبت الإعفاء من الخراج والحرية الكاملة في إدارة المدينة ونالت الحقوق الإيطالية Calania juris italie جواد/88/أي أنها مستقلة وتحكم شكلياً لحكم الرومان جواد/88/.

استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فريقاً وفرقاً لحماية العراق في البوادي فأودعوا أمر الدفاع عن دورا إلى الكردوس التدمري العشرين وتركوا مهمة حراسة الفنادق التي أقامها الرومان على العراين[1] إلى كراديس الرماة التدمريين لحماية القوافل.

وقد تأثرت تدمر بالأصول اليونان والرومان في إدارة الحكم فكان للحديقة مجلس شيوخ له سلطة سن القوانين والتشريع.

وتجمل التدمريون بأسماء رومانية وضعوها في مقدمة أسمائهم[2]، تمكن "أذينه" من تثبيت حكم أسر به ومن الهيلينية على شؤون المدينة وتوسيع تجارتها فاكتسبت منزلة كبيرة ورافق سيتموس سويروس/193-211م/في حروبه مع الفرس ولقب نفسه بـ"سبيتميوس فصاراس – سبتيموس حيران"[3] وكان يحمل لقب من مجلس الشيوخ الروماني Die Aroher – 11, S. 252 وقد لقب نفسه ملكاً حوالي/250/م.

المشرف: السنة الأولى ج13، 1898 ص 592.

وقد اغتاله الرومان لنفوذه جواد/92/، ولما توفي "سبتيموس حيران" خلفه" أذينه" على المدينة[4].

كان "أذينة" يحمل درجة متصل كما كان يحمل لقب مرن أي سيدنا وهو اللقب الذي يستعمله أهل تدمر/92/.

---

1 –R. Dussaue: Panalrotian des Arabes en Siria, 73.

2 –British Encyclopedia, P762.

3 –Die Aratar 11, S. 252.

4 –Die Araber 11, S. 252.

يرى معظم المستشرقين أن كلمة الحيرة من كلمات بني إرم، وأن كلمة حيرتا السريانية الأصل ومعناها المخيم والمعسكر[1].

وقد عرفت الحيرة في مؤلفات بعض المؤرخين السريان "الحيرة مدينة العرب"، وتعبير حيرة النعمان هو الشائع في المؤلفات العربية[2].

وعرفت في التلمود بـ "حيرتادي طيبا" أي معسكر العرب وحيرة العرب[3].

وذكر هذا الاسم في تاريخ "يوحنا الأفسوسي" من مؤرخي الغرب السادس للميلاد[4] وذكرها يسوع العمودي[5] كما ورد أسمها في المجتمع الكنسي المنعقد عام/410م/وكان عليها ذاك أسقف أسمه هوشع ووقع على القرارات باسم هوشع أسقف حيرته[6]. واشتهرت الحيرة بحسن هوائها وطيبه حتى قبل يوم وليلة بالحيرة خير من دواوسته[7].

---

1 –Encyclopedia, 11, P 314

د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص155.

2– المرجع السابق، ج3، ص156.

3 –j. obermemeyer. S. 234.

4 –John of Ephesus, 352, 10.

5 –Rothmsten, 5, 13.

6– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص157.

7– أبو القاسم إبراهيم محمد الفارسي **الإصطخري** المعروف بالكرخي: مسالك الممالك، ص82.

ونعتت في المؤلفات العربية بـ الحيرة الروحاء والحيرة البيضاء[1]، ولقد أدى ميلاد الكوفة في الإسلام إلى أفول بخيم الحيرة، بل استعملت حجارة الحيرة في بناء الكوفة[2].

ومن حسن الحظ أن حملة مؤلفات لاتينية ويونانية أشارت إلى عرب الفرس آل الخيم، كما أن المؤلفات السريانية لم تبخل علينا بذلك[3]. ويقسم الإخباريون أهل الحيرة عرب إلى طبقات ثلاث: تنوخ والعباد والأحلاف[4] وذكروا أن في لهجة أهل الحيرة هجته ورجعوا ذلك إلى اختلاط العرب بما كان يقدر إليهم[5].

وكان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة حذفوا العربية وتكلموا الفارسية وكانوا يتغنون لغة بني إرم بسبب تنصرهم ولهذا السبب اختار الفرس تراجمتهم من هؤلاء[6] أما الأحلاف فهم الذين لحقوا بالحيرة ونزلوا فيها ولم يكونوا بالأصل من تنوخ أو العباد[7] كما كان في الحيرة جماعة من النبط[8] وجماعات من الفرس واليهود[9] ولا شك أن العرب تأثروا بهذه الرطانة، فبدت على ألسنتهم والرطانة كانت تطلق على لهجة بني إرم وعرفت بالنبط عند المسلمين[10].

1- ياقوت الحموي: معجم البلدان، 376/3.
2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص159.
3- المرجع السابق، ج3، ص165.
4 -Die Araber, I. S, 268.
د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص166، حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص66.
5- ياقوت الحموي: معجم البلدان، 380/3.
6- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص271.
7- حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص66.
8- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، 61/8.
9- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص172.
10- علي بن الحسين الموسوي العلوي **الشريف المرتضى**: أمالي المرتضى، 177/1.

وكان للوثنيين من أهل الحيرة أصنام منها : اللات والعزى وسيدأ ومرق[1] وكان معظم نصارى الحيرة تتساطر وقد شجع الفرس هؤلاء بالروم، كما كانت هذه المدينة مركز هام للتشييد بالنصرانية بين العرب[2].

وعلى مقربة من مدينة الأنباط يقع نهر يمس الذي يصل الفرات بدجلة ويظن أن "الملك سابور الثاني" هو الذي أمر بحفره وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر أهمية عظيمة فصارت المدينة يفضله مركزاً تجارياً عظيماً[3] كما صارت أهم المواضع العلمية ليهود العراق في عهد هرمز الرابع/578 – 591م/الذي اضطهد اليهود وأمر بإغلاق مدارسهم فانتقل هؤلاء إلى الأنبار[4].

وتقع فوميدثيه بجوار الأنبار وتغني فم البداة، وكانت من أهم المراكز العلمية لليهود، حيث ساهم أحبارها في تدوين الثلمود[5].

وقد جاء اليهود إليها من فلسطين هرباً من الرومان الذين اضطهدوهم[6] حيث أسسوا مستوطنات مهمة في العراق منها هذه المستوطنة ومستوطنة نهر دعه وفي هذه المستوطنات دون التلمود البابلي الذي هو أهم أركان كتب التشريع اليهودي[7] وفي سنة/259م/جاء "بابا ابن نصر" إلى مدينة نهر دعه وخربها، فهرب بعض أحبارها إلى مواضع يهودية وكان أسمه نصرو والمرادية أحد أمراء الحيرة من آل نصر[8].

1– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص172.
2– المرجع السابق، ج3، ص172.
3– المرجع السابق، ج3، ص174.
4 –Die Araber.
5– د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص175.
6– المرجع السابق، ج3، ص176.
7 –J, Obormeyer. S, 278.
8 –J, Obermeyer s, 255.

من أهم ملوك الحيرة "مالك بن فهم" و"جذيمة الوضاح" أو "جذيمة الأبـرش" سمي بذلك لأنه كان أبرص[1].

وانتقل الملك بعد وفاة "جذيمة" إلى ابن أخته "عمرو بن عدي" [2].

ووصف "الطبري" "عمرو بن عدي" فقال عنه: هـو أول مـن اتخـذ الحـيرة منـزلاً مـن ملوك العرب وأول من مجده أهل الحيرة[3].

وتولى الملك بعد وفاة ابنه "امـرؤ القـيس"[4] ويظـن بعـض البـاحثين أن "امـرؤ القـيس" هـو الذي ورد اسمه مدوناً في نص التجارة ويفهم من نص التجارة أن "امرؤ القيس" كان قد بسط سلطانه على كل قبائل العرب أي الأعراب[5] وكتابة القمارة هي شاهد قبر ملك عربي يدعى "امرؤ القيس" عثر عليها سنة/328م/من موضع في جبل الدروز وقد دونت على مزيج الملك وتتألف من خمس أسطر.

1- في نفس امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر النبج.

2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب بدجمو عكري وجا.

3- بزجي في خيبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

4- الشعري ووكلهن مزسر لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- عكدي هلك سنة 223 يوم بكسلول بلعد ذو ولده[6].

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص179.
2- **المسعودي**: مروج الذهب ومعادن الجوهر، 2892.
3- الطبري: تاريخ الطبري، 627/1 دار المعارف.
4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص187.
5- المرجع السابق، ص 189و 190.
6- جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص203،رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام ص33.

وبلهجة القرآن الكريم تكتب ما يلي:

1- هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج.

2- وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذمجاً بقوته وقال.

3- الظفر إلى أسوار نجران، مدينة شمر وملك معداً وأستعمل أبناءه على.

4- القبائل ووكلهم لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- في القوة هلك سنة 223 يوم/7/بكسلول ليسعد الذي ولده.

وذكر "الطبري" أن "يزدجرد" المعروف بالأثيم/399-420م/واستخلف مكان "امرؤ القيس" ابنه "النعمان" وهو فارس حليمه وصاحب الخورنق[1].

وأول ملك تستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد[2].

والذي بنى الخورنق- هذا البناء العجيب- في مدة عشرين سنة هو "سنمار" ويقال إن "النعمان" قتله وهكذا قالت العرب: جزاه جزاء سنمار[3].

ويبدو أن الخورنق لم يكن بعيداً عن الحيرة أما مضر السدير فكان من وسط البرية التي بينها وبين الشام[4].

وجاء بعد "النعمان" ابنه "المنذر" ثم كان "عمرو بن هند" الملك المشهور على الحيرة والمعروف بشدة بأسه، وقد قتله الشاعر "عمرو بن كلثوم" من تغلب كما ترويه لنا الأخبار التاريخية المشهورة.

1- الطبري: تاريخ الطبري، 65/2 طبعة دار المعارف بمصر.

2- المرجع السابق، 65/2- ابن الأثير: 176/1.

3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1/2.

4- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص201.

وهنالك قوائم في حكام الحيرة اختلف الإخباريون حولها مثل القائمة المروية من "ابن قتيبة اليعقوبي، والمسعودي أو حمزة أو الخوارزمي" [1].

والمهم الإشارة إلى إن قيام المناذرة والغساسنة واستمرار وجودها كعمال بل وكأدوات في أكثر الأحيان في يد الفرس والرومان، وكان لذلك الدور الذي لعبوه والذي قدر لها أن يلعبوه نتائج هامة لجنة الخلافات المستمرة التي حدثت بين الطرف وحجمها وكثرتها واستمرارها وتكوينها سجلاً واسعاً شغل الشعبي وحفزه على الاقتتال الذي لا طائل منه إلا مصلحة السيد بن الفرس والرومان.

1- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص308 وما بعدها.

مملكة الغساسنة

تولى دفة هذه المملكة عرب عرفوا بـ «آل غسان وبـ آل جفنة وبـ الغساسنة وجاءت كلمة غسان من اسم ماء يقال له غسان ببلاد عك نزل عليه آل غسان من الأزد اليمن فلما أقاموا عليه وشربوا منه سموا غسان.

ويظهر من رواية الإخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة بحيلهم، ويدعون ب الضجاعمة[1].

وضجعم هو أحد العمال Phyloerch الذي نصبهم الروم على عرب بلاد الشام، وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد، وقد دخل هو وقبيلته النصرانية[2].

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الإسلام، وكانوا مثل سائر القبائل المستغربة ضد الإسلام، وقد وقفوا مع دومة الجندل في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد[3].

وزعم بعض أهل الأخبار أن اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضجاعمة هو يوم حليمة في الحرب التي نشبت ثارت بينهما وقالوا فيه: خذ من جذع ما أعطاك، كان لرئيس غسان أبنه جميلة يقال لها حليمة فأعطاه خلوقاً لتخلق به قومها، وانتصر الغساسنة فقالوا: ما يوم حليمة بسر.

1- حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص76.

2- د. جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج3، ص395.

3- الطبري: تاريخ الطبري، 378/3 خبر دومة الجندل.

والذي صح إطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة هو لقب بطريق Patrieius ولقب عامل أو سيد قبيلة مقروناً بنعت من النعوت، حيث نعت "المنذر" وقد ضم بعد "الحارث بن جبلة"- جبلة البطريق الفائق المديح ورئيس القبيلة "فلارخوس المنذر" والمنذر البطريق الفائق المديح وما ورد عن "الحارث" الحارث البطريق ورئيس القبيلة.

لا بل منح الامبراطور "جستيتان" "الحارث بن جبلة" لقب ملك ليقف في وجه "المنذر" ملك الحيرة.

لقد كان النصارى في سوريا من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ولذلك انتهز "المنذر الغساني" زيارته للقسطنطينية فسعى في إقناع رجال المضر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم ويظهر أنه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار/580م/لمعاضدة هذا المذهب والدفاع عنه، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين الكنسيتين، غير أن مكاسبه خابت وذهبت أدراج الرياح.

غزا المنذر أهل الحيرة دون أخذ موافقة الروم، الذين اعتبروا ذلك تحدياً لهم، وقد دبروا وليمه في القسطنطينية دعوا المنذر إليها، وهنالك اعتقل ثم نفي إلى صقلية.

وبعد حكم المنذر تصدع بناء الغساسنة وتفكك وانقسم الأمراء على أنفسهم وذلك حوالي سنة/583م/ويشير "بني نبل" السوري إلى أنهم انقسموا إلى خمس عشرة فرقة ومما زاد في الطين بلة أن الفرس اكتسحوا بلاد الشام عام/613م/، إلا أن الغساسنة تمكنوا من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك حوالي/629م/، إذ تمكن البيزنطيون من طرد الفرس سنة/629م/، إلا أن الأقدار حملت قوة جديدة هم الذين قرعوا أبواب التاريخ وأخذوا يدقونه بأيدي قوية جادة هادفة إرضاء الله وتحقيقاً لمصير الإنسان في العدل والكرامة.

لقد سمع "هرقل" بتجمع المسلمين في سوريا تبعث جيشاً في مستعربة الشام بقيادة جبلة بن الأبهم لمقاتلة المسلمين لكن المذكور انحاز إلى المسلمين تماثلاً: ((إخواننا وبنو عمنا))[1].

ومن جهة أخرى فقد رفع الله مكانة غسان وآل نصر المناذرة ومكن لهم في الأرض من أجل خلاص الإنسان ولكن المملكتين فكرتا بخلاص الأمراء أو القبيلة وسرعان ما انفرط عقد هذا الاساس عندما تخلى السادة عنهم الفرس والرومان وعبثوا بمبررات وجودهم، وكان لذلك تأثيره على الضمير العربي الذي رحب بالمنقذ الجديد تماماً كما كان موقف سكان مكة مع هذا المنقذ ...

لقد أنعم الله على قريش فأطعمهم من جوع وأمنهم من خوف فكانت هذه النعم تكديس الأموال وعبادة الأصنام، فما كان من النذير الجديد إلا أن قرع باب التاريخ بأيدٍ من فولاذ وقلب أرحم من قلب الأم على ولدها وهذا هو التأسيس الجديد والكلمة الخلاقة التي نطق بها لسان السماء في الأرض.

1- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ج2، ص338.

تقويمنا لإمارة المناذرة والغساسنة

يلاحظ القارئ أننا اجتزأنا الحديث الحدثي عن هاتين الإمارتين، وإن كنا نسجل على قيامهما الملاحظات الآتية:

1- كان لقضاء الفرس على الآشوريين نتائج بالغة على النمو القومي العربي في المنطقة، لذلك لم تنشأ حضارة عربية بالمعنى الصحيح تقوم على كيان عربي سياسي بالمعنى والدلالة والحضور الذي لاحظناه في الآشورية، هذا فضلاً عن أن الحضارة الفرعونية أخذت أيضاً بالتوقف عن النمو[1].

وتوضيح ذلك أن العراق هو الفاعل الجغرافي المهيأ من الوجهة الجيو بوليتكية والجيوسياسية والجيو اقتصادية للعب الدور الكياني العالمي، لذلك فقد سجل سقوطه ضربة قاصمة على الحضور العربي، وكان عليه أن يقف في وجه كيانين عالميين هما الفرس والروم، بما في ذلك من تعارض مع طبائع أشياء وموازين القوى العالمية.

2- ومع ذلك لم يفتأ الكيان العربي يتمخض عن الوثبة تلوا الأخرى في دفعات متتالية تعقد الأولى كما تلبث الأخرى أن تعقبها دون توقف أو انقطاع وبلاد الشام هكذا يؤكد الدكتور عمارة أن التاريخ شاء ألا تغيب عن الوجود دولة عربية ذات حضارة.

ظهرت دولة تدمر العربية أللت برزت دولتان عربيتان على مسرح التقدم والحضارة هما دولة المناذرة والغساسنة.

1- د. عصمت سيف الدولة: عن العروبة والإسلام، ص68.

3- لقد كانت الصورة التي انتهت إليها الحياة العربية والجمعة العربية في أطراف شبه الجزيرة العربية حتى القرن السادس الميلادي صورة عرب الجنوب في اليمن والنبط في الغرب وتدمر في الشمال وأخيراً المناذرة والغساسنة هجرات عربية تحدث ودول عربية تتكون وحضارات تنشأ، لكن النفوذ الأجنبي كان يصارع هذه الدول والحضارات، ثم ما يلبث الصراع أن ينتهي بانقضاء هذه الدول واحتواء هذه الحضارات في نهاية المطاف[1].

يضاف إلى ذلك تهليل العرب جميعاً لأي انتصار عربي، كما حدث لقواعد الوفود من شتى أنحاء الوطن العربي لتهنئة الملك ذي يزن على انتصاره

4- على الرغم من كل ذلك فلا يمكننا الحديث عن تجربة عربية ارتفعت إلى مستوى الأمة بل بقيت الأمور محصورة في إطار الطور القبلي، أو إطار الشعب كما هو الحال بالنسبة للمناذرة والغساسنة، وما بقي من سوريا وفلسطين ثم في مصر وغربا حتى شاطئ المحيط الأطلسي[2].

ومع ذلك فقد كان لهذه الضربات الاستعمارية آثر قوي في أحياء الضمير العربي، تجلى – تيما تجلى فيه- بانتصار ذي يزن كما قلنا- وبعام الفيل، ثم معركة ذي قار إضافة إلى تمخضات أخرى على الصعيد الديني، وذلك بنشوء حركة الاحناز، ثم على الصعيد التجاري والثقافي متجلياً الأمر في أسواق عكاظ ومجفة وذو المجاز إضافة إلى الأشهر الحرم لتأمين القبس الدينية وتسهيل التجارة وكان ذلاك ومثله كما سنحدد- قاد إلى توثبات وتمخضات هيأت للنبأ العظيم.

1- د. محمد عمارة: فجر اليقظة القومية، بيروت دار الوحدة ط3، 1998، ص34، واقرأ عوني فرسخ: جدلية الوحدة والتجزئة تاريخياً، مجلة المستقبل العربي العدد 236 لعام 1959، ص2.

2- د. عصمت سيف الدولة عن العروبة والإسلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1986.

وأخيراً يجب أن لا ننسى السياق النفسي والعقيدي الذي تم فيه هذا الحدث من قبل القرآن الكريم، لقد أقر له سورة سميت باسمه، كما لا ننسى السفن والقرشي لـ عبد المطلب جد الرسول ﷺ من أبرهة، تلك القصة التي تحفل مكاناً مرموقاً في وجداننا[1].

واضطراداً فالدكتور "عمارة" ينفي صحة الحديث الذي جرى بين عبد المطلب وأبرهة ثم يقول عبد المطلب لأبرهة أن للبيت رباً يحميه إذ أن قريش وكنانة وهذيل لم تتقاعس عن قتال "أبرهة" عندما دنا من مكة وإن هم رأوا أن لا تقبل لهم بهذا القتال، كما أراد وأتحاشى دمار حرمهم الآمن، الذي حرمت عقائدهم القتال فيه، وإن كانوا قد هموا بخوضه عندما دنت من ديارهم جحافل جيش الأعداء[2].

1- د. عمارة: فجر اليقظة القومية، بيروت، دار الوحدة، ط3، ص167.

2- المرجع السابق، ص35، وانظر عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ط1، ص35، طبعة القاهرة، سنة 1955، وهو ينقل عن ابن هشام.

معركة ذي قار

عرضنا للموجة العربية الثالثة وسياقها الحضاري الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وقلنا إنها تمثل هنا تاريخياً صعودياً- على الأقل من الناحية الاجتماعية- انطلاقاً من الموجة الأولى.

وعلى هذا فإن بلورة معلم هذه الموجة، واستكنا جوهرها وثقلها الجيو اقتصادي والجيو سياسي والجيو اجتماعي لا يتضح إلا بتحليل معركة ذي قار، على اعتبار أن هذه المعركة لا تمثل حدثاً حربياً بقدر ما تمثل ثقل وجود أمتنا في العراق، الأمر الذي حدا بعض المفكرين لدراستها تحت عنوان تشكيل اتحادات سياسية بين القبائل والتوجهات نحو وحدة العرب[1].

ولقد ذكرنا سابقاً التحدي الاستعماري للأمة العربية لا سيما من قبل الفرس والروم والأحباش، ويعتقد أن ذي قار تمثل التعبير عن والبلورة والمخاض، بل له الاستجابة الحية والفذة لهذا التحدي الذي عبر عن يقظة ضمير أمتنا وقد استجمع قواه واستنفر طاقاته في وقفة عز وكرامة، وكان هذا الاستنفاذ بمثابة البوتقة التي بدأت تنصهر فيها المشاعر القومية للأمة[2].

1-برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ص375.

2- د. عمارة: فجر اليقظة القومية، ص34.

المباشرة بهذه الحرب تكمن في رفض "النعمان بن المنذر" تسليم بعض نسائه رهينة للفرس، ثم استنجاده العرب، وكان هنالك اتجاهان[1]:

الأول: برئاسة "هاني بن قيصعة"، وقد رأس قوى الغلاة وعدم المقاومة.

الثاني: برئاسة الباسل المنظم الجماهيري الفذ "حنظلة بن ثعلبة العجلي"، فقد أحدثت آراؤه نهوضاً ثورياً وحماساً قومياً عاماً حتى على أصحاب الراي الأول[2] وكان وقود هذه المعركة القبائل الممتدة من الحيرة إلى نجد وهي: بكر بن وائل وطيء وتميم وعبس وتغلب[3].

1- الطبري: تاريخ الطبري، 610/1.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص266.

3- برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ص411.

العوامل التي أدت إلى النزوع القومي قبل الإسلام

وإذا كانت معركة ذي قار تمثل الاستجابة الخلاقة للتحدي الأجنبي، فهنالك استجابات أخرى بلورت التوحد والانصهار والمشاعر القومية.

وبيان ذلك أنه يعد أن كانت اللهجات القبلية تجسد تمزق الجماعة في ميدان اللغة، وتفقدها واحدة من أهم روابط الوحدة القومية، فقد أخذت اللغة العربية الأدبية الواحدة تنجو بمعدلات أسرع، وتستقطب إلى جانب مفردات لغة قريش، كل ما هو صالح من الثروة اللغوية بمختلف اللهجات، فكان نمو هذه اللغة الواحدة، التي أصبحت رباطاً مشتركاً ومتحداً ثمرة للتوجه نحو الوحدة، وأيضاً عاملاً سيؤثر في دفع عجل هذه الوحدة بمعدل أسرع إلى الأمام[1].

وبعد أن كانت المنازعات والحروب القبلية تمزق روابط الجماعات العربية، أصبح الاتفاق على تحريم القتال في الأشهر الأربعة الحرم بمثابة الهدنة التي أتاحت للعرب مناخاً سليماً تواصلت الروابط، فكان أن قامت أسواقهم التجارية الواحدة، ومركز حاجاتهم الأدبية بمكة في اتجاههم إلى البيت الحرام... وبمرور الزمن عادت الأشهر الحرم، بما قام فيها وأنجر خلالها – لتؤثر إيجابياً في عملية التقارب العربي، بعد أن بدأت مجرد ثمرة لهذا التقارب[2] وفي الجانب الديني، فعلى الرغم من أن الوثنية، وبالذات تعدد الآلهة، كانت تجسيداً لتمزق هوية المجتمع العربي وجهله، إلا أن الحج إلى البيت الحرام، بمكة جعل القبائل الحضر إلى البيت

1- د. عمارة: التراث في ضوء العقل، ص146.

2- المرجع السابق ص146، وانظر: محمد خالد عمر: الهوية وتفاعل العروبة والإسلام، ص150.

صوراً لآلهتها وضمها حول الكعبة وفوقها حتى تطوف بها عند طوافها بالكعبة، وبذلك أصبح يطوف بآلهة العرب، لا بإله قبيلته وحده، فكان ذلك خطوة إلى توحيد الشخصية العربية التي مزقها تعدد الأصنام[1].

هنا وستتأكد لنا في الدراسات المقبلة أن عدة أصنام كان تعبد من قبل أكثر من قبيلة ولقد كانت الروابط التي قامت بين حكومة مكة، برئاسة "عبد المطلب بن هاشم"، وبين اليمن التي حررها "سيف بن ذي يزن"، رد فعل للخطر الذي تفاقم من حول العرب، ومحاولة لحماية طريقة التجارة الذي كانت تسلكه القوافل إلى الجنوب وإلى الشمال في رحلة الشتاء والصيف من كل عام[2].

ثم لا ننسى التحالفات التي نشأت في الجزيرة العربية والتي دفعت إليها الضرورات الأمنية والتجارية من ذلك حلف الرباب ولعفة الدم وحلف الفضول ثم حلف قريش والأحباش.

وعلى الصعيد الديني برزت ظواهر التحالف على أساس قبلي مثل ظاهرة الحمس وظاهرة الأحناف[3]، لقد كانت هاتان الظاهرتان الإرهاص العقلي والخلقي والروحي لظهور الإسلام.

ويجب أن نضيف إلى كل ما ذكرناه أن النظم الإمبراطورية- وهي موحدة بطبيعتها- بما أقامته من مدة وطرق ووفرت من أمن واستقرار نسبيين، فحسب المجال واسعاً لحركة السلع والأشخاص والأفكار، ولقد حلت الآرامية كلغة ثابتة في مصر والمشرق العربي وبعض نواحي المغرب وتواصل تدفق عرب شبه الجزيرة

1- د. عمارة: التراث في ضوء العقل، ص146.

2- المرجع السابق، ص146.

3- ذلك لأن العرب مسلمون منذ سيدنا إبراهيم: قال تعالى: هو سماكم مسلمين.

على الهلال الخصيب ووادي النيل، وغلب على صراعات القوى المحلية فيما بينها التوجه نحو الاندفاع والتوحد، وليس باتجاه العزلة والتفتيت[1].

كان لتفاعل شعوب المنطقة وقبائلها من الأمم المتغلبة على أمرها محتومة بالتمايز على محاور السلالات التاريخية واللغة والثقافة وأنماط السلوك، وبما حلفت به قرون التسلط الإحدى عشرة من تبعية حضارية واضطهاد سياسي وتمييز اجتماعي وصراعات دينية ومذهبية، مما عمق حدة التناقص العدائي بين الطرفين وأبر يجوز اعتباره نزوعاً قومياً جسده الإحساس بالتمايز من الغزاة الأجانب، وعلى الرغم من طول المدة لم يندمج أي من شعوب المنطقة في إحدى الأمم المسيطرة أو يتخذ لغتها لساناً لنخبه وجمهوره[2].

وحقيقة الأمر فقد شهد القرن السادس الميلادي تحولات جذرية في الهلال الخصيب وشبه الجزيرة إذ قضى الساسانيون على كيان المناذرة، وصفى البيزنطيون الغساسنة، وزالت دولة كندة فيما استولى الأحباش على اليمن ويتأثر صراع فارس وبيزنطة وحلفائها الأحباش تنافست اليهودية والنصرانية في اقتحام شبه الجزيرة، حاولت بيزنطة وفارس التحكم في التجارة وبخاصة في المحيط الهندي فتمثلت الاستجابة العربية في بروز وعي سياسي وحدوي، جسده الاتجاه نحو الأحلاف، كما ظهرت الأحناف دعاة التوحيد، وتنامي الوعي الاجتماعي، وأخذت مكة تجهل دوراً مركزياً في ذلك التوجه، فيما قريش بزعامة ارستقراطية تجارية تمارس دوراً قيادياً في تشكيل الأحلاف القبلية الايلاف، وفي اتخاذ موقف

1- عوني فرسخ: جدلية الوحدة والتجزئة، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، لعام 1998، ص42.
2- المرجع السابق، ص43.

حيادي في صراعات بيزنطية وفارس من اتفاقات مع دول الجوار لتعزيز دور العرب التجاري، وتزامن ذلك مع اتضاح استكمال اللغة العربية وحدتها والاتجاه للتضامن في مواجهة العدو الخارجي[1].

وهكذا يبدو أن مرحلة التسلط الأجنبي، وإن عطلت النمو القومي لشعوب المنطقة، وأوقفت تطورها الحضاري المستقل، إلا أنها لم تعطل التوجه الوحدوي الذي تبلور خلال المرحلة السابقة، بل هي عميقة بحيث لا يجوز تسمية النزوع القومي الذي تجسد بالامتناع عن الاندماج بالآخر الوافد، مقابل بروز قدر ملحوظ من التفاعل المؤثر فيما بين شعوبها وقبائلها، ومقال الأبرز عليه الإيجابية على السلبية في تفاعلات الفينيقيين مع البربر على عكس علاقة البربر مع الفندال والرومان.

وليست العوامل الخارجية هي الرضّات والخضات التي وثبت المجتمع العربي في الجاهلية بل هناك مخاض محض داخلي يتعلق في جذر الاجتماع العربي المنشود المتصل بالتأسيس الذي أقامه سيدنا إبراهيم وبعده ابنه إسماعيل، ثم حملت رايته وجرهم من بعد إسماعيل، وأخيراً الإصلاح الذي أقامه قصي بن كلاب، ثم الخروج على هذا التأسيس والخبر الآتي الذي أورده "ابن اسحق" ينقل لنا مدى هذا القلق المصري، قال المذكور واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص فيهم أربعة نفر نجيا، وهم "ورقة بن نوفل"، و"عبد الله بن جحش" و"عثمان بن الحويرث" و"زيد بن عمرو بن نفيل"، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله

1- عوني فرسخ: جدلية الوحدة والتجزئة، ص43، وانظر خليل عبد الكريم: قريش من القبلية إلى الدولة المركزية، القاهرة، 1995، ص35.

ما قومكم على شيء، بعد إبطال دين أبيهم إبراهيم أما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، يا قوم التمسوا لأنفسكم فو الله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلد يلتمسون الحنفية دين إبراهيم[1].

ذو قار

وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط[2]. وبالقرب منه مواضع منها حنوذي قار وقرار وجبايات ذي العجرم وجذوان وبطماء ذي قار[3] ويقع حنوذي قار على ليلة من ذي قار[4].

يرجع الإخباريون سبب وقوع ذي قار إلى مطالبة "كسرى ابرويز" "هانئ ابن قبيصة بن هانئ بن مسعود" أحد بني "ربيعة بن ذهل بن شيبان" بتسليم الودائع التي أودعها النعمان لديه إليه، فلما أبى هانئ تسليم ما أؤتمن عليه لغير أهليه، غضب كسرى، فبعث إلى "الهامرز التستري"، وهو مرزبانه الكبير، وكان مسلحه في القطقطانه، وإلى "جلابزين" وكان مسلحه في بارق، كما كتب إلى "قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين"، وكان كسرى استعمله على سفوان بأن يرافقوا "إياساً" فإذا اجتمعوا فإياس على الناس، وجاءت الفرس معها الجنود والفيلة عليها الأساورة، فالتحموا بأرض ذي قار.

فلما كان اليوم الأول، استظهر الفرس على العرب، ثم جزعت الفرس في اليوم الثاني من العطش، فصارت إلى الجبايات، فتبعتهم بكر وباقي العربان، فعطش الأعاجم، ومالوا إلى بطيماء ذي قار وبها اشتدت الحرب، وانهزمت الفرس،

---

[1] – أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعروف بـ **ابن هشام**: السيرة النبوية 222/1.

2– ياقوت الحموي: معجم البلدان، 8/7.

3 –Rosthstein. S.121.

4– ياقوت الحموي: معجم البلدان، 8/7.

وكسرت كسرة هائلة، وقتل أكثرهم وفيهم "الهامرز وجلابزين"، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً وانتصفت فيه العرب من العجم[1].

ويوم ذي قار لم يكن إذن يوماً واحداً، أي معركة واحدة وقعت في ذي قار وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم ختمت بـ ذي قار، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك من ثم إلى هذا المكان. ومن هذه الأيام: يوم قراقر، يوم الحنو، حنو ذي قار، ويوم حنو قراقر ويوم الجبايات، ويوم ذي العجُرم، ويوم الغذوان، ويوم البطماء: بطماء ذي قار، وكلهن حول ذي قار[2].

أما متى وق يوم ذي قار، فالمؤرخون مختلفون في ذلك، منهم من جعله في يوم ولادة الرسول ﷺ، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول ﷺ من وقعة بدر الكبرى[3]

1- الطبري: تاريخ الطبري،2/152 ص603 وما بعدها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 8/7 وما بعدها، لويس شيخو: شعراء النصرانية قبل الاسلام، ص137، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف **بالميداني**: مجمع الأمثال 2/352، ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده،2/169، أبو علي الحسن **ابن رشيق**: العمدة في صناعة الشعر ونقده، 2/169، حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ص 91، **أبو الفداء** عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود : المختصر في أخبار البشر، 1/101، دار الكتاب اللبناني، المسعودي: مروج الذهب، 1/236، وكتب كسرى إلى قيس بن خالد، وكان عاملاً له، ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، 2/218، وقتل الهامرز بن خلابرز عامل كسرى.

2- الطبري: تاريخ الطبري، 2/193 وما بعدها.

3- ياقوت الحموي: معجم البلدان، 7/9 وما بعدها، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص241، بيروت 1965، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، 1/184 وما بعدها طبعة النجف.

ومنهم من جعله قبل الهجرة[1]. وقد ذهب "روتشتاين" إلى أنه كان حوالي سنة/604م/، وذهب "نولدكه" إلى أنه بين/604م/و/610م/[2].

وأكثر أهل الأخبار أنه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثاً قالوا إن الرسوم لما بلغه من هزيمة ربيعة جيش كسرى، قال: ((هذا أول يوم انتصف العرب من العجم، وبي نصروا))[3].

والذي يستنتج من روايات أهل الأخبار عن معركة ذي قار إن "هانئ بن مسعود الشيباني"، لم يكن قائد بني شيبان ولا غيرها من العرب يوم ذي قار، بل تذهب بعض الروايات إلى أنه لم يدرك هذا اليوم، لأنه هلك قبله، وإنما هو: "هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود" [4].

وترى روايات أخرى أن "هانئ ابن مسعود" كان يخشى عاقبة هذه الحرب وإنه لم يكن يريد مقابلة الفرس، وكل ما كان يريده هو الاحتفاظ برهينة النعمان، وأن الفرس عندما دنوا من العرب بمن معهم: انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً، فقال له: أعطِ قومك سلاح النعمان فيقوموا، فإن هلكوا كانت تبعاً لأنفسهم، وكنت قد أخذتَ بالحزم، وإن ظفروا ردّوه عليك ففعل. فقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه. فلما دنا الجمع من بكر، قال لهم هانئ: يا معشر بكر، إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم فاركبّوا الفلاة.

فتسارع الناس إلى ذلك، فوثب "حنظلة بن ثعلبة بن سيار" فقال له: إنما أردت نجاتنا، فلم تزد على أن ألقيتنا في الهلكة، فرد الناس وقطع وضئن

1- محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي: المحبر، ص310.

2 -Rothstein. S. 123.

3- الطبري: تاريخ الطبري، 206/2، الحموي: معجم البلدان، 1024/3 ابن الأثير: الكامل، 285/1 وما بعدها.

4- المراجع السابقة.

الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا- فسمي مقطع الوضن-، وهي حزم الرحال.

ويقال: ((مقطع البُطُن، والبطن حزم الأقتاب، وضرب حنظلة على نفسه قبة ببطماء ذي قار، والى ألا يفر حتى ثغر القبة)).

فمضى من مضى من الناس، ورجع أكثرهم، واستقوا ماءً لنصف شهر، فأتتهم العجم، فقاتلتهم بالحنو، فجزعت العجم من العطش، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم، فهربت إلى الجبايات، فتبعتهم بكر وعجل [1].

"فقاتلوهم بالجبايات يوماً، ثم عطش الأعاجم، فمالوا إلى بطماء ذي قار، فأرسلت إياد إلى بكرا سراً- وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة: ((أي الأمرين أعجب إليكم، أن نطير تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم؟ قالوا: بل تقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم)).

فلما التقى القوم في مكان من ذي قار يسمى الجب اجتلدوا والتحموا، فانهزمت إياد كما وعدتهم وانهزم الفرس[2].

ويذكر "الطبري" في رواية من رواياته عن ذي قار أن الناس توامروا فولوا أمرهم "حنظلة بن ثعلبة بن سّيار العجلي"، وكانوا يتمنون به، فقال لهم: ((لا أرى إلا القتال))، فتبعوا أمره، وهو الذي تولى إدارة القتال، فكان له شأن كبير فيه، وقد

1-الطبري: تاريخ الطبري، 206/2، الحموي: معجم البلدان 1024/3، ابن الأثير: الكامل285/1وما بعدها.

2- الطبري: تاريخ الطبري، 208/2 وما بعدها، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 383/3 وما بعدها، 211/5، ابن الأثير: الكامل 285/1 وما بعدها، الطباعة المنيرية، النويري: نهاية الأرب 431/15 وما بعدها، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري **القلقشندي**: صبح الأعشى في صناعة الانشا، 392/1 دار الكتب.

قاد قومه من بني عجل في ذلك القتال، فله النصيب الأكبر منه[1] وقد احتل حنظلة مسيرة "هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود" رئيس بكر في القتال الذي جرى في ذي قار في موضع الجب[2].

وكان "هانئ بن قبيصة" رئيس بكر يشغل القلب في أثناء الهجوم على الفرس يوم الجب في ذي قار، وكان على ميمنته "يزيد بن مسهر الشيباني"، و"حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي" على ميسرته يحميه من كل هجوم جانبي يقع عليه من الميسرة، كما ذكرت[3].

وكان "يزيد بن حمار السّكُوني"، وهو حليف لبني شيبان، قد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار هو الجب، فلما جاء "إياس بن قبيصة" مع الفرس إلى هذا المكان، خرج مع كمّينه، فباغت "إياساً" ومن معه، وولت إياد منهزمة، فساعد بذلك كثيراً في هزيمة الفرس[4].

فهؤلاء المذكورون إذن هم الذين قادوا نصر العرب على الفرس. وقد ذهب بعض الأخبارين إلى أن الحرب الرئيسية دارت على بني شيبان، ورئيس الحرب هو "هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود".

أما "حنظلة" فكان صاحب الرأي[5] ولكن الذي يظهر من دراسة مختلف الروايات أن شأن حنظلة في القتال كان أهم وأعظم من شأن هانئ فيه، حتى لقد ذكرت بعض الروايات أنه هو الذي ولي أمر القتال بعد هانئ، وأن القوم صيّروا الأمر إليه بعد

1- الطبري: تاريخ الطبري، 207/2 وما بعدها.

2- المرجع السابق، 209/2.

3- المرجع السابق، 209/2، دار المعارف ابن خلدون: المقدمة، 626/2 دار الكتب اللبنانية.

4- الطبري: تاريخ الطبري، 209/2 دار المعارف.

5- ابن الأثير: الكامل، 285/1 وما بعدها.

هانئ في معركة جب ذي قار وأنه هو الذي قتل "جلابزين"، وأن كتيبته كتيبة عجل قامت بأمر عظيم في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة الفرس[1].

وكان "حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي" من سادات قومه، وهو صاحب قبة، ضربت له يوم ذي قار ويوم فلج[2]، ولا تضرب قبة إلا لملك أو سيد، وكانت له بنت يقال لها "مارية"، كانت معه في هذه المعركة، وهي أم عشرة نفر أحدهم "جابر بن أبجر"، وأورد "الطبري" شعراً في يوم ذي قار نسبه إلى "يزيد بن المكسرّ بن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار"، وإذا كان "يزيد" هذا هو حفيد "حنظلة" كما يظهر من سياق النسب، يكون حنظلة إذ ذاك كبيراً في السن وقد نصب "الطبري" إلى حنظلة شعراً ذكر أنه قال في يوم ذي قار[3].

وذكر أن "النعمان بن زرعة التغلبي" هو الذي أشار على كسرى بمهاجمة "هانئ بن مسعود الشيباني" في ذي قار، وكان يحب هلاك "بكر بن وائل"، وأن إياداً وهي في الحرب اتفقت سراً مع بكر على الهرب، فهربت حين كان "إياس بن قبيصة" والفرس يقاتلون بكراً، فاضطرب صف العجم، وولوا الأدبار، فقتل منهم من قتل، وأسر عدد كبير، وأسر "النعمان بن زرعة التغلبي"[4].

والروايات عن معركة ذي قار، هي على شاكلة الروايات عن ايام العرب وعن حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً، من حيث تأثرها بالعواطف القبلية وأخذها

1- الطبري: تاريخ الطبري، 210/2 دار المعارف.

2- ابن دريد: الاشتقاق، ص208.

3- الطبري: تاريخ الطبري، 209/2 وما بعدها.

4- ابن الأثير: الكامل، 173/1 وما بعدها، الطبري: تاريخ الطبري، 612/1، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، 127/2، ابن خلدون: المقدمة، القسم الأول، المجلد الثاني ص556، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1956م، ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، 218/2.

بالتحيز والتحزب، فترى فيها تحيزاً لبني شيبان يظهر في شعر "الأعشى" لهم، إذ يمدحهم خاصة، مما أدى إلى غضب غيرهم مثل اللهازم[1]، ونرى فيها إعطاء فخر لفلان وحبسه عن فلان، ولذلك يجب على الباحث عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزواتها أن يفطن لذلك.

وشعر "الأعشى"، أعشى بكر، في ذي قار، ومدحه قومه بني بكر، شعر مهم للوقوف على حوادث تلك المعركة وكيف جرت[2]، ولبكير: أصم بني الحارث، شعر أيضاً يمدح فيه بني شيبان ويمجد عملهم وفعلهم في هذا اليوم[3].

وقد هجا عشى بكر في قصيدة له عن يوم ذي قار وعن مقام عشيرته ومكانته فيه تميماً وقيس عيلان، ثم تعرض لقبائل معد، فقال:

لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار، ما أخطاهم الشرف[4]

ونجد شعراً "للعديل بن الفرخ العجليّ"، يفتخر فيه بقومه ويتباهى بانتصارهم على الفرس في هذا اليوم، فيقول:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا، وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بذي قار
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة يوم استلبنا لكسرى كل أسوار[5]

وكان "هانئ بن قبيصة"، من أشراف قومه، وكان نصرانياً، وأدرك الإسلام فلم يسلم، ومات بالكوفة[1]. أما "قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي

1- الطبري: تاريخ الطبري، 211/2

2- ابن الأثير: الكامل 285/1 وما بعدها.

3- الطبري: تاريخ الطبري، 211/2 دار المعارف، ابن الأثير: الكامل، 285/1 وما بعدها.

4- ابن الأثير: الكامل، 285/1 وما بعدها، النويري: نهاية الأرب، 431/15 وما بعدها.

5- أبو محمد عبدالله بن مسلم **ابن قتيبة الدينوري**: الشعر والشعراء، 375/1.

الجدّين"، فكان سيد قومه في أيامه، وذلك قبل الإسلام، وكان كسرى استعمله على طق سفوان[2].

ويذكر بعض أهل الأخبار أن هناك يوماً آخر، عرف بيوم ذي قار، وقد وقع أيضاً بين العرب والفرس، فانتصر فيه العرب أيضاً، وقد وقع قبل اليوم المذكور، فعرف لذلك بيوم ذي قار الأول، وبيوم صيد، وبيوم قبة.

وكان سببه أن بكر بن وائل أصيبت بسنة أي قحط فخرجت حتى نزلت بذي قار، وأقبل "حنظلة بن سيار العجلي"، حتى ضرب قبته بين ذي قار وعين صيد، وكان يقال له حنظلة القباب، وكانت له قبة حمراء، إذا رفعها انضم إليه قومه، فأتاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منه، فأبوا، فقاتلهم فهزموه وانتصروا عليه[3].

وقد نسب إلى زيد الخيل شعرٌ، زعم أنه قال يذكر "إياس بن قبيصة الطائي" هو:

أمني كل عام سيد يفقدونه تحلّك من وجد عليه الكلاكل؟
ثم يكون العقل منكم صحيفة كما علقت على السَّليم الجلاجل؟

وقد قال "ابن قتيبة الدينوري" في تفسيره: كان كسرى أرسل إلى مال إياس ليأخذه فنفرت عن ذلك طيء، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم. فلما رأى ذلك كسرى، كتب لهم كتاباً في أمان، فقال زيد شعراً، هذان البيان فيه، يخص قومه، وينهاهم أن يقبلوا كتابه، أو يطمئنوا إلى قوله[4]، وليس في هذا الشرح كما نرى تفسيراً للسبب الذي دفع كسرى إلى المطالبة بمال إياس.

هل كان ذلك بسبب اختلافه معه، أو بسبب آخر، ولا يعقل أن تكون هذه المطالبة في حالة صلح وعلاقات طيبة بين الجهتين، بل لا بد أن تكون عن ظروف سيئة لم يتطرق لها "ابن قتيبة".

1- ابن دريد: الاشتقاق، ص216.

2- الطبري: تاريخ الطبري، 207/2.

3- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز **البكري** الأندلسي: المسالك والممالك، 1042/3.

4- أبو محمد عبد الله **ابن قتيبة الدينوري**: المعاني الكبير في أبيات المعاني، 1008/2.

وعندي أن هذه الحادثة أن صحت روايتها، وجب أن تكون قد وقعت بعد موت "إياس"، وتركه ثروة وأملاكاً طائلة، فأراد الفرس الاستحواذ عليها، وأخذ ما جمعه من مال فحدث ما حدث.

وذكر الإخباريون بعد "إياس" رجلاً فارسياً قالوا أنه هو الذي حكم الحيرة وملكها في زمن أبرويز، وفي زمن "شيرويه بن أبرويز"، وفي زمن "أزدشير ابن شيرويه"، وفي زمن "بوران بنت أبرويز"، وذكروا أن مدة حكمه سبع عشرة سنة أو أقل من ذلك. وسمّوا هذا الرجل "أزاد به بن ماهيبيان بن مهرا بنداد" [1] أو "أزاذبه بن يابيان بن مهر بنداذ الهمذاني" [2]، أو "آزادبه بن ماهان بن مهربنداد الهمذاني" أو "زادويه الفارسي"، حكم سبع عشرة سنة، من ذلك في زمن "كسرى بن هرمز" أربع عشرة سنة وثمانية أشهر، وفي زمن "شيرويه بن كسرى" ثمانية أشهر، وفي زمن "أزدشير بن شيرويه" سنة وسبعة أشهر، وفي زمن "بوران دخت بنت كسرى" شهراً[3]. ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً، فلا نعرف من أعماله أي شيء مع طول مدة حكمه أن صحت رواية الإخباريين.

1- زاديه بن ماهيبان بن مهرا بنداد الهمذاني، **حمزة الأصفهاني**: تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ص74، ابن عمرو الهاشمي: المحبر 360.

2- الطبري: تاريخ الطبري 156/2.

3- الطبري: تاريخ الطبري 213/2، محمد بن موسى **الخوارزمي**: مفاتيح العلوم، 69.

الصفويون

وإلى هذا العهد تجب إضافة قوم من العرب أطلق المستشرقون عليهم لفظة الصفويين نسبة إلى أرض الصفاة[1]. وهم أعراب ورعاة كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ. وقد دونّوا خواطرهم أحياناً على الأحجار، وتركوها في مواضعها ومنها استطعنا الإلمام بعض الشيء بأحوالهم.

وقوم تنتشر الكتابة بينهم على هذا النحو، لا يمكن أن نتصورهم أعراباً على النحو المفهوم من الأعرابية، بل لا بد أن نتصور أنهم كانوا على شيء من الثقافة والإدراك وإذا سألتني عن سبب اختيار المستشرقين لهذه التسمية وإطلاقها على هذه الكتابات فإني أقول لك: أنهم أخذوها من اسم أرض بركانية عرفت بالصفا وبالصفاة، تغطي قشرتها الخارجية حتى اليوم صخور سود تقول لك أنها خرجت إلى هذا المكان من باطن الأرض، وإن براكين ثائرة مزمجرة غاضبة كانت قد قذفت بها إلى ظهر الأرض فاستقرت في أمكنتها هذه، ومن يدري؟ فلعلها أصابت أقواماً كانت تعيش في هذه المواضع أو مارة بها فأهلكتها.

وهي تسمية قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، بدليل أنها وردت في نص يوناني على هذه الصورة Sofathene[2] وورود اسم إله عرف بـ "زيوس الصفوي Zeus Sofathenos" أي نسبة على هذه الأرض[3].

1– Littmann Thamud und Safa. In Abhandlung für die Kunde des Morgeniodes, 1940, 25. I, M. Hofner. Die Beduinen in den Vorislamischen Arabischen Inschriften, in l'antica Societa Beduina, Studi Semitici 2 1959, 53 2 1959, 53.

2 –رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ص27.

3 –المرجع السابق، ص162.

G. Ryckmans, Inscriptions Safaitiques, Extrait Du Museon Tome 1-2 Louvain 1951, Handbuch. S. 46, Ditlef Nielsen, Üeber die Nordarabischen Götter in Mittri. Der Vorderas. Gesellschaft. Bd, 21, 1916. Elittmann Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943. Annual Department of Antiquities of Jordan, Vol I, 1951. P 17.

أما الصفوية، فتسمية ليست بتسمية عربية قديمة، وليست علماً على قوم معينين أو عل قبيلة معينة، وإنما هي تسمية حديثاً أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان إلى مكان طلباً للماء وللكلأ، لرعي ماشيتها التي تكون ثروتها ورأس مالها، تراها يوماً في أرض النبط، ويوماً آخر في بلاد الشام حيث كان الرومان ثم البيزنطيون يسيطرون.

فنحن في هذا الموضع لسنا أمام مملكة أو حكومة مدينة، بل أمام قبائل عديدة حرفتها الرعي والغزو وكفى ومن نسميهم بالصفويين إذن ليسوا بقبيلة واحدة ولا بجنس معين، وإنما هي قبائل متنقلة، كانت تنتقل في هذا الأرضين الواسعة، في أزمنة مختلفة متباينة ويعود الفضل إلى الكتابات التي عثر الباحثون عليها في إعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان ينتسب إليها أصحاب تلك الكتابات.

وقد جمعت الكتابات الصفوية من أرضين واسعة، تمتد من حماة في سورية إلى نهر الفرات في العراق في الشرق، وإلى فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية فأعالي الحجاز، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة، ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب بين الدول بتفصيل وتبسط، ذلك لأن الكتابات الصفوية هي كما قلت كتابات أفراد كتبوها تعبيراً عن أمور شخصية لا غير، ومثل هذه الكتابات لا تتعرض لما يبحث عنه المؤرخ إلا بقدر، وهو قدر لا يقدم في الغالب للمؤرخ ما يبحث عنه، ولهذا انحصرت فوائدها في مسائل أخرى، في مثل الدراسات اللغوية والدينية وتطور الخطوط ودراسة أسماء الأشخاص والقبائل وما شاكل ذلك.

وكذلك الأعداد التالية لهذه المجلة التي تصدرها مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية.

وانتشار هذه الكتابات وتناثرها في أرضين صحراوية، أمر يلفت النظر ويدعو إلى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرؤون ويكتبون مع أنهم أبناء بادية، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمان طويل، ثم إن خطها يلفت إليه النظر أيضاً، فهو خط عربي، ولد من الأم التي غسلت الخط العربي الجنوبي، وهو قريب من الخط الثمودي والخط اللحياني، ويعني هذه أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط أود أن أسميه بالقلم العربي الأول، أو القلم العربي القديم منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد، فوجد ما نسميه بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية، وذلك لظروف كثيرة لا مجال للكلام عليها في هذا المكان، وهو يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الإرمية مع قربهم منها واتصالهم بها، وطغيانها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم، فكتبوا به، ولم يستعملوا قلم بني إرم كما فعل أهل المدر المقيمين في مدن العراق والشام وقراهما. وكتبوا بلهجاتهم أيضاً ولم يكتبوا بلغة بني إرم كما فعل غيرهم من العرب الحضر وقد رأى دوسو Dussaud أن الصفويين كانوا يحاكون الجنود الرومان واليونان في تسجيلهم خواطرهم وذكرياتهم على الحجارة، فقد وجد الباحثون أحجاراً دوّن عليها أولئك الجنود في أثناء أدائهم واجباتهم العسكرية في بلاد الشام وعلى الطريق الرومانية ذكرياتهم وخواطرهم ونزولهم في تلك الأمكنة. ولكن وجود كتابات صفوية عديدة من القرن الأول قبل الميلاد يثبت أن الصفويين كانوا يدونون خواطرهم بهذا الأسلوب، وذلك قبل شروع أولئك الجنود الرومان واليونان في تدوين خواطرهم على هذا الأسلوب، وأنهم كانوا يدوّنون خواطرهم هذه على الأحجار وبهذا الشكل لأن هذه الحجارة كانت هي ورق كتابة أهل البادية، فكتبوا عليها كما يكتب أهل الحضر على الرق والخشب والورق وغيرها من وسائل الكتابة[1].

1– Winnett. P I.

ويرجع علماء الصفويات عمر أقدم الكتابات الصفوية إلى القرن الأول قبل الميلاد أما آخر ما عثر عليها من كتابات، فيرجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد، على رأيهم أيضاً[1]، فما عثر عليه من الكتابات الصفوية، هو من عهد تبلغ مدته زهاء أربعة قرون.

وقد أرخت بعض هذه الكتابات بحوادث محلية عرفت عند أصحابها، إلا أنها مجهولة لدينا لذلك، لذلك لم نستطع الاستفادة منها في تكوين رأي في زمن كتابتها.

فقد أرخ بعضها بسنة وفاة قريب لصاحب الكتابة، أو بوقت نزوله في المكان الذي كتب به الكتابة، أو بوقت هربه من الرومان أو بعد كذا من الأيام أو من السنين من رؤية قريب له أو وفاته، ومثل هذه الحوادث، لا تفيد المتأخرين شيئاً، ولا تساعدهم في تثبيت زمن تدوينها بوجه صحيح مضبوط، وأرخ بعضها بحوادث أعم.

إلا أنها ذكرت بأسلوب فوّت علينا معرفة زمان وقوع الحادث بوجه مضبوط، فقد أرخت كتابة منها بـ «سنت نرّز اليهود أي سنة الخصام مع اليهود[2]، وهي سنة كان يعرفها صاحب الكتابة وأصحابه، أما نحن فلا نعلم من أمرها شيئاً، فقد خاصم العرب اليهود كثيراً في تاريخه، فأية خصومة من تلك الخصومات قصد صاحب الكتابة. فإذا كان قد قصد ثورة العرب أهل اللجاة Trachonitis على "هيرود الكبير"

1–Winnett. P I.

2– Winnett. P 95.

الملك المكابي، فهذه الثورة يجب أن تكون قد وقعت فيما بين السنة/23 ق.م والسنة 14ق.م/[1].

أما إذا كان صاحب النص قد قصد خصاماً آخر، فإننا لا نستطيع التكهن عنه من نصه هذا، لما قلناه من تعد الخصومات بين العرب واليهود.

وأرخت كتابة أخرى بزمن تمرد صاحب الكتابة على الروم. وذلك سنة مجيء الميديين الفرس إلى بصرى، ومرد عل رم سنت أتى همذي بصرى[2] وقصد بهمذى- الماذويين، أي الميديين من الفرس، ولما كانت الأخبار لم تشر إلى اكتساح الفرس لـ بصرى قبل سنة/614م/، ظن من عالج هذه الكتابة أن صاحبها قصد استيلاء الفرس عليها في ذلك الزمن، أي في السنين الأولى من سني بعثة الرسول ﷺ، حيث تغلبت الفرس على الروم، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، غير أن هذا الفريق عاد فأبدل رأيه، لأنه وجد أن هذا الرأي لا ينسجم مع نوع الكتابة والأبحاث والآثارية التي دلت على أن الكتابة يجب أن تكون أقدم عهداً من سنة/614م/، ورأي لذلك أن استيلاء الفرس على بصرى يجب أن يكون قبل ذلك بكثير، وقد يكون وقع في القرن الأول قبل الميلاد، غير أننا لا نملك نصوصاً تاريخيه تشير إلى صول الفرس إلى هذا المكان، واستيلائهم عليه في ذلك الزمن. وهكذا نجد أن تلك الكتابة المؤرخة قد أوجدت لنا مشكلة، لم نتمكن من حلّها بسبب الغموض الوارد فيها عن سنة استيلاء الفرس على بصرى[3].

وطالما قرأنا في الكتابات أن أصحابها نجوا من الروم أو فروا من الروم، أو تمردوا على الروم وأمثال ذلك من تعابير، وقد قصدوا بالروم بلاد الشام التي كانت في

1 –Winnett, 95, Josephus, Antiq, XVI, IX.

2 –F. V. Winnett, Safaitic, P 19, 323, M 43, Harding 37, T 31.

3 –Winnett, P 3, 19, BASOAR, Num: 122, P 50. Die Araber I, S, 75, CIS, 4448, J. Pirenne I, 212.

أيدي الرومان، ثم انتقلت إلى الروم، وهم اليونان البيزنطيون، ولما كانت بلاد الشام تحت حكم المذكورين، عبرّوا عنها بـ رم-روم أي الروم وبلاد الروم لقد كان الصفويون بحكم نزولهم في أطراف بلاد الشام على اتصال بالروم بل اضطروا إلى الخضوع لحكمهم والاعتراف بسيادتهم عليهم، والتوغل شمالاً وجنوباً في بلاد الشام بحثاً عن الماء والكلأ وعن القوت، كما اضطروا إلى مراجعة قرى بلاد الشام ومدنها للامتياز ولبيع ما عندهم من فائض من منتوج أيديهم ومن حاصل حيواناتهم وهذا مما يدفعهم إلى التخاصم أحياناً مع موظفي الأمن الروم وحراس الحدود ورجال الجباية والجمارك، في شأن أمور الأمن، أو أخذ حقوقهم الحكومة منهم، فيقبض الروم على من يقاوم منهم، أو يتهرب من الأداء أو يقتل، أو يقوم بأعمال مخالفة، فيلقونه في السجن أو يقتلونه، ولهذا نجد بعض الكتابات وقد سجلت حين هرب صاحبها من سجن الروم، وعاد إلى حريته. وهربه من الروم واستنشاقه نسيم الحرية معناه اللجوء إلى البادية والاحتماء بها حيث يصعب على الجنود الروم الوصول إليها للقبض عليهم والامتصاص منه: والبادية حصن أمين للأعراب.

ويظهر من هذه النصوص أن شأن الصفويين بالروم لم يكن يختلف عن شأن سائر العرب بهم وبأمثالهم من الدول الأجنبية مثل، فهم مضطرون بحكم وضعهم إلى التسليم لسلطان الدول الأجنبية ما داموا ضعفاء لا يستطيعون مقاومة الأعاجم، فإذا تغيرت الأحوال، وظهرت مواضع ضعف في الأجنبي، اهتبل الأعراب الفرص، فانقلبوا عليه حتى يرضيهم أو يظهر قوته، وهكذا كان الصفويون ينتهزون الفرص، فمتى وجدوا ثغرة في سلطان الروم وموضع ضعف في حراسة حدودهم، هاجموهم منها حتى ينالوا ما يبتغون من مغنم، وقد ينقلب الحادث عليهم بالطبع، لسوء تقدير في الموقف، وهذا ما يحدث في كل غزو أو حرب، وهو شيء طبيعي فقد ينتصر المحارب فيربح، وقد يندحر فيخسر كل شيء.

ويلاحظ من الكتابات الصفوية أن أصحابها كانوا ينزعون نزعة شديدة إلى تخليد أنفسهم وإبقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم، حتى بحادث ولادة ماشيتهم، أو مقتل أحدهم، أو فرض غرامة مالية على أحدهم، أو سفر أحد منهم وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة، ولكنها مع ذلك وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتاريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأماكن التي نزلوا بها[1]. هذا وما زال الأعراب وأهل القرى عندنا يسجلون حوادثهم على النحو المذكور من تسجيل التواريخ.

وللطابع الشخصي الذي تحمله الكتابات الصفوية، لم نتمكن من الاستفادة منها من الوجهة السياسية والعسكرية، فلم تعثر فيها على اسم ملك، لا عربي ولا أجنبي، ولم نعثر فيها على موضع سياسي يشير إلى الحالة السياسية التي كانت في العراق أو في بلاد الشام أو في جزيرة العرب في تلك الأيام، ولم نتمكن أيضاً من الخروج منها بأية فكرة عن نوع الحكم الذي كان يعيش فيه الصفويون: أكانوا في حكم ملوك، على شاكلة عرب الغساسنة؟ أم كانوا قبائل متنقلة خاضعة لسلطان الروم، حين تكون في بلاد الشام، وحرة طليقة حين ترد البادية؟.

وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء قبائل، منها : بدن وبعر وتر، وهجدل-هكدل، وجر-كر وحزن وحضى، وحولت-حوالة، ودمصى وسلم، وصبح، وضف، وعبد، وعوذ، وغر، وفرص و قمر، ويحرب وهمضر، واملكت[2].

ومن القبائل الصفوية: اشلل، وبكس، وجعبر، وجوا، وحمد، وحرم، وحظى-حضى، وحمى، وزد-زيد، وزهر، وعذل، وعمرت- عمرة، وفضج ومسكت- ماسكة،

1 راجع النصوص الصفوية.

2- Winnett.P4.

ومعصى-معيص، ونمرت-نمرة-نمارة-نميرة، وهذر-هذير-هذار[1]، ونسمت أي نسمان[2]، وحمد-حماد-حميد[3].

وترد لفظة أل قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية، وتؤدي فيها معنى آل عندنا، مثل: آل تم، أي آل تيم[4]، وآل عوذ بمعنى آل عوذ[5] وآل آدم[6]، وآل حد-آل حد[7].

وهي بمعنى أن المذكور أو المذكورين من القبيلة المسماة، أو من العشيرة المذكورة أو من البيت المسمى.

وورود آل بهذا المعنى في النصوص الصفوية يدل على أن لغة هذه القبائل وهي قبائل عربية شمالية تشارك لغة القرآن الكريم في هذه الخاصية.

وقبيلة عوذ ورد أسمها في عدد من الكتابات الصفوية. وقد ورد في إحداها أن حرباً كانت قد نشبت بينها وبين قبيلة أخرى، أسمها وعل أو ويل أو وائل[8] وقد يكون لاسم هذه القبيلة صلة باسم الإله جد عوذ.

---

1 –Jordan, II, PP 14.

2– Littmonn, Safa, S, 53, 55.

3– Safa, S,62.

4 –Annual Report of the Deportment of Antiquities of Jordan Vol I. P 26.

5 –Jordan, I, P 27.

6–G. R yckmans, I nscriptions Safoitiques Au Britisch Museum et au Musee de Damas, Lourain, 1951, P 88.

7– Jordan, I, P24.

8– Jordan, I. P27.

وقد عثر على اسم قبيلة نعمن، أي نعمان في بعض الكتابات الصفوية التي عثر عليها في وادي حوران بالعراق. ويرد نعمان أسماً لأشخاص، ومنهم بعض ملوك الحيرة[1].

وقد ورد اسم قبيلة في إحدى الكتابات التي عثر عليها في العراق، وهي قبيلة آل صح، أي آل صح، أو آل صائح، أو آل صيح أو الصائح[2]. وما زال أسم الصائح معروفاً في العراق، وهو اسم عشيرة فقد يكون له صلة بهذه التسمية القديمة.

وقد أفادتنا هذه الكتابات من الناحية الجغرافية، إذ قدمت إلينا أسماء مواضع عديدة لا يزال بعضها يسمى بالأسماء الواردة في تلك الكتابات، وقد يمكن في المستقبل دراسة الأسماء الأخرى لتثبيت مواضعها وتعينيها على مصورات الأرض الخارطات ومن المواضع التي ورد أسمها في الكتابات الصفوية، موضع رحبت، وهو الرحبة وقد ورد في نص سجله رجل أسمه حنن بن هعتق، حنان ابن العاتق، أو حنين بن العاتق أو خنن بن العاتق، وذكر أنه بن آل- رحبت، أي من الرحبة، أو من آل رحبة، وأنه كتب كتابته هذه في السنة التي دار فيها قتال مع قبيلة آل حمد- الحمد أو آل حمد[3]، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الرحبة هو اسم موضع.

كما أن الحمد هو اسم موضع كذلك، وإن الذين نزلوا في هذين المكانين وفي أمكنة أخرى نسبوا أنفسهم إيها فقالوا: آل رحبة وآل حمد، وذلك على نحو ما نجده في عربتنا من ذكر آل في الانتساب، وأن هذا معناه إن أولئك الأعراب الذين نزلوا في

---

1 -مجلة سومر، المجلد العشرون، 1964، الجزء الأول والثاني ص27 من القسم الإنكليزي.

2 -مجلة سومر، المجلد العشرون، 1964، الجزء الأول والثاني ص 18، 27 من القسم الإنكليزي.

3 -رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ص105.

الموضعين انتسبوا إلى المكانين، فاستعملوا لذلك لفظة ال، أي آل قبل الموضع، فظهر الاسم ال رجبت–ال رجبة وكأنه أسم قبيلة[1].

ولهذا المظهر من التسميات والانتساب شأن كبير في موضوع دراسة أنساب القبائل، إذ فيه برهان ودليل على أن الإقامة في موضع تكون سبباً للانتساب إليه ثم لتحويل ذلك النسب إلى اسم جدّ، وأن ما يرويه أهل الأخبار في هذا الباب مثل انتساب الغساسنة إلى غسان، وأن غسان أسم موضع ماء نزلوا عليها، فدعوا به، يجب أن ينظر إليه نظرة اعتبار، لا رفض وازدراء، وفي أسماء القبائل العربية المدونّة في كتاب الأنساب والأدب، أو الواردة في الكتابات الجاهلية أمثلة عديدة من هذا القبيل.

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النصوص الصفوية: بصرى وقد ذكرت على هذه الصورة بصر، وهمزت، النمرت، أي النمارة وهشبكي أي الشبكي[2] وحجر[3].

وحجر موضع قديراد به الحجر المعروف في عربيتنا، وهو Hegra وHegrae عند اليونان واللاتين، وحجرا وحجرو عند النبط[4].

وورد اسم مدينة تيما أي تيماء في الكتابات الصفوية كذلك، كالذي ورد في نص دونّه رجل اسمه خل – ال بن شبب أي خليل– إيل ابن شبيب وقد تذكر فيه رجلاً أسمه أبرش، وهو من أهل تيماء[1].

---

1 –رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ص105 وما بعدها.

2 –المرجع السابق، 106.

3 –Jordan, II. P 48.

4– Jordan, II. P 48.

ولم يكن الصفويون كما يبدو بوضوح من كتاباتهم ومن صور الحيوانات التي نقشوها على الأحجار أعراباً معنين في الأعرابية على نحو عرب البوادي البعيدين في البادية، حيث يقضون حياتهم فيها، فلا يختلطون بالحضر، ولا يمتزجون بالحضارة، وإنما كانوا أشباه أعراب وأشباه حضر، وربما كان تعبير رعاة خير تعبير يمكن إطلاقه عليهم ليميزهم عن غيرهم. فقد كان الصفويون أصحاب ماشية، لهم ابل، يعيشون عيها، ويتاجرون بها، ولهم خيل يركبونها، والخيل كما هو معروف لا تستطيع الحياة في البوادي القاحلة العميقة والرمال القليلة المياه، ولهم المعز والغنم والحمير والبقر وهي من الحيوانات التي تحتاج إلى رعي ومراعي[2].

ولذلك يجب أن يكون أصحابها من طبقة الرعاة. وقد كانت حياتهم حياة رعي، نجدهم في الشتاء في مكان، ثم نجدهم في الصيف في مواضع أخرى قريبة من الجبال حيث يكون الجو لطيفاً والمياه كثيرة، ليكون في استطاعتهم الابتعاد من حر الحرار ومن سمُوم الأرض القاحلة في الصيف، ولتستمتع ماشيتهم بجو لطيف فيه ما يعزيها من خضرة نضرة ومن ماء عذب زلال.

إن في بعض هذه الكتابات تعبيراً عميقاً عن ذكاء فطري يعبر عن طراز حياة الصفويين، فكتابة مثل: ورعى همعز وولد شهى ومعناه: ورعت المعز وولدت الشياه، أو ورعى بقر هنخل أي ورعت البقر في هذا الوادي، أو وقف على قبل فلان وحزن، هي تعابير، وإن بدت ساذجة مقتضبة لا يكتبها حضري، غير أنها تمثل في الواقع ذكاءً فطرياً عميقاً، ونوعاً من التعبير عن حس أهل البادية أو أهل الرعي، وهو حس مرهف فيه بساطة وفيه اقتضاب نبتا من وحي الصحراء

---

1 –Enno littmann: Zur Entzifferung der safs-Inschriften, Leipzig 1901, S, 51.

2– رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، 107.

البسيطة الممتدة إلى ما وراء البصر على نمط واحد، وشكل لا تغيير فيه ولا تبديل. وكتابات يكتبها أناس يحيون بعيدين عن حضارة المدن، ويعيشون بين أشعة الشمس وضوء القمر في بيوت وبر أو شعر معز لا تقي ولا تنفع إلا بمقدار، لا يمكن أن تكون إلا على هذا النحو من البساطة، ولكنها بساطة ذكي يحاول بذكائه التعبير عن حياته تلك.

ونجد هذا الذكاء الفطري في الصور المرسومة للحيوانات، فقد أراد مصوروها أن يعبرّوا عن غرائزهم الفنية بصورة محسوسة ترى، فرسموا صور حيوانات ألفوها ورأوها، بصورة بدائية، ولكنها معبرة أخّاذة، ورسموا بعض المناظر المؤثرة في حياتهم مثل الخروج للصيد ومعارك الصيد، فنرى على بعض الأحجار فارساً وقد حمل رمحاً طويلاً، ونرى مشاة وقد حملوا أقواساً وتروساً صغيرة مستديرة لوقاية أجسامهم من السهام أو من الحيوان، ونرى رجالاً يطاردون غزالاً أو ضأناً. ونرى أناساً فرساناً ومشاة يطاردون أسداً[1].

ونرى غير ذلك من صور بدائية من هذا القبيل، مهما قيل فيها، فإنها صور رائعة لا يمكن أن يحفرها فنان بأحسن من هذا الحفر، وهو في مثل هذا المحيط، وليست لديه من آلات الحفر غير هذه الآلات.

والصور المنقوشة على الأحجار التي ترينا الصفوي وقد ركب حصانه معتقلاً رمحاً طويلاً، هي صورة المحارب الفارس عند الصفويين، وهي في الواقع صورة في بعض البوادي من جزيرة العرب يحملون ذلك السلاح التقليدي القديم، يحاربون به خصومهم في المعارك القبلية البدائية. وأما المحارب الماشي، فإنه يحارب بالقوس وبيده الترس كما يظهر من بعض الصور، وهو لا بد أن يكون قد استعان بأسلحة

1- رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ص107 وما بعدها.

أخرى بالطبع، مثل السيوف والفؤوس والحجارة وكل ما تقع يده عليه مما يصلح أن يكون مادة للقتال والعراك[1].

إن الصور التي تمثل الناس، وهم يطاردون الغزلان أو بقر الوحش أو الأسد أو الحمار الوحشي، هي صور مفيدة جداُ تتحدث عن وجود تلك الحيوانات في تلك الأماكن وفي تلك الأوقات، وعن طرقهم في صيدها. وقد كانت لحوم بعض تلك الحيوانات طعاماً شهياً لمن يصطادها ولآهم وجماعتهم، كما أن لوجود صورة الحصان شأناً في إظهار أن الصفويين وغيرهم كانوا يعرفون الخيل في تلك الأزمنة، وأن الحصان العربي كان موجوداً يومئذٍ[2].

وفي جملة ما عثر عليه من أسماء آلهة الصفويين اسم إله عرف بـ إلَه هجبل-إلاه هاجبل-إلَه الجبل، وهي تسمية تدل على أن عبدته كانوا من سكان جبل أو أرض مرتفعة، ولهذا نعتوا إلههم بـ إلَه الجبل أو أن عبدته هؤلاء قد أخذوه من أناس كانوا قد خلقوا إلههم من ارتفاع أرضهم، وصار إلهاً من آلهة الصفويين وهو يقابل الإله المسمى بـ الاجبل ELAGOBAL وهو كناية عن الشمس، وكان يعبد في حمص Emesa فإن لفظة Elagabal تعني إلَه الجبل.

وقد رمز إليه بـ حجر أسود وعباد الحجر الأسود كانت معروفة عند الجاهلين. وقد كان أهل مكة يقدسون الحجر الاسود في مكة ويتقربون إليه[3].

ولا ندري من حل في محل الصفويين فأخذ مواطنهم، ولَما اختفت كتاباتهم بعد عهدهم هذا؟ هل كان الذين أخذوا مكانهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكانت أيامهم صُمّاً بُكماً؟ الذين أخذوا مكانهم هم أعراب مثلهم، كانوا أقوى منهم، لذلك تغلبوا عليهم على وفق سنة البادية، هذا جواب لا شك فيه ولكننا لا نستطيع تحديد هوية أولئك الأعراب وتعيين أسماء قبائلهم، كما أننا لا نستطيع التحدث

1 – رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، 107 وما بعدها.

2– المرجع السابق، 108.

3– F. Altheim, Aus Spätantike und Christentum , 1951, 28, Die Araber, I, S, 362.

عن سبب سكوتهم وعدم ترك آثار كتابية لهم تتحدث عن أيامهم وعن قبورهم وأصدقائهم وما شاكل ذلك من أمور إلى زمن مجيء الإسلام.

إن الغساسنة، هم آخر من نعرف أنهم كانوا في هذه الأرضين وفيما جاورها وكذلك قبائل عربية أخرى مثل لخم وكلب، ولكننا لا نعرف أنهم تركوا كتابات تتحدث عنهم.

وبين أسماء الأشخاص المدونة في النصوص الصفوية أسماء تشبه أسماء أهل مكة والعرب الشماليين شبهاً كبيراً، ويحملنا هذا على تصور أن ثقافة الصفويين عربية شمالية، ونجد هذا التشابه في أمور ثقافية أخرى، سأتحدث عنها في الأماكن المناسبة.

ومن الأسماء الواردة في النصوص الصفوية: قصيو أي قصي، وقد ورد اسم قصيو بن كلبو، أي قصي بن كلاب في أحد النصوص.
وكان من رجال الدين. وورد قصيو بن روحو أي قصي بن روح وقصيو بن أذينة، أي قصي بن أذينة[1].

ويرى بعض المستشرقين أن الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية الشمالية هاجروا من جزيرة العرب إلى الشمال، فسكنوا في منطقة الصفاة، غير أنهم لم يكونوا قد اندمجوا في أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم، وتعبرّ عن هذه الصلة بعض الخصائص اللغوية التي ترجع على رأيهم إلى أصلٍ عربي جنوبي، غير أنهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم وبمن تجاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين،

1- رينه ديسو، العرب في سوريا، ص116.

ويظهر آثر هذا الاختلاط على رأيهم أيضاً في الأسماء والكلمات والتعابير الخاصة التي نقرأها في هذه النصوص[1].

قلت: إن كلة الصفويون لا تعني شعباً معيناً أو قبيلة معينة، وإنما هي اصطلاح أوجده "هاليفي" ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة من اللجاة وحوران ومواضع أخرى، لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد أناساً تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد، ليظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة فلاحين ورعاة لهم قرى ومزارع، وربما كانت لهم تجارات أيضاً، غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئاً كثيراً، فقد يكونون إذن من قبيلة واحدة، وقد يكونون جملة قبائل، وقد تكون لهم إمارة لا نعرف من أمرها شيئاً، وربما لا يكون لهم ذلك وربما كانوا أتباعاً للسلطة القائمة في بلاد الشام تتحكم فيها بنفسها أو بواسطة أمراء أو سادات قبائل.

وقد يكون الصفويون أناساً وصلت أسماؤهم إلينا . وكتب المؤرخون عنهم، ولكننا لا نعرف أنهم هم الذين نبحث عنهم، لأننا أمام اصطلاح جديد مبهم، ظهر كما قلنا في القرن التاسع عشر، ليست له حدود واضحة ولا معالم مرسومة، فلا ندري نحن في الواقع ما نريد، قد يكون هؤلاء أسلاف غساسنة الشام، وقد يكونون غيرهم.

1 -Handbuch, S. 48. Ff, René Dussaud, Membre de l'Institut. La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Gelberte Angeiger, 1908, S, 144.

تقويمنا للدور الذي لعبه العرب قبل الإسلام في الهلال الخصيب

«معنى ومغزى هذا الدور»

اتضح لنا من الأبحاث السابقة أن الدار العربية تشكل وحدة طبيعية واحدة بمعنى أنه ليس هنالك أية حواجز جغرافية صادة مانعة تفضل النواة الأم المركز إقليم الجزيرة عن العراق وسوريا ومصر، الأمر الذي جعل التلاقح والتفاعل والانتقال يحدث عفوياً بين عناصر هذا الإقليم عفوية التفاعل- عفوية الانتقال- فطرية التلاقح وهذا ما لمسناه من وجود مجلوبات منذ الزمن الغابر في مناطق الجزيرة ومناطق الخليج العربي في بلاد الشام والعراق ومصر.

ثم إن هذه العفوية الطبيعية للانتشار والاستقرار يستضح لنا الأكثر فالأكثر بعد دراسة الصفويين والغساسنة والمناذرة وغيرهم.

هذا المنشود العفوي الطبيعي التلقائي خضع لنواميس الحياة والنقط والتنشئة بفعل التلقائية والقوانين الهادئة الصامتة المستمرة المتراكمة الضمنية.

وقد ترتب على ذلك النتائج الآتية[1]:

1- قسم التاريخ العربي إلى تاريخ العرب العاربة والعرب المستعربة تعبيراً عن هذا التطور العميق للتاريخ العربي مع الإشارة إلى أن عرب الهلال الخصيب اعتبروا من العرب المستعربة "حديث سيدنا خالد مع والي الحيرة".

---

1 – هذا لا يعني عدم وجود فواعل الإرادة الظاهرة الفاعلة المصممة إلى جانب عفوية التاريخ والحياة الهادئة.

2- صلابة وحصانة ومناعة الجزيرة العربية وقساوة مناخها وهذا ما حيد عنها الغزوات المتعددة أمثال الغزوة التي بلغت ديار ثمود في اليمن ثم تراجعت ثم غزوة "غايوس الروماني" و"أبرهة الحبشي" وغيرها.

وبالمقابل فإن العرب في الهلال الخصيب كانوا يلجؤون إلى أسلوب الكر والفر ويتحصنون في أعماق الجزيرة هرباً من العدو.

كما وجدنا ذلك في غزو الآشوريين والبابليين للعربية الشمالية واحتماء بعض رؤساء القبائل خاصة القبائل الإسماعيلية في الجزيرة العربية.

وهذا ما طبع العرب بطابع عشق الحرية- كما أكد "هيرودوت" وغيره وتأبيهم أن يكونوا إلا حلفاء للفرس لا عبيداً أو رفضهم الخضوع "للإسكندر الكبير" الأمر الذي هدا المذكور إلى مهاجمة الجزيرة وتراجعه عن ذلك.

3- سيطرة العرب على الطرق التجارية من جرها وميناء عدن جنوباً إلى روان وغزة والمناذرة والغساسنة والفينيقيين والأنباط وغيرهم.

4- وجود العرب في الهلال الخصيب منذ زمن عريق قديم لا يعلمه التاريخ ولا يعلمه مؤسسة ولكن متى كان الظهور العفوي الطبيعي التلقائي العربي في الهلال الخصيب تطور كلمة عرب Arabia وصيرورتها كلمة تطلق كاسم علم على قوم وشعب معين هو الشعب العربي.

5- انتشار العرب عبر سيناء وتغلغلهم في مصر حتى النيل.

6- مدى كراهية العهود منذ أقدم الأزمان للعرب، ورد الفعل العربي لذلك بمهاجمة اليهود في عقر دارهم مع فلسطين والعراق ومن أمثلة هذه المقاومة للعرب محافظة اليهود في تجديد جدار القدس بعد هدمه من الرومان وتوليه حكام عرب على القدس والذكر- في موعد مرور خمسين يوماً على المسيح- من جملة الشعوب الساكنة القدس.

7- مظاهر كراهية العرب في الثقافة اليهودية والشريعة التوراتية وتصدى الفقهاء اليهود للقول بأنه لا يجوز الأكل من طعام العرب ونجد ذلك من الأقاويل والثقافة التي نجد جذورها في التوراة هاجر تلد بقوة الجسد أما سارة فتلد استجابة للوعد.

8- رغم أن التوراة تعترف أن العرب أعرف في التاريخ من اليهود "القحطانيون مثلاً على ذلك".

9- أهمية المماليك التي أقامها الإسماعيليون خاصة إعمار منطقة سيناء، ثم رسالة بوليس إلى أهل إلاطبة باعتبار سيناء جزءاً من الديار العربية.

10- عروبة سيدنا أيوب وحكمته ويسره حالة ومحبة الرعية له.

11- انشطار دولة اليهود بسرعة عقب وفاة النبي سليمان.

12- تحكي الموارد التاريخية التلمود أن من عادة نساء العرب التحجب عند خروجهن إلى المحال العامة.

هذا غيض من فيض من الأمثلة التي يتضح منها المعانقات والانطباعات والتأثيرات والبصمات الحضارية التي طبع بها العرب الهلال الخصيب وهي تأثيراً وبصمات ستزداد أما ناظرينا وضوحاً وإشراقاً في الأبحاث المقبلة.

السيرة الذاتية

الدكتور برهان خليل زريق

ولد في محافظة اللاذقية – قضاء الحفة– قرية الجنكيل (القادسية حالياً)، 1933.

المؤهلات العلمية:

- الثانوية العامة الفرع العلمي – ثانوية البنين(جول جمال) اللاذقية عام 1951.
- إجازة في الآداب – قسم اللغة العربية وعلومها – جامعة دمشق عام 1958.
- إجازة في الحقوق – جامعة حلب عام 1965.
- ماجستير في القانون الإداري من كلية الحقوق جامعة القاهرة عام 1970.
- دكتوراه في الحقوق – جامعة المنصورة عام 1984.

العمل المهني:

- التدريس في ثانويات محافظة اللاذقية عامي 1952–1953.
- العمل في المديرية العامة للتبغ والتنباك حتى عام 1975.
- العمل في مهنة المحاماة من بداية عام 1976 حتى آذار 2007.

النشاط المجتمعي:

- عضو في الاتحاد الاشتراكي فرع سوريا حتى عام 1975.
- عضو نقابة المحامين حتى عام 2007.
- عضو المؤتمر القومي العربي حتى وفاته 2015.
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات أبرزها ندوة الوقف التي أقامها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام 2002.

✓ تم الاستعانة بخدمات محرك البحث Google لتدقيق وتصويب أسماء المراجع والمؤلفين، وبعض محتويات هذا المؤَلف بسبب رحيل الكاتب قبل النشر، فالشكر كل الشكر للقائمين على هذا المحرك للخدمات الجليلة التي تقدم للإنسانية.

محتوى الكتاب

مدخل عام 5

تحديد الأجهزة المفاهيمية لكلمة عرب 11

تحديد الدار العربية من زاوية الحقبة المدروسة 21

إقليم الجزيرة العربية وأثر انفعال الهلال الخصيب بذلك 25

التاريخ لدى العرب وخاصة في سوريا والعراق 35

علاقة عرب الهلال الخصيب بالأقوام الأخرى 61

الإمارات العربية الشمالية 99

مملكة النبط 153

مملكة عمون 157

مملكة تدمر 159

مملكة الحيرة 167

مملكة الغساسنة 173

تقويمنا لإمارة المناذرة والغساسنة 177

معركة ذي قار 181

العوامل التي أدت إلى النزوع القومي قبل الإسلام 183

تقويمنا للدور الذي لعبه العرب قبل الإسلام في الهلال الخصيب 211